المؤرخ د.أحمد الطاهري يخص تيفراز بمقال عن:

صالح بن طريف
صاحب أقدم ترجمة للقرآن الكريم باللسان الأمازيغي

ماريا روسادي مادارياغا في رسالة توضيحية ل: تيفراز:

أنا لم أقل أبدا
إن الريفيين استعملوا الغازات السامة

تيفراز

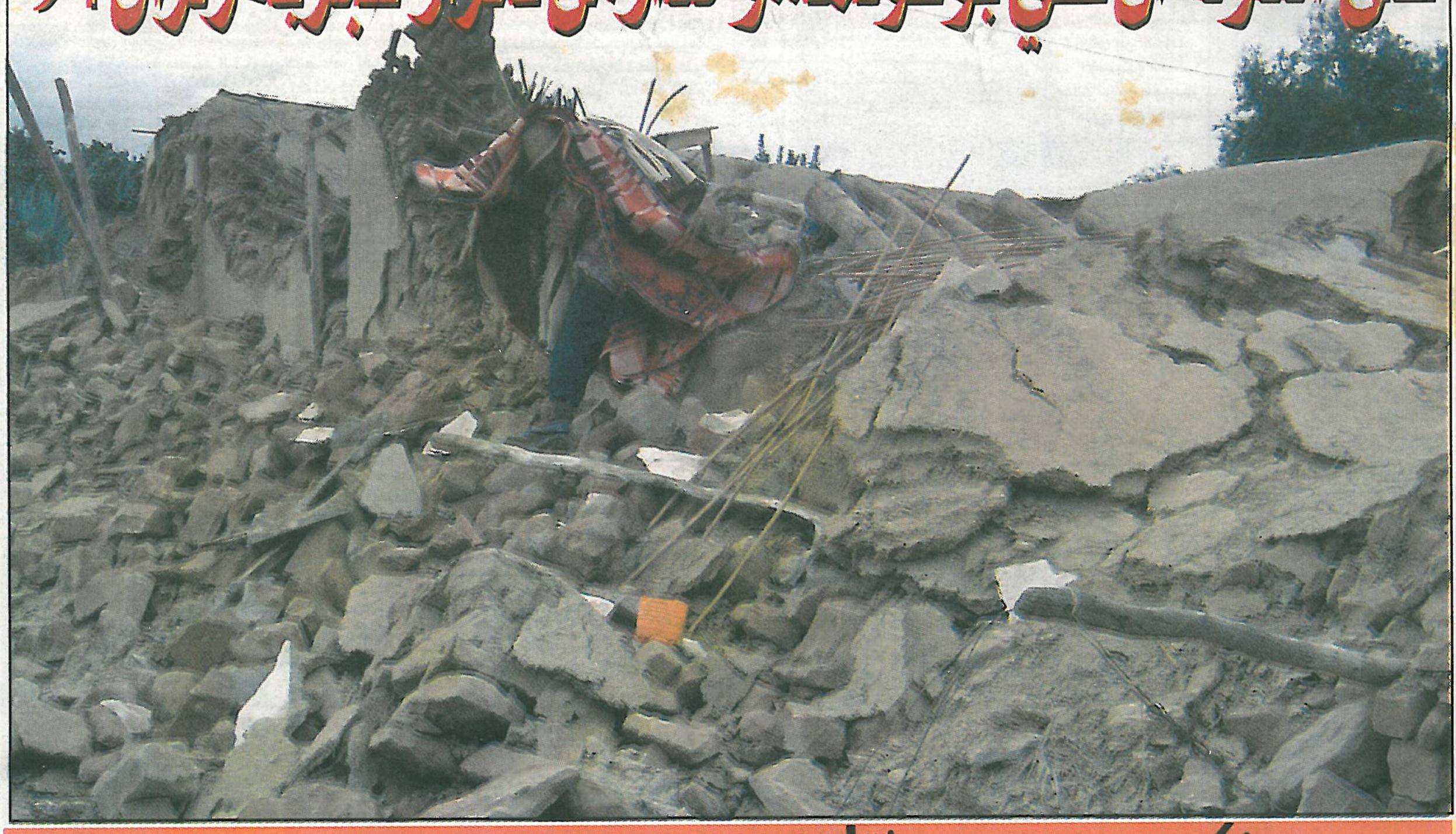
معالم الريف

أسبوعية جامعة مستقلة تصدر مؤقتا مرة في الشهر E-mail:tifrazrif@hotmail.com

مدير النشر: حسن الجرموني رئيس التحرير: سعيد الغزواني مكرتير التحرير: عبد المنعم الأزرق إ.ق:0013-2003 - م.ص:2003-1 - ردمك:14-6362 العدد:13 ماي 2004 الثمن: 5 دراهم

إعادة إعمار وتأهيل الحسيمة:

على الدولة أن تفي بوعودها.. وحذار من تكرار تجربة زلزال 94



فكر

في كراهية العقل

ثقافة وفن

الفخار صناعة نسائية

محاربة الأمية بالأمازيغية

هجرة

الاتحاد الأوربي : مشاريع تنموية بالمغرب

ملتقى الثقافات : برشلونة 2004

حسب مصادر من مؤسسة عبد الكريم الخطابي:

نيلسون مانديلا يحل بالحسيمة خلال شهر يوليوز المقبل؟!

علمنا من مصادر موثوقة ومقربة جدا من مؤسسة عبد الكريم الخطابي (من أجل حقوق الإنسان، وحوار الثقافات، والتآخي بين الشعوب) - وهي المؤسسة المنشأة من قبل أفراد عائلة الخطابي وخاصة سعيد وعائشة الخطابي- أن هذه الأخيرة تبذل مساعي كبيرة، وبخطى حثيثة، من أجل استضافة ندوة دولية حول: "لجوء محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى القاهرة: الأبعاد والدلالات الوطنية والدولية " بالحسيمة. وتحضرها شخصيات بارزة جدا، لها مكانتها الدولية في التاريخ السياسي الحديث، وعلى رأس هذه الشخصيات نجد: المناضل والزعيم الجنوب أفريقي نيلسون مانديلا، سيباستيان بلفور، زكية داوود، ماريا مادرياغا، باولو (باحث من هولندا)، الجزائري أحمد بن بلة، رشيد بن إدريس (تونس)، حافظ إبراهيم (مناضل تونسي مقيم بإسبانيا)، عبد الله العروي، عبد الرحمان اليوسفي، عبد الكريم الخطيب... وأساتذة باحثين من المغرب الكبير.

وللإشارة، فإن اللجنة المكلفة بالتحضير لهذه الندوة تستنفر كل جهودها للبحث عن مصادر تمويل هذه الندوة التي يريد أصحابها أن تكون ندوة بالمقاييس الدولية. لذلك فأعضاء هذه اللجنة بصدد عقد لقاءات واتصالات بمجموعة من الفعاليات الفكرية ورجال الأعمال والأعيان خاصة منهم المنتمين لمنطقة الريف...بغرض ضمان نجاح الندوة. وقد علمنا(إلى حدود تحرير هذا الخبر) أن رئيس المجلس البلدي لمدينة الحسيمة د.محمد بودرا قد وعد بالتكفل بإيواء 30 شخصية من الضيوف، فيما أعرب طارق يحيى عن التكفل بحجز ثلاث تذاكر سفر عبر الطائرة لبعض الضيوف الذين سيأتون من مناطق ودول بعيدة. والاتصالات لازالت جارية على قدم وساق مع جهات وشخصيات أخرى.

معطلو الحسيمة يتعرضون لحملة قمعية شرسة

توصلنا ببيان استنكاري من الجمعية الوطنية لحملة الشهادات المعطلين - فروع إقليم الحسيمة، من ضمن ما جاء فيه:تعرض مناضلو ومناضلات المعطلين لهجمة قمعية وحشية أثناء تنفيذهم لمسيرة احتجاجية مطلبية انطلاقا من مقر أ.م.ش في اتجاه العمالة يوم الخميس 20ماي. ناهيك عن الاستنطاقات والاستفزازات للمعطلين والمعطلات من طرف أجهزة القمع السري والعلني قبل انطلاق المسيرة وبعدها حيث تم توقيفهم في سيارات الأجرة وهم يغادرون المدينة، فأخذوا العناوين وأرقام بطائق التعريف.

أيها المعطلون، أيتها المعطلات:
أيتها الجماهير الكادحة،
أمام هذا الوضع المأساوي، وسيرا على درب شهيدينا -ناجية والحمزاوي- نؤكد مايلي:

1-استنكارنا الشديد للحصار والقمع الذي تعرضنا له من طرف أجهزة القمع الإقليمي وكل الاستنطاقات والمتابعات و الاستفزازات.
2-إن القمع لن يثنينا على مواصلة النضال بقوة وصلابة من أجل انتزاع مطالبنا العادلة والمشروعة
3-إدانتنا لكل أشكال التوظيفات الزبونية وتشبثنا بحقنا في الشغل والتنظيم.
4-رفضنا لكل حوار ماراطوني لا يستجيب لطموحاتنا.
5-تضامننا مع نضالات كل الشرائح الاجتماعية المقهورة -عمال، معطلين، طلبة ...
6-دعوتنا كل المعطلين والمعطلات لتأجيج النضال على أرضية مطالبنا العادلة.
7-تأكيدنا على أن لا إعمار حقيقي لإقليمنا المنكوب دون الاستجابة للمطالب الفعلية لسكانه بما فيهم حملة الشهادات المعطلين.

وقفة احتجاجية...بسبب التباطؤ الحكومي في تنفيذ البرنامج الاستعجالي

احتجاجا على التباطؤ الذي يطبع عمل الحكومة في تعاطيها مع مخلفات الزلزال العنيف الذي ضرب إقليم الحسيمة يوم 24 فبراير 2004، ومن أجل المساهمة في الضغط على المسؤولين لحملهم على المعالجة الفورية للآثار المترتبة عن الكارثة ، خاصة التسريع في إعادة بناء المنازل المنهارة أو المتضررة ، حيث ما زالت معظم الأسر المنكوبة تنام في العراء...

وتحت شعار:" لنناضل جميعا من أجل حمل الدولة على الإستجابة الفورية لمطالب الساكنة المنكوبة وتنمية المنطقة"،دعا المكتب المسير لفرع الجمعية المغربية لحقوق الإنسان بالحسيمة، كافة المواطنات والمواطنين إلى المشاركة المكثفة في الوقفة الإحتجاجية التي نظمها يوم الجمعة 21ماي 2004على الساعة السابعة مساء أمام مقر الفرع الكائن بشارع وادي المخازن رقم 21. وقد لبت الدعوة جماهير غفيرة من المواطنين والفعاليات المحلية، أظهروا حماسا كبيرا في سبيل مواصلة النضال لأهلها بغاية الاستجابة للتنمية الشاملة للمنطقة وإعادة الاعتبار أهلها خاصة المنكوبين منهم.

آيت بوعياش:

مؤسسة محمد الخامس للتضامن والفصة: أية علاقة؟

تبرعت مؤسسة محمد الخامس للتضامن لفائدة بعض الجمعيات التنموية التي تنشط بالمجال القروي بسيارة من نوع "داسيا"، هذه السيارة التي تحمل رمز المؤسسة المذكورة أصبح البعض منها عبارة عن لوحة إشهارية متحركة والبعض الآخر تستغل من طرف أشخاص لقضاء مآربهم الخاصة.

إحدى الجمعيات الموجودة بتراب جماعة "النكور" وبالضبط بتازوراخت والمهتمة بالتنمية الفلاحية، استفادت هي الأخرى بسيارة من نفس النوع المذكور. هذه السيارة التي تخترق الشارع الرئيس بمدينة آيت بوعياش وهي محملة بالفصة يوميا وبشكل يثير انتباه واستغراب من ألفوا هذا المشهد العجيب الذي يمر أمام أعينهم.

فصة فوق داسيا" أنتج سيلا من التساؤلات والتعليقات، أحد الذين اعتادوا رؤية هذه الصورة الكاريكاتورية علق قائلا: إن هذه السيارة أتت كمساعدة للأبقار باعتبارها منكوبة هي الأخرى ولها الحق في أن تستفيد من المساعدات المقدمة لمنكوبي زلزال الحسيمة.

فطوبى لكل الأبقار التي تعيش مرحلة ما بعد الزلزال ويأتيها البرسيم على متن سيارة من صنع الجنس الأصفر تبرعت بها مؤسسة تحمل رمزا أصفر وترفع شعارا له امتداد في الزمن الماضي والمستقبل "لنتحد ضد الحاجة" حاجة المعوقين والفقراء للمساعدات المادية والعينية وحاجة الأبقار للفصة على متن-داسيا-.

هذا الاهتمام الخاص بالأبقار قد يشكل طفرة نوعية نحو التقدم والازدهار، لمالا والولايات المتحدة الأمريكية التي هي أعظم دولة في الدنيا يقودها رعاة البقر!!!

احتجاج على اقتطاع أجرة يوم واحد لهيئات التدريس بالحسيمة

بعد شهرين و نصف من حدوث زلزال الحسيمة، و بعد اقتطاع إجباري لأجرة يوم واحد من الأجرة الشهرية لجميع موظفي التعليم على المستوى الوطني، بما فيه إقليم الحسيمة. نفذت مجموعة من الفروع المحلية للنقابات إضرابا عن العمل لمدة يوم واحد احتجاجا على هذا الاقتطاع إضافة إلى مطالب أخرى. و بالمقابل قامت إدارات المؤسسات التعليمية بتوزيع مجموعة من المساعدات الغذائية على المشتغلين في قطاع التعليم وهي مكونة من 25كيلو غرام من الطحين، و علبتين من الجبن و لتر واحد من الزيت و كيلو غرام واحد من السكر و ثلاث علب من مصبرات التون و علبتين صغيرتين من الشاي، إضافة إلى لترين كاملين من الحليب. فضل أغلب الأساتذة سحب هذه المساعدات ليتصدقوا بها على من هو أحوج إليها بينما فضل البعض الآخر عدم سحبها نهائيا.

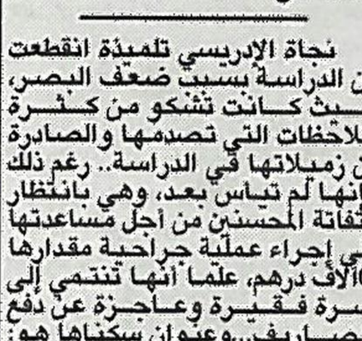
جمعية مهرجون بلا حدود بالحسيمة

في إطار أنشطة الدعم النفسي لضحايا زلزال الحسيمة نظمت الجمعية الإسبانية مهرجون بلا حدود Payasos sin Frontera عدة عروض ترفيهية لفائدة أطفال المناطق المتضررة بزلزال الحسيمة. و ذلك بمساعدة محلية من طرف جمعية MPDL , و قد لقيت هذه العروض تجاوبا كبيرا من لدن الأطفال و المربين مما يدل على النقص الكبير الذي يعاني منه الأطفال في مجال التنشيط خصوصا بالعالم القروي . شملت هذه العروض عدة مدارس بمختلف مناطق الإقليم نذكر منها:مدرسة آيت زكري ،آيت قمرة، ثازغين،آيت داود، مدرسة الرواضي Iو الرواضي II،مدرسة إزمورن II، مدرسة ثافنسة، و آيث هيشم، مؤسسة خوبيانوس Jovellanos، مدرسة علي بن حسون، ملعب جمعية ثانوت بالحسيمة . نتمنى أن تتكرر مثل هذه الأنشطة التي لاقت استحسانا من طرف الجميع.

اللحوم الحمراء ممنوعة على الفقراء بالحسيمة

بالجماعة الحضرية للحسيمة أضرب الجزارون بائعو اللحوم الحمراء عن العمل بإغلاق متاجرهم منذ يوم 10ماي 2004احتجاجا على رفع قيمة الرسوم المستخلصة من طرف بلدية الحسيمة بنسبة 65%دفعة واحدة بحيث أصبح الجزارون مطالبين بأداء 165درهم عن كل قنطار من اللحم بدل 100 درهم سابقا. و لا يرى الجزارون المضربون أي مبرر لمثل هذا الإجراء علما أن البناية المستعملة كمذبحة يعود تاريخها إلى فترة الاستعمار الإسباني و هي مهددة بالسقوط في أية لحظة خصوصا بعد زلزال 24 فبراير 2004و في آخر لقاء للجزارين بممثلي السلطات المحلية قررت هذه الأخيرة زيادة ثمن اللحوم الحمراء ب 10%أي ما يعادل ستة دراهم للكيلو غرام. وهو الأمر الذي سيجعل فقراء الحسيمة ممنوع عليهم أكل اللحوم الحمراء.

طلب مساعدة



يعاني الطفل إبراهيم الطلحاوي البالغ من العمر 4سنوات، من مرض فقر الدم المزمن -THALASSEMIE MAJEURE نتيجة عوامل وراثية، مما يستدعي خضوعه للعلاج بحقنه بالدم مرتين في الشهر على الأقل. ونظرا لعدم وجود الدم بشكل كاف من الفصيلة -B بمستشفى محمد الخامس بالحسيمة، فإن أب الطفل يتوجه بنداء إلى ذوي القلوب الرحيمة للتبرع بالدم لفائدة ابنه وذلك بالتوجه مباشرة إلى المستشفى المذكور أو الاتصال به على الرقم التالي: 066473491والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

وللإشارة فإن هذا الطفل ينبغي أن ينتظر مدة عامين لإجراء عملية على الطحال التي لا يمكن أن تتم إلا بعد بلوغه سن السادسة الذي يتميز بذكاء فائق.

نجاة الإدريسي تلميذة انقطعت عن الدراسة بسبب ضعف البصر، حيث كانت تشكو من كثرة الملاحظات التي تصدمها والصادرة عن زميلاتها في الدراسة.. رغم ذلك فإنها لم تيأس بعد، وهي بانتظار التفاتة المحسنين من أجل مساعدتها على إجراء عملية جراحية مقدارها 6آلاف درهم، علما أنها تنتمي إلى أسرة فقيرة وعاجزة عن دفع المصاريف...وعنوان سكناها هو: شارع الفداء رقم 63الحي الجديد.. الحسيمة.

للمزيد من المعلومات الرجاء الاتصال بمقر جمعية توبا: زنقة تغزوت-رقم 2الحسيمة، الهاتف: 039984101.

ما الذي تنتظره المساعدات الإنسانية في المكتب الوطني للكهرباء؟

لا زالت بعض المساعدات الإنسانية منسية في أحد طوابق مبنى المكتب الوطني للكهرباء بالحسيمة . يتعلق الأمر بما يناهز 80 غطاءا تقريبا و التي كان من المفترض توزيعها على موظفي و أطر المكتب . لكن المسؤولين على توزيعها فضلوا على ما يظهر انتظار فصل الصيف أو زلزال آخر ربما.

تيفراز
□ مدير النشر:
حسن الجرموني
□ رئيس التحرير:
سعيد الغزواني
▪ سكرتير التحرير: عبد المنعم الأزرق
▪ المستشار الفني: عبد القادر السكاكي
▪ هيئة التحرير: جمال المحدالي
الحسن أسويق - محمد الداودي
▪ المتعاونون: محمد بوطسغونت
فريد الحمدوي - رشيد الموساوي
أحمد الشيخي - حكيم مسعودي
▪ رقم الإيداع القانوني:2003/0013
▪ ملف الصحافة:03-1
▪ عنوان المراسلة:
شارع المرابطين رقم 22- الحسيمة
▪ الهاتف:039982250
▪ الفاكس:039980584
▪ رقم الحساب البنكي:
211115360129001 7
البنك الشعبي - وكالة محمد الخامس - الحسيمة
▪ التصفيف والاخراج: تيفراز
▪ السحب: مطابع الميثاق
▪ التوزيع: سوشبريس

رشيد المساوي يستقيل من عضوية المجلس البلدي لإمزورن

أعلن للرأي العام بإمزورن استقالتي من عضوية المجلس الجماعي لبلدية إمزورن للأسباب التالية:

1. كون تشكيل مكتب المجلس خضع فقط لمنطق المصلحة الخاصة مما جعله لا يفكر مطلقا في المساهمة في التنمية المحلية.

2. إن كيفية تعاطي المكتب المسير مع كارثتي فيضانات نونبر وزلزال فبراير جعلتني أقتنع بلا جدوى الاستمرار في متابعة مسرحية معروفة نهايتها.

3. إن قرارات المجلس تتخذ خارجه في تنسيق تام مع الوزارة الوصية دون مراعاة إرادة السكان وانتظاراتهم.

4. حضورنا كمعارضة لايتجاوز عدد أفرادها ثلاثة أشخاص - أصبح يؤدي فقط إلى إطالة الجلسات ما دام أن التصويت تحسم فيه الأغلبية الصامتة والمنتفعة.

وفي الأخير أؤكد احترامي لجميع أعضاء المجلس، وتقديري لبعضهم فقط، وأملي أن تنتفض ضمائرهم خاصة وأن أغلبهم يعرف ما يجري داخل وخارج المجلس من تصرفات لا تمت إلى السياسة والأخلاق بصلة.

توقيع: رشيد المساوي

أشغال المجلس الإداري للأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة تازة/ تاونات والحسيمة

نظمت يوم 26/04/2004 الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة تازة/تاونات والحسيمة بقاعة الاجتماعات بمقر ولاية الجهة، الدورة الثانية للمجلس الإداري للأكاديمية الجهوية تحت شعار " دعم اللاتمركز وترسيخ نهج القرب من أجل النهوض بالمنظومة التربوية الجهوية"، برئاسة السيد وزير التربية الوطنية والشباب، في جلستين:

الجلسة الصباحية، التي تميزت بتوقيع اتفاقيات شراكة بين الأكاديمية في شخص مدير الأكاديمية السيد محمد الحامي ومجموعة من الأطراف:

- اتفاقية شراكة مع وكالة تنمية الأقاليم الشمالية التي مثلها السيد بنهيمة، تهم مجال إعادة وإصلاح المؤسسات التعليمية وجعلها جاهزة للموسم الدراسي المقبل بغلاف مالي يقدر ب 22مليون درهم كبرنامج استعجالي. داعما لاستراتيجية تنموية تسعى للرقي بالمنظومة التربوية إلى مجال أوسع.
- اتفاقية شراكة بين اتحاد التعليم والتكوين الحر بالمغرب مثله السيد ع الله خميس كرئيس ووزارة التربية الوطنية والشباب في شخص السيد الوزير لحبيب المالكي تهدف إلى تاهيل مدرستي إمزورن 2والحسن الأول بإمزورن، ومدرسة ابن خلدون ببني بوعياش، حيث يخصص الطرف الأول مبلغا ماليا قدره 1.005.000درهم لتنفيذ المشروع.
- اتفاقية شراكة بين الأكاديمية وشركة سنا للتأمين التي مثلها السيد سعيد احميدوش كمدير عام للشركة، يعمل بموجبها الطرفان على تاهيل مدرستي آيت قمرة وإزفزافن بجماعة آيت قمرة، بغلاف مالي قدر في حدود 500.000درهم.
- اتفاقية شراكة مع الجمعية الخيرية الإسلامية/دار الطالب بالقرية، والتي تهم إطعام وإيواء التلميذات(في حدود 100تلميذة) بالمؤسسات التعليمية بالقرية، وذلك لتسهيل ظروف متابعتهن للدراسة.

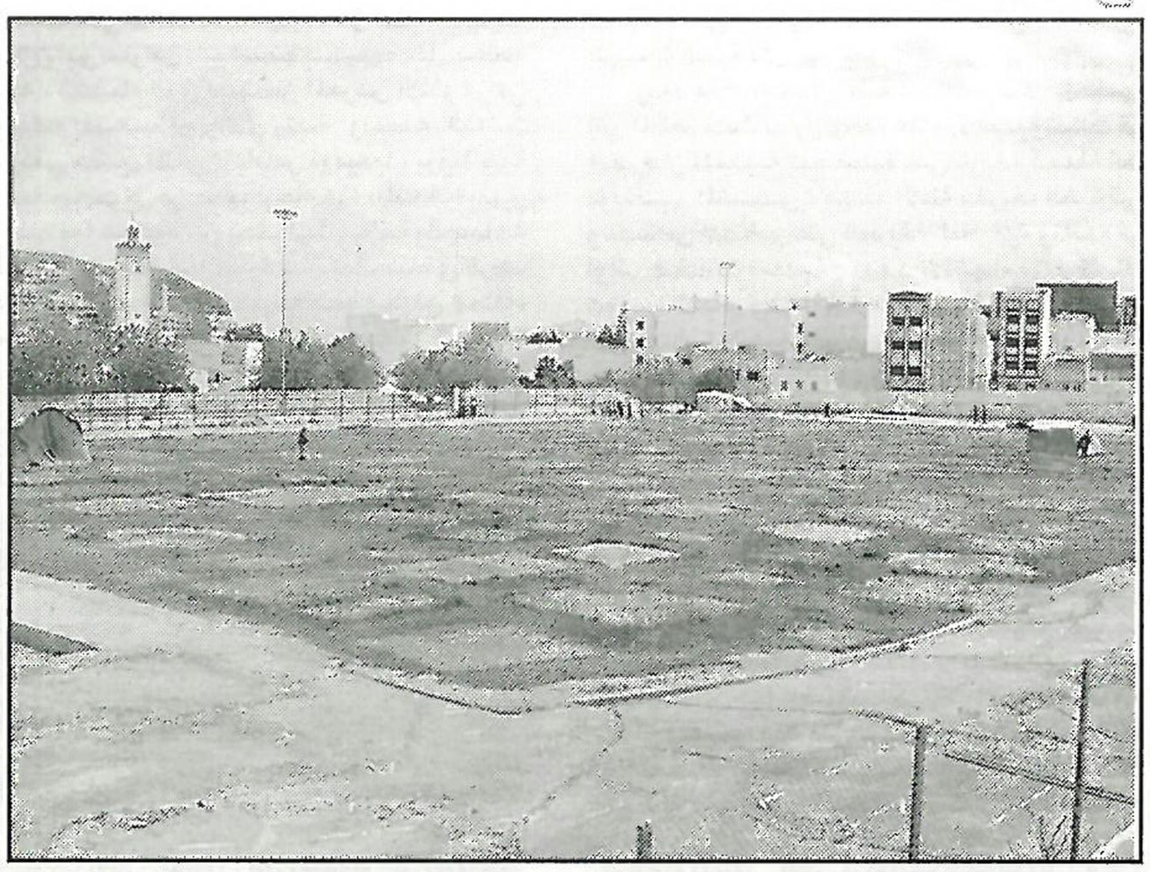
الجلسة المسائية: والتي انطلقت على الساعة 16:40وفق برنامج الأشغال التالي:

- افتتاح أشغال الدورة بآيات بينات من الذكر الحكيم.
- كلمة السيد والي جهة تازة- الحسيمة- تاونات
- كلمة السيد وزير التربية الوطنية والشباب
- كلمة السيدة الوزيرة المكلفة بمحاربة الأمية والتربية غير النظامية.
- عرض السيد مدير الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين.
- قراءة التقرير التركيبي لأشغال اللجن المنبثقة عن المجلس.

لتتم بعد ذلك المناقشة العامة لما ورد، لتختتم الأشغال بتلاوة البرقية المرفوعة إلى صاحب الجلالة محمد السادس.

ف.الح

عين قيفراز



الملعب البلدي

كل ابناء الحسيمة يدركون ان هذا الملعب البلدي اليتيم، قد ورثناه عن المستعمر الاسباني ، وكلنا نعرف أن مافيا المخلس البلدي السابق كانت عاقدة العزم على تحزينه (أي اقامة تجزئة على أرضه لولا ألطاف الله والعباد)، والكل يعرف أيضا أنه بعد نضالات مستميتة من قبل الفعاليات الرياضية والثقافية والاجتماعية للمدينة تم تخصيص ميزانية لتهيئته وإصلاحه بلغت تكلفته الإجمالية 115 مليون سنتيم.

وبعد كل ذلك، هل يحق لنا أن نعبث به بهذه الطريقة اللاأخلاقية الفجة؟ إنه خطأ من؟؟

التعليق من عندكم.

جمعية أذوز للتنمية والتعاون والمحافظة على البيئة

نموذج للجمعيات الورقية

تأسست جمعية أذوز للتنمية والتعاون والمحافظة على البيئة سنة2001، ومنذ تاسيسها لم تعقد أي اجتماع مع أعضاء الجمعية الذين يبلغ عددهم 15عضوا، بحيث لم تعقد أي جمع عام، رغم أن قانونها الأساسي ينص بشكل واضح على عقد اجتماع للمكتب المسير مرة في الشهر مع عقد جمع عام كل سنة، بغرض تقديم التقريرين الأدبي والمالي والمصادقة عليهما. وللإشارة فإن رئيس هذه الجمعية غائب باستمرار عن الدوار، في الوقت الذي بات فيه بعض أعضاء الجمعية خارج أرض الوطن من دون أن يطرح هذا الأمر أية مشكلة. بالمقابل فإن المنخرطين تعبوا من المطالبة بالكشف عن مدا خيل الجمعية المذكورة وعدد بطائق الانخراط لكن بدون جدوى. وإلى غاية كتابة هذه السطور لم تعمد الجمعية إلى فتح أي حساب بنكي باسمها، كما لم تقم بأي مبادرة تذكر ولم تبذل أي مجهود لأجل التنسيق مع جمعيات أخرى لها نفس الأهداف.

ولئن كانت أغلب الجمعيات والهيئات المنتمية للمجتمع المدني قد شمرت عن سواعدها إثر الزلزال الذي ضرب إقليمنا مؤخرا، فإن جمعيتنا المذكورة قد شذت عن القاعدة، إلى درجة أن ساورنا الشك في مصداقيتها، خاصة وأنها لم تقدم أي مساعدات أو خدمات لسكان دوار آذوز المتضرر على غرار باقي دواوير الإقليم الأخرى. وقد لا نستغرب من هذا الأمر في حالة ما إذا أدركنا أن جل أعضاء الجمعية لا يتوفرون على الحد الأدنى من التعليم. أما السؤال المطروح في هذا الإطار، فهو: هل تأسيس هذه الجمعية كان لأهداف شخصية مرحلية فحسب؟ لاسيما وأن أضعف الإيمان يحتم عليها الدعوة ولو مرة واحدة، على الأقل، إلى يوم تحسيسي تطوعي لجمع النفايات والأزبال وتشذيب الأشجار والصبار الذي بات يعيق مرور ساكنة الدوار...إنه أضعف الإيمان.

مصطفى حسوني/منخرط

تأسيس إطار جمعوي محلي بآيت بوعياش

شهدت مدينة آيت بوعياش بإقليم الحسيمة ميلاد إطار جمعوي يحمل اسم "جمعية آيت بوعياش للتنمية والتضامن" وذلك عقب جمع عام حضرته فعاليات محلية، تدارست خلاله السياق العام والشروط الموضوعية والذاتية التي تاتي فيه هذه المبادرة التأسيسية ومناقشة مضامين القانون الأساسي والمصادقة عليهما ثم انتخاب أعضاء المكتب المسير الذي جاء على الشكل التالي:

× الرئيس: عبد الله أكروح
× نائب الرئيس: عبد الحاكيم بن شماس
× الكاتب العام: محمد بوطسغونت
× نائبه: محمد ابن الحاج
× أمين المال: الوافي الزغاري
× نائبه: مصطفى بن حدو
× المستشارون: أحمد الصديقي-عبد الباقي فاتحي-فؤاد أزرقان-نور الدين الفقيري-محمد الكريمي.

تأسيس "جمعية أشبار للتنمية والتعاون: دوار إدردوشن/ إمرابطن:

في إطار تفعيل دور المجتمع المدني المستقل، وإشراك السكان في تنظيم أنفسهم، والبحث الجماعي عن أحسن الحلول لحل قضاياهم ومشاكلهم، تم عقد جمع عام تاسيسي بإعرناسن بدعوة من اللجنة التحضيرية ، وذلك يوم: 06/05/2004 لتاسيس إطار جمعوي مستقل يهتم بقضايا الساكنة على الصعيد التنموي مبني على أسس التعاون.

وبعد تقديم التقرير العام ، ثم الانتقال إلى مناقشة مشروع القانون الأساسي وإغنائه ، والذي تمت المصادقة عليه بالإجماع . وبعد استقالة اللجنة التحضيرية ، تم فرز الهياكل التنظيمية للجمعية ومنها المكتب المسير الذي جاء على الشكل التالي:

- الرئيس: محمد الشيخ
- نائبه: إدريس الأديبي
- الكاتب: أحمد الأديبي
- الأمين: فكري السهلي
- نائبه: عبد الاله البرحوتي
- المستشارون: صالح الشيخ - مختار البرحوتي.

إطلالة على جمعيات المجتمع المدني

من الطبيعي أن نجد كل الكائنات الحية تستعد لاستقبال مواليدها الجدد كل حسب جنسه ونشأته ثم التفاني في خدمته حتى يتمكن من ممارسة حياته سواء كان هذا المولود من صنف البشر أو الحيوان أو الطيور، وذلك لتثبيت انتمائه وهويته، هذا السلوك الفطري ينطبق حتى على التنظيمات السياسية والنقابية والاجتماعية. فبالنسبة للمولود الجديد في مجتمعنا الذي عرف بجمعيات المجتمع المدني، مولود نباركه ونتمنى له كل التوفيق في خدمة مصلحة هذا المجتمع الذي سمي باسمه. فحاجتنا لهذا النوع من التنظيمات حاجة ملحة، ولكن على أساس أن تنطلق طبقا لقواعد ثابتة لا تتعارض وقيم هذا المجتمع ووجوده، وذلك بالحفاظ على أصالته. وسيتحقق ذلك إذا التزمت بالقواعد التالية:

- **احترام تقاليد المجتمع والعمل على ترسيخ هويته العميقة في التاريخ التي بدونها لا يكون لهذا المجتمع ولا لهذه الجمعيات وجود.**
- البحث عن موارد ذاتية للتسيير وأن تعتبر المساعدة التي تقدم لها من طرف الجمعيات الأجنبية أو الوطنية، هي مساعدات ظرفية حتى تقف على أرجلها. وألا تصبح أداة تمرر بواسطتها الأهداف الانحرافية عن الواقع المحلي والوطني بصفة عامة، وتصبح كما يحلو للبعض أن تسميها(بجمعيات تبشيرية لاقدر الله).
- أن يكون هدفها تنمية الوسط الذي تنتمي إليه وتمثله، وذلك بالبحث عن مشاريع تنموية مدروسة للنهوض بالمنطقة وإخراجها من التخلف الذي تتخبط فيه. فالجمعيات الأجنبية إن أرادت فعلا مساعدة هذه الجمعيات، عليها أن تمدها بدراسات خاصة لتنمية المنطقة، وتعمل الجمعيات المحلية على تقديمها إلى الجهات المختصة مع المساهمة في الدراسة والتنفيذ. فمثلا:
- إن كانت الجمعية تنتمي إلى الوسط القروي، عليها أن تطلب المساعدة لإيجاد الحلول لفك العزلة التي يعاني منها المجتمع القروي والإقليم بصفة عامة. وذلك بشق الطرق بين القرى وربطها بالمدن والإقليم ببقية أجزاء الوطن.
- العمل على إنشاء السدود التلية التي كان أسلافنا يسمونها ب"أغلمام"، وهي أحواض لجمع مياه المطر، ولكن يجب أن تكون مشيدة على الشكل الحديث.
- إنشاء تعاونيات فلاحية انتاجية وصناعية فلاحية، ومساعدة الفلاح لاستصلاح أراضيه للزيادة في الإنتاج، وغيرها من المشاريع التنموية.

أما إذا كانت الجمعية تنتمي إلى الوسط الحضري عليها طلب المساعدة لإنشاء تعاونيات صناعية وتجارية لكي يستفيد منها أكبر عدد ممكن من الساكنة.

هذه بعض الأهداف التي يجب أن تعمل جمعيات المجتمع المدني على تحقيقها والعمل من أجلها لتكون فعلا تمثل المجتمع المدني وتعمل من أجله. أما إذا بقيت تستهلك ما يقدم لها من طرف الجمعيات الأجنبية، فعندئذ ستكون عبارة عن أداة لتلك الجمعيات لتحقق بها أهدافها التي لا تختلف عن الأهداف الاستعمارية القديمة بحلة جديدة. فالعولمة التي ينادي بها الغرب ما هي إلا وجه آخر من الاستعمار الروحي بعدما تحقق له الاستعمار المادي.

ففي نظري المتواضع، على الجمعيات المعنية أن تتوخى الحذر في التعامل مع الجمعيات الأجنبية وأن لا تغر بالسخاء المادي الذي تظهره تلك الجمعيات. وعليها أن تؤمن بانه ليس هناك عطاء دون مقابل سواء آجلا أم عاجلا. فلا داعي من تكرار ما وقع للمغرب خلال القرن التاسع عشر، عن طريق ما كان يسمى بالمجلس الصحي الغربي المشؤوم بطنجة، الذي كان يتظاهر بمساعدة المغرب على مواجهة الأمراض الفتاكة التي كانت منتشرة آنذاك. ولكنه في الواقع يعمل على مساعدة الدول الغربية التي ينتمون إليها لاحتلال المغرب وتمزيقه فيما بينهم. وعندما تحقق له ذلك وقع حله. وما زال المغرب إلى حد الآن يعاني من هذا التمزق.

وفي الأخير، لابد من الإشادة بالدور الإيجابي الذي قامت به هذه الجمعيات في إقليم الحسيمة خلال نكبة الزلزال خصوصا في القرى النائية، وذلك بتقديم الإسعافات الأولية للمصابين، وتوزيع المساعدات والتنسيق مع الجمعيات الوطنية والأجنبية. وبذلك، فإننا نشجعها على الاستمرار في العطاء وذلك بتكثيف اللقاءات، والتجمعات والمشاورات مع الساكنة التي يمثلونها للتداول في الحاجيات الملحة والعمل على تحقيقها قدر الأمكان، إما عن طريق أوراش جمعوية تشرف عليها تلك الجمعيات أو مطالبة الجهات المعنية بتحقيقها مع المساهمة من طرف المجتمع المدني بشكل من الأشكال.

حمادي البضموسي

وفد من مدينة روتردام الهولندية في ضيافة مجموعة "تاوسنا"

قام وفد يضم عدد من رجال الثقافة والفن والسياسة ومستشارين جماعيين ينتمون إلى مدينة روتردام الهولندية ، والمنضوين تحت لواء منظمة (أرضية المنظمات الأجنبية) ومبادرة من جمعية الجسر التي يوجد مقرها بنفس المدينة ، بزيارة/رحلة ثقافية للمغرب ، امتدت من فاتح ماي 2004 إلى غاية الثامن منه، والتي تدخل في إطار التحضير لسنة المغرب التي سيتم الاحتفاء بها في هولندا خلال السنة القادمة/ 2005، تخليدا للذكرى المائوية الرابعة للعلاقات الديبلوماسية بين البلدين.

هذه الرحلة شملت عدة مدن مغربية للوقوف على غنى وتعدد مكونات الثقافة المغربية وروافدها الأساسية، ومن بين المدن التي كانت المحطة الأولى لهذه الرحلة، نجد مدينة العروي والتي استقبلت هذا الوفد يوم السبت فاتح ماي 2004، ابتداء من الساعة الثالثة بعد الزوال ، ساعة استقباله بمقر بلدية العروي ومنسق مجموعة «ثاوسنا» لتوثيق الموروث الثقافي بالريف الشرقي (الهياة التي استضافت الوفد) ، تلاها كلمة للوفد الهولندي ألقاها السيد : المحجوب بن موسى، وكل الكلمات أشادت بالعلاقات الثنائية على المستوى الرسمي ، والتي تتعزز سنة بعد سنة كما طالبوا بتوسيع هذه العلاقات ، لتشمل الديبلوماسية الشعبية وهذا يتطلب مد الجسور بين الهيئات المدنية والجمعوية المتواجدة في البلدين . وبعد ذلك وبنفس الفضاء كان للوفد لقاء مع الأستاذ عبد الله شارق ممثلا لفرع اتحاد كتاب المغرب بالناضور والذي قدم عرضا مقتضبا ومفيدا حول بعض التجليات الثقافية المحلية في الحياة اليومية والروابط المتينة التي تجمع الإنسان بالريف بالأرض والطبيعة وبالآخر ، ومن خلال هذا العرض القيم مهد الأستاذ لقراءتين شعريتين باللغة الأمازيغية لكل من الشاعرين : عبد الرحيم فوزي و سعيد أقضاض ، واللتان نالتا إعجاب واستحسان الحاضرين من فعاليات ثقافية محلية وممثلي الجالية المغربية المقيمة بمدينة روتردام المرافقين للوفد الهولندي خلال هذه الزيارة وكان هناك تفاعل مع القصيدتين من حيث المضمون وطريقة الإلقاء.

وللإطلاع على بعض فضاءات مدينة العروي ، كانت هناك جولة للوفد الذي تنقل عبر أرجاء المدينة بواسطة حافلة سياحية ، وهذه الجولة قادته إلى بعض المعالم التاريخية من بينها: الباب الرئيسي للسوق التقليدي الأسبوعي، أكبر الأسواق بالريف الشرقي بعد سوق تمسمان، وإلى الحي القديم حيث لا زال المعمار الإسباني / الأندلسي شاهدا على فترة تاريخية هامة ، وبهذا الفضاء كانت هناك دور تعايشت فيه الديانات السماوية الثلاث(اليهودية، المسيحية، الإسلامية) جنبا إلى جنب دون أي تعصب أعمى، بل كان المتدينون بمختلف الديانات يتبادلون التحايا والتهاني بمناسبة الأعياد الدينية الخاصة بكل طائفة ، وبعد هذه الجولة داخل الفضائيات التاريخية للمدينة ، توجه الوفد إلى خارج المدينة وبالضبط إلى إحدى المزارع العصرية والتي هي في ملك السيد أحمد البركاني، وتعد هذه المزرعة من بين المزارع النموذجية بالمنطقة من حيث اعتمادها على التقنيات الفلاحية المعاصرة، سواء في مجال الري عبر اعتماد تقنية التقطير Goutte à goutte أو بناء صهاريج كبيرة لادخار وخزن المياه وهي تقنيات تناسب المناخ المعروف بقلة التساقطات ودورات الجفاف المتعاقبة ، وتاتي باكلها فيما يخص زراعة الأشجار المثمرة من برتقال وعنب وخوخ، هذه الفاكهة الأخيرة استمتع بها جل أعضاء الوفد الهولندي ، إذ أن زيارتهم للمزرعة تزامن وموسم جني هذه الفاكهة ، وهذا ما جعلهم يتناولونها بشراهة ويستمتعون بها قطفا وجنيا واكلا، وبعد الطواف بمختلف أرجاء المزرعة خصص لهم حفل استقبال تناولوا أثناءه الفطائر التقليدية والعسل الطبيعي .

وحوالي الساعة السادسة مساء ، كان لهم موعد مع الأنغام والإيقاعات الموسيقية المحلية، إذ على هذه الإقاعات التي كانت تصنعها أنامل أعضاء فرقة إمديازن أبو عازافن ، تم استقبالهم بمدخل محطة الراحة ، الفضاء الذي احتضن المعرض الإثنوغرافي بأروقته المتعددة ، والذي رتبه ونظمه الناشط الأمازيغي حسين أقلعي / باباس نوميديا ، برؤية فنية إبداعية جعلت كل من طاف أرجاء هذا «المتحف» يبدي إعجابه بما شاهده من تحف لها علاقة بالصناعة التقليدية المحلية المنتشرة بمختلف مناطق الريف الشرقي من فخار ومعدات منزلية مصنوعة من الحلفاء والخشب ... وأغراض أخرى مصنوعة من الصوف كالزرابي والأغطية التقليدية/إفراشن ... وأنماط المعمار الريفي التقليدي كان حاضرا في هذا المعرض عبر الصور الفوتوغرافية التي التقطتها عدسة الفنان : الحسين أقلعي والذي استطاع من خلال هذا العمل أن

أهم العبر والدروس المستخلصة من تهذه الزيارة والتظاهرة الثقافية المصاحبة لها ، هو أنها أبانت على أن الفعل الثقافي لم يعد حكرا على الجهات الوصية على الشأن الثقافي وأن السياحة الثقافية لم تعد حكرا على المدن التقليدية أمثال : فاس ، مكناس ، الرباط، مراكش ، أكادير...

يوثق خطوة هذه التحف المعمارية بعد أن دمر معضمها الزلزال الأخير الذي ضرب منطقة الريف وبالخصوص إقليم الحسيمة . ومما زاد القيمة الفنية والجمالية لهذا المعرض وبعده الإثنوغرافي والأنتربولوجي ، هو وجود إحدى النساء الريفيات المرتدية لزي محلي تقليدي ومتزينة بالحلي الأمازيغية العريقة، والتي قامت بتشخيص جوانب مختلفة من الحياة اليومية للمرأة الريفية ، فمن استخدامها للمطحنة التقليدية إلى غزل الصوف لصنع الزرابي والألبسة والأغطية / إفاراشن لاتقاء برودة فصل الشتاء ، وهذه اللوحات والمشاهد جعل هذا المعرض كانه قطعة من الحياة اليومية للمجتمع الريفي ، اختزلت في هذه العادات والتقاليد طقوس الضاربة جذورها في أعماق التاريخ ، وبعد الطواف بمختلف أروقة المعرض ، أنتقل بعد ذلك الحضور إلى ساحة مجاورة ، عبارة عن فضاء مفتوح / مساحة خضراء خاص بالعائلات والأطفال ، حيث تم الإستمتاع بارتشاف الشاي التقليدي وبالأنغام والإقاعات الموسيقية الخاصة بوهاد وجبال وسهول الريف، وهكذا تشكلت لوحات ومشاهد من الفلكلور المحلي مشخصة في رقصات وأهازيج محلية على إيقاع : رالا بوبا ، وهذه الإقاعات حركت وجدان الفنانة الهولندية من أصل شيلي ذات الألبومات المتعددة جاكلين كاسترو رافيلو Jacqueline Castro ravelo واندمجت مع فرقة إمديازن بأنغامها ورقصاتها المختلفة ، واستعانت بقيثارتها لتبدع نوتات موسيقية تناغمت وانسجمت مع إيقاعات إمذيازن ، وهذا ما أطرب الحضور وجعله يرقص على هذه الإقاعات ، ولدت لحظة الإندماج الفن الإببيري بالفن الريفي الأمازيغي والتي جعلت منه سنابل تتمايل على سنائم الربيع كما هو واقع في الحقول المجاورة بهذا الفضاء وما زاد الفضاء رونقا وجمالا هو تلك الأشعة الفضية التي نسجها القمر خلال تلك الليلة السحرية الربيعية الفنية بكل المقاييس .

وبعد هذه الأمسية الفنية الممتعة ، انتقل الحضور إلى المطعم حيث تناول وجبة عشاء تقليدية تمثلت في الخرفان المشوية المحضرة على طريقة قبيلة أيت بويحيى المشهورة بهذه الأكلة بالريف الشرقي، والكسكس المحضر على الطريقة التقليدية والمقدم في أواني فخارية محلية ، وبعد الانتهاء من ارتشاف كؤوس الشاي وهي عادة مصاحبة لتلك الوجبات التقليدية ،كان هناك عرض شريط وثائقي عبارة عن صور فوتوغرافية ثابتة ، يحكي عن الحياة اليومية للمجتمع الريفي بمختلف قبائله ، المتنقلة منها والمستقرة وهذه الصور تعود إلى أواخر العشرية الثانية من القرن الماضي وهي بعدسة الفنان الإسباني من أصل إنجليزي يدعى:CONBATCHE، وهي عبارة عن وثائق تاريخية صورت وتحدثت عن الريف الشرقي إنسانا ومجالا وثقافة كما جاء في التعليق المصاحب لهذه العروض والذي قام به المهتم بالتاريخ المحلي للمنطقة الأستاذ :الحسين بوجدادي ، وبعد الإنتهاء من هذا العرض الذي نال إعجاب الوفد الهولندي تم توديعه على الساعة الحادية عشرة ليلا على نغمات إيقاعات فرقة إمديازن ، والساعات الثمانية التي قضاها الوفد بمدينة العروي ، جعلته يكتشف جوانب مهمة من ذات وهوية للمجتمع الريفي ، وما كان يعرفه ولا يعرفه عن موروثه الثقافي التليد وتاريخه العريق الذي تكالبت عليه السياسة والطبيعة حتى عد من بين المنسيات ، وجعلت منه مجتمعا يعشق الهجرة والمغامرة للبحث عن حياة أفضل ، لأنه كان يحتقر ويقلل من شانه لأنه ينظر إليه بعيون الآخر المتعالي الوافدNARZAf.

وأهم العبر والدروس المستخلصة من تهذه الزيارة والتظاهرة الثقافية المصاحبة لها ، هو أنها أبانت على أن الفعل الثقافي لم يعد حكرا على الجهات الوصية على الشان الثقافي وأن السياحة الثقافية لم تعد حكرا على المدن التقليدية أمثال : فاس ، مكناس ، الرباط، مراكش ، أكادير... بل إن الهامش المهمش بإمكانه أن يجعل من المهملات الثقافية إنشغالات راهنية يحتاج إليها السائح الأجنبي لمعرفة وسبر أغوار الثقافة المغربية ذات العمق التاريخي المشهور بتعدد روافدها ومكوناتها ، إذا ما قدمت إليه بمسحة إثنوغرافية ممزوجة بنظرة أنتروبولوجيا وليس برؤية فولكلورية اختزالية يغلب عليها الطابع العجائبي ، وهكذا استطاعت مجموعة تاوسنا لتوثيق الموروث الثقافي بالريف الشرقي وبتعاون مع الناشط الأمازيغي : حسين أقلعي ، أن تدحض خطاب النخبة العليلة بفكر سياسي متاكل ومتقادم وشائخ ومتجاوز، والتي كانت تجعل من الثقافة الشعبية تيمة منبوذة لا مفكر فيها بفعل خضوعها لسيادة ثقافية سياسية شرقانية/ متمركسة والتي تخوض معارك وهمية ضد خصوم وهميين على حد تعبير المناضل أحمد البلعيشي ، قلنا استطاعت المجموعة أن تعيد الإعتبار للثقافة المحلية وأكدت بالملموس أن تلك الثقافة كنز وثروة بإمكانها أن تخدم التنمية المحلية ، ولهذا نقول على أن الوقت قد حان لنترك الساحة للذين ولعوا بخدمة الثقافة المحلية وبتجميع الموروث الثقافي الذي يندثر أما أعين الجميع ولا من يحرك ساكنا ، هؤلاء مولعين بتحويل الأفكار إلى أعمال تلمس في الميدان لا الإنغماس في احتراف النميمة اليومية وامتهان لغو المقاهي الذي لا يفيد إلا في وصف هؤلاء بأنهم ظاهرة صوتية لا يجيدون إلا الثرثرة وهدم أعمال الآخرين كأنهم وجدوا لإزعاج الآخرين على حد تعبير فقيد الادب العالمي الرحيل محمد شكري.

تغطية الحسين بوجدادي

منسق مجموعة ثاوسنا لتوثيق الموروث الثقافي بالريف الشرقي .

المجلس الجماعي لآيث يوسف وعلي

تحويل معونات الزلزال الى ضيعات خاصة

توصلنا في الجريدة ببيان استنكاري من ثمانية أعضاء ينتمون للمجلس الجماعي لآيث يوسف وعلي، جاء فيه:

نحن مجموعة من أعضاء المجلس الجماعي لآيث يوسف وعلي الموقعين أسفله:

نستنكر خرق القانون الداخلي والميثاق الجماعي في تدوين محضر دورة أكتوبر 2003حيث تمت صياغة هذا المحضر حسب هوى الرئيس ومزاجه، فاقصى مداخلات بعض المستشارين وحرف بعضها، فلم يدون مثلا انسحاب أحد المستشارين عندما منعه من التحدث بالأمازيغية، كما لم يدون انسحاب مجموعة من المستشارين بعد ذلك احتجاجا على هذا السلوك، بل الأدهى من ذلك أن تجد في المحضر تدخل أحد المستشارين وهو غائب عن الجلسة. والغريب في الأمر أن الرئيس رفض تصحيح هذه الخروقات رغم اعترافه بها، إلا بعد تدخل السلطات المحلية في شخص رئيس الدائرة وقائد ملحقة آيث يوسف وعلي. حيث تم الاتفاق على تصحيح ما اعتبر أخطاء مادية على أن يكون ذلك في دورة أبريل 2004.

نستنكر السلوكات الانتهازية التي تعامل بها بعض مسؤولي جماعة آيث يوسف وعلي مع مسالة توزيع المساعدات المرتبطة بالزلزال الذي ضرب الإقليم، حيث كان هؤلاء يعمدون إلى تحويل المعونات إلى ضيعات خاصة لتوزيعها في ساعات متاخرة من الليل على ذويهم وأتباعهم. والجدير بالذكر أن هذا الملف ما زال قيد البحث لدى السلطات المختصة.

نستنكر الكيفية التي صرف بها الفائض المالي لهذه السنة، ففي الوقت الذي ينتظر فيه السكان بآيث يوسف وعلي أن يخفف عنهم المجلس الجماعي بعض الأضرار التي لحقت بهم بفعل الزلزال العنيف الذي أفقدهم كل شيء، راح هؤلاء يجتمعون في إحدى المقاهي ليوزعوا كعادتهم الفائض بالطريقة التي وزعوا بها المساعدات "الزلزالية".

التوقيعات: خالد الطرهوشي، سعيد بنحدو، سليمان بوبوح، أحمد اليحيائي، جمال الزعيم ، امحمذ أوفقير، محمد حتاش، نجيب أعراص.

شكاية مرفوعة إلى السيد الوالي

توصلنا بشكاية من أعضاء المجلس البلدي وممثلي المجتمع المدني المكونين للجنة الحوار مع السيد الوالي تحمل 18 توقيعا، جاء فيها:

«نحن الموقعون أسفله أعضاء المجلس البلدي وممثلي المجتمع المدني المكونين للجنة الحوار مع السيد الوالي، في إطار توزيع المساعدات المقدمة لبلدية أيت بوعياش(الخيام)، نصرح أننا تعرضنا للضرب والإهانة والتهديد من طرف دركيين مكلفين بحراسة مدخل البلدية أثناء التحاق اللجنة المذكورة بقاعة الاجتماعات لتحديد كيفية توزيع المساعدات المذكورة، حيث تعرض رئيس المجلس البلدي والسيد أحلي جابر والسيد الحنكاري ع المنعم والسيد قداش امحمد للضرب والدفع والسب من طرف الدركيين المذكورين. وبناء على ما سبق، نستنكر وبشدة هذا الأسلوب العنيف والمنافي لأخلاقيات المهام الأمنية.

وفي انتظار اتخاذ الإجراءات اللازمة والضرورية، تقبلوا منا السيد الوالي فائق التقدير والاحترام. »

جماعة أربعاء تاوريرت

برنامج التهجير دخل حيز التنفيذ

تتسم جماعة أربعاء تاوريرت بوعورة مسالكها الطرقية وبتضاريسها التي يغلب عليها الطابع الجبلي، هذه الجماعة القروية لم تتمكن من إنجاز مشاريع تنموية تساهم في الإقلاع الاقتصادي وتشجع على الاستقرار وذلك لقلة مواردها المالية كما هو الشأن لباقي الجماعات القروية الأخرى. وسعيا وراء إبراز دور المرأة وتأهيلها للاندماج في النسيج الاقتصادي المحلي، ثم بناء نادي نسوي إلا أن هذا المرفق الحيوي وبعد أزيد من سنة ظل مغلقا وهو في نظر الساكنة عبارة عن بناية ليس إلا.

دوار آيث يوسف الذي يعد أبعد نقطة في منطقة أربعاء تاوريرت عرف مشاداة كلامية بين سكان الدوار وممثلي السلطة المحلية نتيجة إجراء الخبرة التقنية التي تمت بشكل انتقائي مما أثار استياء السكان. هذا الدوار المعروف بتشبث أهله بأرضهم الهزة الأرضية التي عرفها إقليم الحسيمة وإن لم تخلف خسائر في الأرواح على مستوى هذه الجماعة إلا أنها تسببت في أضرار مادية كبيرة ولاسيما في البنايات والمساكن.

واعتزازهم بالانتماء إلى هذه الجماعة لم تعد له الآن المقاومة الكافية للبقاء على هذا الوضع، خاصة وأن حلمهم بفك العزلةعلى هذه المنطقة، وذلك بإنشاء شبكة طرقية تسمح لهم بالتنقل بسهولة، لم يتحقق. مما قد ينتج عنه هجرة نحو المناطق الحضرية ونحو جهات خارج الإقليم.

وضع جماعة أربعاء تاوريرت في دائرة الاستثناء من البرنامج التنموي الذي يستهدف الإقليم سيكون كارثة إن لم نقل قصورا في الرؤية لدى الجهات المتحكمة في مصير البلاد والعباد.

ترجيست:

نادي الشباب: بين الاستغلال غير القانوني وصمت الجهات الوصية

يعرف عقار أراضي الثكنة العسكرية بمدينة تارجيست وضعا شاذا فتح ولا يزال شهية سماسرة العقار ولوبي الفساد بالمدينة الذين ما فتئوا يتحينون الفرص للاستيلاء عليه. وقد شكل السطو على جزء مهم من هذا العقار المعروف بنادي الشباب من طرف رئيس المجلس البلدي نموذجا صارخا لسرقة أملاك المواطنين في واضحة النهار دون حسيب أو رقيب. وتعود التفاتة خلق نادي الشباب بترجيست إلى أحد القواد الذين اشتغلوا بالمدينة نهاية السبعينات وكان مشهودا له بالتفاني في خدمة الساكنة؛ وفي ظل انعدام فضاء للشباب التمس من المسؤولين العسكريين بالحسيمة استغلال البناية الموجودة بشارع الجيش الملكي سميت فيما بعد نادي الشباب الذي تحول لمعلمة ثقافية وفنية وشمت فترة مهمة من تاريخ المدينة لازال العديد من أبنائها يحتفظون بذكرياتها. لكن بقدرة قادر وفي غفلة من شرفاء المدينة والغيورين على تراثها تحول هذا النادي لمقهى ونادي للألعاب في ملكية رئيس المجلس البلدي يستغله دون أية رخصة وبدون سند قانوني يثبت ملكيته له أو كرائه والذي بموجبه تمنح الرخص التجارية. في استهتار خطير بالقوانين المنظمة لقطاع التجارة!؟ بل إن امتياز استغلاله كان مقيدا بشرط أساسي هو بقاؤه مفتوحا في وجه الأنشطة الثقافية التي تقيمها فعاليات المدينة. وقد تعرض هذا النادي بتاريخ 09/07/98 إلى حريق يتداول وسط الشارع التارجيستي أنه كان مقصودا هدف منه مرتكبه البحث عن مدخل لإعادة بنائه بتواطؤ مكشوف مع السلطات المحلية والاقليمية ومسؤولين آخرين بالحسيمة مكلفين بدور الرقابة على هذه الأملاك. بل إن رئيس المجلس البلدي وفي تحد سافر للقوانين المنظمة للتعمير وبتواطؤ مع رئيس القسم التقني بالبلدية اسخرجوا رخصة بناء وهمية تحمل رقم 739/98 كتب عليها بالحرف "المجلس البلدي يقوم بإصلاح النادي"، علما أن بناية النادي لا تدخل في أملاك البلدية وحتى لاتعرف الساكنة والملاكون الأصليون من هو صاحب الرخصة، ولاالجهة التي طلبت الترخيص وتكلفت بإعادة بنائه!؟ حيث بوشرت الأشغال ليلا مع احتجاجات سكان مراحة بصفتهم المالكين لهذا العقار ذي الرسم الخليفي رقم 308 والذين تعرضوا لتهديد صريح من طرف المسؤولين لإلباسهم تهمة الحريق إن هم تمادوا في مطالبتهم لأرضهم!؟. أمام سكوت مريب لمسؤولي الموقع العسكري بالحسيمة بصفتهم مراقبين مباشرين لهذه البنايات؟ فلماذا سمحوا بإعادة بناء النادي في حين يمنعون المواطنين البسطاء الذين اضطروا للسكن بدور الثكنة العسكرية من القيام بأية إصلاحات رغم الوضعية المزرية التي توجد عليها منازلهم؟ ليستمر مسلسل التحايل على نهب ممتلكات المواطنين آخذا مسارا آخر سخرت له مجموعة من الأذناب والانتهازيين لفك خيوط الارتباط التي تثبت استفادة جمعية الأمل الرياضي لكرة القدم من مبلغ شهري قدره 1700 درهم يوضع في حسابها البنكي من طرف مستغلي نادي الشباب. هكذا، وبوقاحة قل نظيرها، ولتثبيت شرعية السطو تفتقت عبقرية "جوقة الغراب" بتنصيب صهري رئيس المجلس البلدي - الذي بوئ العضوية الشرفية بالجمعية - على رأسها كمقدمة لإقبارها وهو ما تحقق فعلا بوفاة الجمعية وإتلاف جميع وثائقها وبالأخص تلك المرتبطة بالالتزام المالي الذي شكل التخلص من قيمته الإيجارية (أي النادي) الشغل الشاغل لرئيس المجلس البلدي وأخيه الذي حصل بطريقة تلفها شبهات كثيرة على رخصة استغلال "الألعاب المسلية" بنفس النادي بتاريخ 15/09/99.

وتبعا لكل هاته التجاوزات التي حدثت والتي لازالت ترجيست مسرحا لها يتساءل ملاكو عقار نادي الشباب، ومعهم فعاليات المجتمع المدني، عن الأسس القانونية التي بموجبها يستغل رئيس المجلس البلدي وأخوه نادي الشباب؟. مطالبين من الجهات المسؤولة تحمل مسؤوليتها كاملة وعلى رأسها السيد وزير الداخلية بصفته الوصي على الجماعات المحلية والمسؤول عن الأراضي الجماعية. مع إعطاء أوامره بغرض الإغلاق الفوري لهذا المقهى تمهيدا لفتح تحقيق جاد ومسؤول يحدد مسؤولية الأطراف المتواطئة مع هذه التجاوزات الخطيرة التي تضرب في العمق مصداقية دولة الحق والقانون. وفي نفس المسار أضحى وجوبا على السيد والي الإقليم إيفاد لجنة مركزية لكشف خيوط هذا السطو والوقوف على فضائح القسم التقني ببلدية تارجيست التي شكلت الرخصة الوهمية نموذجا ساطعا لها. كما يجب على القائد الجديد للموقع العسكري بالحسيمة الوصي على هذه البنايات اتخاذ قرار واضح بإغلاق نادي ترجيست حماية لأملاك المواطنين من الترامي والسرقة...حتى تتضح بجلاء لفعاليات المدينة والملاكين الأصليين الجهة التي توفر غطاء الحماية لسماسرة العقار بالمدينة.

م.ح

جريمة قتل مع سبق الإصرار والترصد

في صيف 2002 قررت الجامعة الملكية لكرة القدم-عصبة الشمال- حل جمعية الأمل لكرة القدم بترجيست، الجمعية الوحيدة التي كانت تنشط بالمدينة والتي استطاعت منذ تأسيسها في أواخر السبعينيات من القرن العشرين، أن تستوعب وتؤطر طاقات لابأس بها من شباب المدينة، وتحمل معها اسم هذه المدينة/ترجيست أينما حلت وارتحلت. كانت في وقت امتد لعقود من الزمن خير سفير لأهل صنهاجة، بإمكانيات بسيطة وغيرة قل نظيرها من الطاقم التقني والإداري، الذي كان يشرف على تسييرها، وبنكران للذات لا مثيل له من طرف عناصر الفريق الذين كانوا يسايرون بطولة القسم الشرفي وبعد ذلك بطولة القسم الثاني هواة باقل شيء ممكن وبالإمكانيات المتاحة. ولكن النيات وحدها لا تكفي. فكل جميل مع الزمن الرديء يتحول إلى هدف مستهدف من طرف قوى المؤامرة التي برزت على ساحة الأحداث شعارها الوحيد والمركزي: "أنا وبعدي الطوفان".

في أواخر التسعينات من القرن الماضي، اقتحمت الجمعية، أثناء تجديد مكتبها، عناصر لا تمت بصلة، لا من قريب أو بعيد، لكرة القدم وحتى للرياضة، عبر إنزال مقصود، كما هو متداول في الشارع الترجيستي والمهتمين بالشأن الرياضي، للاستيلاء على مكتب التسيير وإقصاء العناصر التي كافحت وضحت من أجل الفريق لمدة طويلة، من طرف أحد نواب رئيس المجلس البلدي السابق وأفراد عائلته وجوقتهم



الانتخابية، لغاية في الوصول إلى الوثيقة (العقدة) التي يتم بموجبها استغلال نادي الشباب كمدخل للاستيلاء عليه، وقطع تلك العلاقة الإيجابية مع جمعية الأمل لكرة القدم المحددة في 1700 درهم شهريا، الشيء الذي تأتى لهم بعد انسحاب أحد أقربائهم، نتيجة الإنزال السابق الذكر، من تحمل مسؤولية رئاسة الفريق وإتلاف أرشيف الجمعية بما في ذلك العقدة، البيت القصيد، مخلفا فراغا على مستوى التسيير.

ولاستكمال مسلسل الاغتيال والإبادة، أسندت مسؤولية التسيير من طرف المسؤولين المحليين، بعد أن تعذر انتخاب المكتب من داخل الجمع العام، لشخص غريب عن المدينة، عاث في الجمعية فسادا، دون حسيب أو رقيب، نتج عنه ثلاث اعتذارات متتالية. فكان حل الجمعية من طرف الجامعة، والذي غادر المدينة لمجرد إعلان موت الفريق، ليلتحق الشباب من جديد بقاعات الألعاب التي أصبحت تؤثث وبشكل ملفت للنظر، فضاء مدينة ترجيست والتي هي في ملكية أصحاب الحال الغيورين جدا جدا على مدينتهم وأبنائها!!!

وفي انتظار فتح التحقيق وكشف خيوط الجريمة، أقول لشباب مدينة ترجيست: إن أفلت الشمس هذا المساء، فحتما ستشرق في صباح الغد.

غيور

ثانوية ترجيست

بعد الزلزال الطبيعي يأتي الزلزال الإداري

تعتبر ثانوية ترجيست من المؤسسات التعليمية من إقليم الحسيمة والوحيدة في دائرة ترجيست، فبرغم كونها الثانوية اليتيمة بالمدينة، كان من المفروض أن تحظى بعناية خاصة. الآن المسؤولين الساهرين على تسييرها أبوا إلا أن تكون اللامسؤولية واللامبالاة هي سيدة الموقف. أول ما يلفت انتباه الداخل إلى الثانوية هو الباب المفتوح باستمرار وفي كل الأوقات وبدون بواب، الشيء الذي يجعلها عرضة لدخول المتسكعين والمنحرفين دون أن تعير إدارة المؤسسة أي اهتمام للظاهرة.

إضافة إلى غياب الأمن، فإن مدير المؤسسة يرفض أي مبادرة من التلاميذ وذلك لتكسير الجمود الثقافي الذي تعرفه الثانوية عبر تنظيم محاضرات أو عروض، لأن السيد المسؤول الأول في الثانوية يعتبر الأنشطة الثقافية مضيعة للوقت، فهمه الوحيد هو إنهاء المقرر الدراسي، ولا يهم إن كان التلاميذ استوعبوه أم لا.

ومما زاد الطين بلة، أنه في الآونة الأخيرة وردت على الثانوية مذكرة تهم السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لاستكمال الدروس الجامعية، وبدون إخبار التلاميذ المعنيين بالأمر، وبدون الالتجاء إلى أي أسلوب ديمقراطي لاختيار من يهمه الأمر. حسب تلاميذ الثانية، فقد تم وفي ظروف غامضة اختيار إحدى التلميذات دون معرفة المعايير التي اعتمدت لاختيارها دون الآخرين. ألا يعتبر هذا السلوك من باب المحسوبية والزبونية الذي يضرب في صميم مبدأ تكافؤ الفرص.

في ظل هذه التصرفات اللامسؤولة، فإن نفسية التلاميذ بعد أن توترت من جراء الزلزال الطبيعي، فقد أصابها الاكتئاب من جراء الزلزال الإداري. فهل سيعمل تدخل نيابة التعليم لردع سلوكات مدير الثانوية على معالجتها؟؟

ابن الثانوية

بيان إلى الرأي العام من التنسيقية المحلية للجمعيات المدنية ببني حذيفة

عقدت التنسيقية المحلية للجمعيات المدنية ببني حذيفة يوم فاتح ماي 2004، اجتماعا تقييميا تدارست من خلاله مجمل الخطوات التي أنجزتها في إطار مواجهة مخلفات الزلزال الذي ضرب إقليم الحسيمة ليلة 24 فبراير 2004، وكذا بعض المستجدات التي تندرج في سياقها.

وبعد وقوفها على مجمل المساعدات التي وردت عليها من منظمات وجمعيات مدنية ووطنية وأجنبية والكيفية التي اعتمدتها في توزيعها وإيصالها للمتضررين من الزلزال على صعيد تراب جماعة بني حذيفة، عملية اقتضت توحيد جهود جميع الأطراف الفاعلة لتجاوز محنة الزلزال، الشيء فرض الدخول في منهجية تشاركية شملت ثلاثة أطراف أساسية هي المجلس الجماعي، السلطة المحلية والمجتمع المدني. وقد تشكلت اللجنة المحلية الجماعية برئاسة رئيس المجلس الجماعي لاستقبال وتوزيع المساعدات واللجن الفرعية بالدواوير والمركز الحضري برئاسة الممثلين الجماعيين. وبهذه المناسبة، فإن التنسيقية المحلية للجمعيات المدنية ببني حذيفة تسجل وتعلن للرأي العام المحلي والوطني ما يلي:

× ترحمها على أرواح شهداء الزلزال، مع تعازيها الحارة لذويهم؛

× مرور عملية توزيع المساعدات الواردة على التنسيقية المحلية للجمعيات وعلى الجماعة، في ظروف جيدة ووفقا لمعايير موضوعية ومضبوطة، بالرغم من تسجيلها لبعض المعيقات التي أملتها ظروف الزلزال.

× تثمينها للموقف الإنساني النبيل الذي عبرت عنه المنظمات والجمعيات المدنية الوطنية والدولية وكل الأشخاص الذاتيين والمعنويين الذين آزروا المنكوبين والمتضررين من الزلزال.

× استغرابها من الموقف الانتهازي واللاأخلاقي لبعض المنتخبين لرغبتهم في الانفراد والركوب على المجهودات الجبارة التي أنجزتها الجمعيات المدنية مجتمعة ببني حذيفة، من خلال تقديمهم لملتمس إدراج عملية تقييم توزيع المساعدات، ضمن جدول أعمال دورة أبريل العادية، علما أن العملية هي تشاركية تهم كل الأطراف المكونة للجنة الثلاثية واللجن الفرعية، سبق لرئيس الجماعة أن دعا إليها بتاريخ 12 أبريل 2004.

*استنكارها لكل الإشاعات المغرضة والتهم الزائفة التي تحاول بعض اللوبيات الإنتخاباوية ومن يقف خلفها، زرعها وسط المواطنين للمس بسمعة الجمعيات ومناضليها، لا لشيء إلا لكون هؤلاء حرصوا على مراقبة وإيصال المساعدات لكل الساكنة وذلك تفاديا لتكرار الممارسات المشينة التي عرفتها مساعدات زلزال 1994.

*استياؤها من محاولات بعض المنتخبين عرقلة انفتاح المجلس الجماعي على محيطه الطبيعي وبالأخص جمعيات المجتمع المدني، وبهذه المناسبة، فإن التنسيقية لا يسعها إلا أن تثمن عاليا، ولأول مرة في تاريخ هذا المجلس، استدعاء رئيسة للجمعيات لحضور أشغال دورة فبراير 2004.

*دعوتها للمجلس الجماعي إلى تحمل مسؤوليته الكاملة للوقوف إلى جانب الساكنة وذلك بتحديد واقتراح حلول عملية والضغط في اتجاه إعادة إعمار المنطقة، بدلا من الزج بالمجلس في صراعات هامشية وبخلفية انتخاباوية.

× مطالبتها الجهات الحكومية والمسؤولة إلى الالتزام بوعودها في شأن إعادة الإعمار والإسراع في تنفيذ البرنامج الاستعجالي، وإيفاد لجن تقنية إلى عين المكان للوقوف على حجم الخسائر وإجراء خبرة تقنية لجميع البنايات المتضررة دون استثناء.

× تأكيدها على أن عملية البناء وإعادة الإعمار هي من مسؤولية الدولة، ودور المجتمع المدني في هذا المجال يتمثل في الاقتراح والمراقبة والتتبع ليس إلا.

× دعوتها إلى استكمال عملية كهربة الدواوير المتبقية بتراب الجماعة وتزويد المركز بالماء الصالح للشرب.

× دعمها وتثمينها للخطوات النضالية الجادة المعبر عنها من لدن الجمعيات المدنية والإطارات النقابية والسياسية بالإقليم، الهادفة إلى الضغط في اتجاه إعادة إعمار الإقليم وفك العزلة والتهميش المفروضين عليه قسرا لأزيد من أربعة عقود من الزمن.

=جمعية أغزار غيس للتنمية المحلية
=جمعية تاحمات للتنمية والتضامن
=جمعية آيث حذيفة للثقافة والتنمية
=جمعية إحدوثا للتنمية
=جمعية أعمر أومحند للماء الشروب

إعادة إعمار وتأهيل منطقة الحسيمة:

على الدولة أن تفي بوعودها.. وحذار من تكرار تجربة زلزال 94

موضوع إعادة إعمار وتأهيل منطقة الريف، أملته علينا الظروف المأساوية التي باتت تئن تحت رحمتها الآلاف من الأسر المنكوبة والمتضررة جراء كارثة الزلزال التي حلت بإقليمنا في الأونة الأخيرة، والتي كانت قد أودت بمئات الشهداء وعشرات الجرحى والميتمين، بله الخسائر المادية التي كانت جسيمة وفادحة بكل المقاييس.

ولحد الساعة، لازالت أوضاع المنكوبين تراوح مكانها بين نار التشرد في الخيام (التي مزقتها الأمطار والرياح العاصفية مؤخرا) وانتظار وعود الحكومة التي قد تأتي أو لا تأتي.

ولئن كان هذا الملف قد تم إعداده واستكمال ملامحه وعناوينه الرئيسية قبل الإعلان الرسمي عن البرنامج الحكومي فيما يتعلق بتنمية وتأهيل منطقة الريف يوم 24 من الشهر الجاري، فإن ذلك لم ولن يغير في الأمر شيئا مادامت أوضاع المنكوبين والمتضررين لازالت على حالها، إن لم نقل أن دائرة التساؤلات قد اتسعت واتخذت حجما أكبر.

■ سعيد الغزواني

إن هذه الدفعة الجديدة والفريدة التي أقرتها الدولة لفائدة المنطقة ليست صدقة منها وإنما هي دين عليها وحق ثابت لأهلها. وبناء على ذلك، يمكننا الاستخلاص أنه في حالة ما إذا نحن تخلفنا عن الانخراط في دعم هذا البرنامج سنكون بلهاء ولاشك، وإذا نحن طبّلنا له ونمنا نومة المستريح بعد المعركة سنكون بلداء بكل تأكيد

لقد ظلت مسالة إعادة إعمار وتاهيل منطقة الحسيمة طوال المدة التي تفصلنا عن حدث الزلزال، محل تكتم واضح و استفهامات عريضة على مستوى الشارع المحلي، بحيث طفت على السطح أحاديث الكواليس وتسريب الشائعات، محل الشفافية والتصريحات الرسمية المسؤولة. الأمر الذي جعل الكثير من المتتبعين والمراقبين يقتنعون بعدم إمكانية الجزم فيما ستؤول إليه الأمور ما لم يتم الإعلان بشكل رسمي عن البرنامج المعد من قبل الحكومة لهذا الغرض. هكذا، انتظر الجميع هذا اليوم المشهود الذي سينفض الغبار عن الغموض الذي استوطن أذهانهم على مر الأيام التي سبقت لحظة هذا الإعلان الرسمي. وبالفعل، فصبيحة يوم 24ماي 2004كان كافة المدعوين، ببهو قاعة الاستقبال بالولاية، خاصة ممثلي الهيئات المنتخبة وفعاليات المجتمع المدني وغيرهم، يتطلعون نحو معرفة الخبر اليقين بوجل وشوق باديين للعيان. وفي حدود الساعة الحادية عشرة والنصف رجت قاعة الحضور كعلامة على الاستعداد لبداية الجلسة، قبل أن يدخل السيد الوزير الأول بخطى واثقة وابتسامة عريضة محييا الحضور تحية السلام جهرا، ورافعا يديه نحو الأعلى في شكل قبضة تضامن موجهة كرسالة وإشارة يفهم منها أن الالتفاتة هذه المرة لم تعد مزحة وأن " الشكارة" متخمة.

ولئن كان الوقت لا يسمح لنا، لضرورة تقنية تتعلق بعدد الجريدة الموجود قيد الطبع، بقراءة هذا البرنامج قراءة متأنية وتفصيلية، فإن ذلك لن يصدنا، على الأقل، عن تقديم واستعراض الخطوط العريضة لهذا البرنامج ، وتضمينه بعض الملاحظات التي بدت لنا أساسية في حينها.

كان أول ما استهل به الوزير الأول خطابه هو التذكير بأن البرنامج الذي هو بصدد تقديمه للحضور قد حظي بالموافقة الملكية، والتأكيد بانه ذو طابع فريد واستثنائي، بالنظر إلى حجم الاستثمارات الموجهة لإعادة إعمار وتاهيل وتنمية إقليم الحسيمة، وكذا شموليته وتنوع مكوناته وقصر المدة المحددة لإنجازه. و هو ما سيعطي لهذه المنطقة دفعة قوية لتصبح قطبا اقتصاديا هاما ضمن أقطاب المملكة. ولأجل بلوغ هذه الغاية تم رصد غلاف مالي هام لإنجاز هذه الخطة التأهيلية والتنموية الخاصة بالإقليم يبلغ 2مليار و680مليون درهم.وإضافة إلى حساب 101الذي بلغت قيمته238.408.449درهم، كشف البرنامج عن المساعدات المالية والوعود المقدمة من طرف الدول الشقيقة والصديقة وكذا الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي ب 735، 6مليون درهم ساهمت فيها كل من:

- المملكة العربية السعودية ب 450مليون درهم.
- اسبانيا ب 220مليون درهم.
- فرنسا ب 27، 6مليون درهم.
- حكومة جهة الأندلس ب 22مليون درهم.

أما بالنسبة لإمدادات الدولة والجماعات المحلية والمؤسسات العمومية وشبه العمومية، فقد تجاوزت مليار و 700مليون درهم.

وقد وردت إشارة مهمة مفادها أن هذه المبالغ لا تاخذ بعين الاعتبار الغلاف المالي المخصص لإنجاز الطريق الساحلي المتوسطي والذي يبلغ مليارين و 35 مليون درهم، إضافة إلى قيمة الأرصدة العقارية المعباة من طرف الدولة والجماعات المحلية.

وفيما يخص الأهداف المتوخاة من رسم هذه الخطة التنموية، فقد تم تلخيصها في ثلاثة عناوين رئيسية:

1. فك العزلة عن المنطقة ودعم القطاعات المنتجة بها.
2. التنمية القروية وإنعاش المراكز الصغرى والمحافظة على البيئة.
3. تحسين الخدمات المقدمة للسكان والتاهيل الحضري.

هكذا، ستعمل الدولة من جهة أولى على التسريع في إنجاز الطريق الساحلي المتوسطي، بربط الحسيمة غربا بتطوان عبر بناء شطر الجبهة - أجدير على طول 102كيلومتر ، حيث ستنطلق أشغال بناء هذا المقطع في غضون شهر يوليوز المقبل بغلاف مالي يبلغ مليار و 22مليون درهم. و من جهة أخرى، بربط الحسيمة بالناظور ببناء شطر أجدير - رأس أفراو على مسافة 84كيلومتر و بغلاف مالي يبلغ 815مليون درهم، يوجد حاليا في طور الانجاز، ثم ربط الحسيمة بالمناطق الوسطى للمملكة عبر الطريق الوطني 8 المؤدية إلى فاس. والتي ستسمح بتقليص المسافة بين هذين القطبين ، و بناء مقطع بني بونصار- تاركيست على مسافة 36كيلومتر، و إعادة تهيئة مقطع فاس - تاونات على طول 85كيلومترا ، بتكلفة إجمالية قيمتها 350مليون درهم. كما يتضمن البرنامج دعما لتجهيزات النقل و تطوير حركة النقل الجوي و البري و البحري، بحيث يتطرق إلى ضرورة التسريع بإنهاء أشغال توسيع الميناء، بناء محطة بحرية و محطة طرقية و توسيع مدرج المطار و ساحة الوقوف به بغلاف مالي يبلغ 65مليون درهم. هذا إلى جانب تخصيص ما قيمته 56مليون درهم لتنمية قطاع السياحة توجه لإنجاز مشروع كالايريس،و إعادة تاهيل المركبين السياحيين كيمادو و النكور. و 12 مليون درهم لتنمية قطاع الصيد البحري، توجه لحماية الموارد البحرية و تعميم عملية توزيع محركات و أدوات الصيد لفائدة أرباب القوارب، اقتداء بالمبادرة الملكية التي سبق أن استفاد منها 65قارب صيد. كما تم رصد 43مليون درهم لتنمية الأنشطة الفلاحية عبر برامج ترميم قنوات الري و شبكات تصريف المياه و إصلاح الأضرار الناتجة عن الفيضانات بحوض غيس - نكور . و دعم قطاع تربية المواشي و التشجير، و حماية الموارد الطبيعية، وخلق مشاريع مدرة للدخل لفائدة النساء و الشباب بالوسط القروي.هذا و قد حظي المجال القروي بعناية خاصة، حيث بلغ حجم الغلاف المالي المرصود للتنمية القروية وإنعاش المراكز الصغرى 890مليون درهم. و فيما يرتبط بالقطاع الصحي فقد تضمن البرنامج جملة من المشاريع و الاستثمارات تقدر ب 71.6مليون درهم.أضف إلى كل هذا غلافا ماليا يفوق 100مليون درهم تم، تخصيصها لبعض الاصلاحات التي تهم مدينتي الحسيمة و إمزورن.

أما فيما يتعلق بإعادة بناء المنازل المتضررة فيتحدث البرنامج عن تصور توافقي يستجيب لانتظارات السكان المتضررين و يوفر أفضل السبل لبلوغ هذه الغاية، حيث أسفرت عملية الإحصاء عن النتائج التالية:

- بلغ عدد المنازل التي كانت موضوع الخبرة 19.323مسكنا منها 17.485في الوسط القروي و 1.838في الوسط الحضري. و قد مكنت هذه العملية من تشخيص ثلاثة أنواع من البنايات المتضررة وهي مصنفة كالآتي : البنايات المهدمة بصفة كلية؛ البنايات المهدمة جزئيا؛ البنايات المتضررة و التي تحتاج إلى إصلاحات. و تجدر الإشارة إلى أن من بين المنازل التي كانت موضوع خبرة في الوسط الحضري تبين أن 33 منها تهدمت كليا و 302منها آيلة للسقوط، و 632 في حاجة إلى إصلاحات. أما في الوسط القروي فقد بينت نتائج الخبرة وجود 1.017منزلا تهدم بصفة كلية و 4.102تهدم جزئيا و 70248في حاجة إلى إصلاحات.لذلك فإن المراحل المقبلة المعلقة بإعادة إسكان الأسر المتضررة، سيختلف تدبيرها من الوسط الحضري إلى الوسط القروي.أما المساعدات المادية التي ستقدمها الدولة للمتضررين (12.074عائلة)، فتتمثل في تخصيص رصيد مالي، إضافة إلى حصة من مواد البناء تتحدد بالنسبة لكل متضرر، و بحسب نوعية الأضرار على الشكل التالي:

- البنايات المهدمة كليا: 50.000درهما منها 25.000درهما نقدا، و الباقي في شكل مواد للبناء، أي 7، 5طنا من الإسمنت و 30،2طنا من الحديد.
- البنايات المهدمة جزئيا: 30.000درهما منها 16.000درهما نقدا، و 5أطنان من الإسمنت و 14،1 طنا من الحديد.
- البنايات المتضررة جزئيا و التي تحتاج إلى مجرد إصلاح: 20.000درهما منها 11.000درهما نقدا، و 2، 5طنا من الإسمنت، و 0، 75طنا من الحديد.

و قد تقرر توزيع هذه المساعدات باشراك المنتخبين و المجتمع المدني و كافة الفعاليات المحلية، بحيث سيتم ذلك عبر مرحلتين نظرا للصعوبات المرتبطة بالنقل و الشحن و الإفراغ و ذلك حسب الكيفية الآتية:

- بالنسبة للفئة الأولى، سيتم تسليم 15.000 درهما نقدا، 5أطنان من الإسمنت، و 1، 52طنا من الحديد كدفعة أولى.
- بالنسبة للفئة الثانية و الثالثة، سيتم تسليم مواد البناء دفعة واحدة مع تسليم 10.000درهما نقدا بالنسبة لأصحاب المنازل المهدمة جزئيا كدفعة أولى و تسليم 7.000درهما نقدا بالنسبة لأصحاب المنازل المتضررة جزئيا و التي هي في حاجة إلى إصلاحات كدفعة أولى.

و سيتم تسليم الدفعة الثانية للمتضررين بعد التأكد من بداية أشغال إعادة البناء أو الإصلاح من طرف الخبراء و المهندسين المنتدبين لهذا الغرض، والذين سيتواجدون بجميع الجماعات المعنية.

لعل أول ملاحظة يمكن تسجيلها على هذا الخطاب تتعلق بتراجعه أو برودته، إن صح هذا التعبير، فيما يخص اللغة الذي حرر به مقارنة مع الخطاب الملكي ليوم25مارس المنصرم؛ فإذا كان هذا الأخير قد تعرض غير ما مرة لعبارتي "المنكوبون" و"المنطقة المنكوبة"، فإن الخطاب الأخير الذي تلاه الوزير الأول لم يرد فيه هذان التعبيران مطلقا، بحيث تمت الاستعاضة عنهما بعبارتي: "المتضررون" و"المنطقة المتضررة"، وهو الأمر الذي يمكن تأويله في اتجاه واضح، يتمثل في الابتعاد قليلا عن هول الصدمة والتخفيف من وقعها، وبالتالي تخفيف العبء عن الحكومة والدولة أيضا. أما الملاحظة الثانية، فترتبط بإغفال البرنامج التطرق لقطاعات حيوية وذات أهمية استراتيجية لتنمية وتاهيل الإقليم، من قبيل: الصناعة والغابة والتعليم والثقافة.

صحيح أن هذا البرنامج استعجالي بطبعه وقصير في أمده. بيد أن هذا لن يحجب عنا ما يعنيه مثل هذا التحديد في إطار دولة تعاني من أزمات بنيوية حادة وإمكانيات محدودة وفقيرة، إذ لابد أنه سيمسي، تدريجيا وبمرور الوقت، عاديا في طبعه وطويلا في أمده. لأجل ذلك، ينبغي الحذر من النظرة التجزيئية في النظر أو تقييم هذا البرنامج، مع التسلح برؤية استراتيجية وشمولية في سبيل تلمس طريق الموضوعية.تبعا لذلك، فإنه إذا كانت مسالة إعادة بناء مساكن المنكوبين والمتضررين تطرح وستطرح مشاكل عويصة وتناقضات عديدة وتساؤلات جمة ومشروعة أيضا، بالنظر إلى الغلاف المالي المرصود لها(بعد القيام بعملية حسابية بسيطة) والبالغ 342.220.000،بشكل إجمالي، مما يعني إضافة 103.811.551فقط لحساب 101.فإنه بالمقابل، لا مجال لاستصغار أهمية هذه المشاريع التأهيلية المهمة التي ستدفع باتجاه تحريك عجلة التنمية المحلية ومنحها الإيقاع المطلوب. خاصة بعد العقود العجاف التي انكوت بها المنطقة. الشيء الذي يسمح لنا بالقول إن هذه الدفعة الجديدة والفريدة التي أقرتها الدولة لفائدة المنطقة ليست صدقة منها وإنما هي دين عليها وحق ثابت لأهلها. وبناء على ذلك، يمكننا الاستخلاص أنه في حالة ما إذا نحن تخلفنا عن الانخراط في دعم هذا البرنامج سنكون بلهاء ولاشك، وإذا نحن طبّلنا له ونمنا نومة المستريح بعد المعركة سنكون بلداء بكل تأكيد. نتيجة لذلك، تتوجب علينا المطالبة أولا، وفي المقام الأول، بالسهر والحرص على وفاء الدولة والحكومة بوعودها وترجمة نصوص هذا البرنامج إلى حيز الوجود، لاسيما وأننا نعي جيدا كيف أن الواقع صعب المراس ولا تنشئه النيات والكلمات المشحونة بالحماس.وإن أخطر شيء يمكن التخوف منه هو تكرار تجربة زلزال 1994المشؤومة، حيث طوقت الأزمة بتلاعبات سافرة خرج منها المتضررون آنذاك بخفي حنين وبأكبر الخسائر الممكنة، فلا المنازل التي تضررت أعيد بناؤها ولا المنطقة استفادت من أي تنمية تذكر. لذلك، فإننا نقول حذار ثم حذار من تكرار تلك التجربة السيئة الذكر والتي كانت، في جانب مهم منها، عاملا أساسيا في ضخامة مأساة كارثة الزلزال الأخير الذي ضرب المنطقة يوم24فبراير من هذه السنة.

بناءا على ما سبق، وجب التحلي بروح اليقظة والمسؤولية من لدن الجميع، بغية التصدي لكل من سولت له نفسه التلاعب بمصير هذا الإقليم وأرواح ودماء شهدائه التي لن تذهب هدرا مهما كان. وفي مقدمة ذلك، تتبع مجريات الأمور عن كثب مع العمل على محاربة وإبعاد أولئك المسؤولين المفسدين والمرتشين الذين ثبت تورطهم في الماضي... عسى أن تكون الإنطلاقة «هذه المرة حقيقية من أجل النهوض بالأوضاع الراكدة لهذه المنطقة وتنميتها، وبالتالي الشفاء من بعض كلومها وجراحاتها المثخنة.



العلاقة الفعالة بين إعادة البناء وتنمية الاقتصاد الأسري

المجال القروي نموذجا

أعتبر هذا المقال وجهة نظر بين وجهات نظر أخرى ممكنة لإعادة بناء ما دمره زلزال الحسيمة، فإعادة البناء المنشودة لا يجب إنجازها كفاية في حد ذاتها، وإنما وسيلة من أجل التنمية. إن التركيز على الوظيفة التنموية لإعادة البناء سوف تكون له نتائج بالغة الأهمية، فكيف يمكن لإعادة البناء هاته أن تكون أداة فعالة للتنمية المحلية؟ ولماذا يقع الرهان، هنا، على الاقتصاد الأسري كمحرك لهذه التنمية؟

الحسين سيطلي

1- تجارب تنموية:

التنمية، كفكرة وكتجربة، هي ظاهرة تاريخية، ظهرت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. إنها مرتبطة بما يسمى العالم الثالث، وهذا يعني أن التنمية سياسة اقتصادية واجتماعية خاصة بالدول والشعوب المتخلفة أو السائرة في طريق النمو. وبما أن العالم، قبل نهاية الحرب الباردة، كان منقسما بين قطبين، فإن التنمية كانت تتم في العالم الثالث وفق أحد النموذجين: النموذج الرأسمالي أو النموذج الرأسمالي. وفي الواقع لم تستفد شعوب العالم الثالث من النموذجين معا، لأنهما بقيا كثنائية ميتافيزيقية يتم ترويجها على مستوى الخطاب الإيديولوجي، أما الواقع الملموس فلم يحظ بأي اهتمام من طرف أنصار هذه الإيديولوجية أو تلك. لقد ألفت كتب كثيرة، وأقيمت تجارب عديدة، ومع ذلك لا النظرية ولا الممارسة ساعدتا شعوب العالم الثالث على تخطي عتبة الفقر الشامل. وبما أن التنمية كنظرية وكممارسة تتوجه غالبا إلى المجال القروي، فإنني سأقف على حالتين: الأولى تُبين فشل التنمية والثانية استطاعت أن تتقدم.

1-1 فشل التنمية القروية:

تشكل أمريكا اللاتينية وإفريقيا نموذجين للتنمية القروية الفاشلة، ويرجع ذلك بالأساس إلى علاقة التنمية بالملكية. إن أغلب الأراضي الزراعية السائدة عندهم عبارة عن إقطاعات شاسعة لإقطاعيين يسكنون في المدن. والظاهرة الإقطاعية، كما قال ماكس فيبر، تنتج عن تواطؤ بين غزاة أجانب وبين عملاء محليين، وذلك ضدا على الفلاحين الأهالي في أمريكا اللاتينية (البرازيل والأرجنتين وبوليفيا والمكسيك وغيرها)، وفي أفريقيا (الكونغو وتنزانيا وجنوب أفريقيا وغيرها). فعندما يتم الاستحواذ على الأراضي الصالحة للزراعة يتم، في نفس الوقت، تجميع الفلاحين الأهالي في غيتوات كاحتياطي من العمال المزارعين، أي كفلاحين بدون أرض. تنشأ عن ذلك العلاقة الغريبة التالية: فلاحون بدون أرض، ومالكو أرض دون أن يكونوا فلاحين. وهنا يُطرح السؤال التالي: أي نوع من التنمية يمكن أن يفيد هذا النظام السوسيو-اقتصادي الغريب؟ هل هو استعمال المكنة الذي يقضي نهائيا على فرص العمل الموسمية، أم تأهيل المزارعين؟ وما فائدة ذلك إذا كان لا يعود عليهم بالنفع، فضلا عن كونه عملا موسميا؟ إن الحل الوحيد لمثل هذا النظام هو الهجرة القروية خارج البلد أو داخلها نحو المدن والحواضر، حيث يشكل المهاجرون أحزمة الفقر التي تترتب عنها مشاكل بنيوية لا حل لها. ذلك أن التطور التكنولوجي الذي آل إليه النظام الرأسمالي ليس بحاجة إلى العمال أصلا، فكيف له بعمال قرويين لا يملكون من المهارات سوى ما يصلح للعصر الحجري؟!

لقد أدى هذا النظام إلى إقصاء مزدوج للفلاحين: إقصاء قروي وإقصاء حضري، حيث لم يجد الفلاحون في أمريكا اللاتينية وفي أفريقيا مكانهم لا في البادية ولا في المدينة، بل وجدوه مكرهين فيما بينهما أي في الهامش، حيث لا وجود للعمل في الحقل أو في المعمل وإنما في الرذيلة. لقد حاولت بعض التجارب الاشتراكية حل هذا المشكل، عن طريق تحويل الملكية الإقطاعية من إقطاعية الخواص إلى إقطاعية الدولة، فكانت النتيجة كالتالي: الإقطاعية ملة واحدة؛ لأنه لا فرق، في نظر العمال المزارعين الأهالي، بين إقطاعيين طفيليين خواص وبين موظفين حزبيين بيروقراطيين فاسدين ومرتشين.

1-2 نجاح التنمية القروية:

إن الذي عرفته التنمية عند شعوب شرق آسيا يعود، في جزء كبير منه، إلى نظام الملكية، إذ تهيمن عند هذه الشعوب الملكية الزراعية الصغيرة الخاصة، فكل فلاح تقريبا يمتلك مزرعة صغيرة أو متوسطة، يشتغل فيها هو وأفراد أسرته ذكورا وإناثا. إن الكثافة السكانية الكبيرة المميزة لهذه الشعوب جعلت أغلب المزارع صغيرة، وهذا الوضع الديموغرافي هو الذي حدد وظيفة المَزارع: إنها تنهض بوظيفة الاقتصاد الأسري، أي أن الفلاح لا ينتج في الغالب من أجل السوق، وإنما ينتج ماتحتاج إليه أسرته، ولا يبيع منه إلا الفائض. لهذا السبب نجد هذا الفلاح ينوع منتوجاته: خضر، أرز، أشجار مثمرة، ماشية، دواجن... وبما أن الملكية الزراعية تتميز بحجمها الصغير، فإن الفلاح الآسيوي يهتم بالنوع وليس بالكم. ولمثل هذا الوضع نتائج بالغة الأهمية، إذ لم يتعرض الفلاحون للتشريد الجماعي كما حصل لأقرانهم الأفارقة أو للأمريكولاتينيين، ولم يشكلوا أحزمة الفقر حول المدن الكبرى إلا بشكل محدود. لقد فهم الفلاحون الآسيويون أن الحضارة الحديثة ليست هي أن تسكن في المدينة وإنما هي أن تعرف نسقها التنظيمي والتقني والمهاري. لهذا السبب نجد الفلاح الآسيوي يشتغل هو وزوجته أكثر بكثير من المتوسط لكي يوفرا لأبنائهما ما يحتاجونه لمتابعة الدراسة في المدارس الأكثر حداثة. إن ملكية مزرعة صغيرة لا تزود الفلاح الآسيوي فقط بالحد الأدنى من العيش الكريم، وإنما تزوده بنسق كامل من الثقافة العملية. إنها تربي الإنسان على الاشتغال الذاتي، على التخطيط والتنظيم والتدبير للزمن وللعمل وللمداخيل والمصاريف والرهان على الربح(الأمل) ولو كان بسيطا جدا. لقد لعب الاقتصاد الأسري القروي في شرق آسيا دورا هاما في التنمية، وهو أحد العوامل التي جعلت هذه الشعوب تتجاوز عتبة التخلف، وتتقدم إلى مستوى شعوب أوروبا الشرقية وبعض أجزاء أوروبا الغربية كالبرتغال وجنوبي إيطاليا وإسبانيا.

1-3 مقارنة بين نموذجين تنمويين:

إن مقارنة التجربة الآسيوية بتجربتي أمريكا اللاتينية وأفريقيا، تبين اختلافا في المنطلق والنتيجة: انطلق الآسيويون من الاقتصاد الأسري الذي يعتمد على الملكية الزراعية الصغيرة. أما الأفارقة والأمريكو_لاتينيون فقد انطلقوا من الاقتصاد الإقطاعي الذي يعتمد على ملكية شاسعة وعمال مزارعين شبه أقنان. إن الاقتصاد الأسري المعتمد على الملكية العائلية الصغيرة يشجع على العمل والمثابرة والأمل في تحسين شروط العيش ولو بشكل قليل. أما الاقتصاد الإقطاعي فيقطع أي أمل في تحسين حياة العمال المزارعين، لذلك يفقد العمل قيمته عندهم. ليس العمل هو وحده الذي يرفع من ثروة الأمم، كما قال آدم سميث، وإنما الاعتقاد بقيمته كما قال ماكس فيبر.

2- من نظام الملكية الى نظام التنمية:

بعدما تحدثت عن تجارب التنمية القروية الأكثر شهرة، أذكر بأنني لم آت بها كفاية في ذاتها، وانما كوسيلة لفهم الواقع المغربي عامة والتنمية المناسبة للمنطقة المنكوبة خاصة. وفي هذا السياق تطرح الأسئلة التالية: ما هو نظام الملكية السائد في هذه المنطقة؟ هل تسود فيها الملكية الإقطاعية أم الملكية الأسرية الصغيرة؟ إذا كانت الملكية الثانية هي السائدة فما هو نمط التنمية المناسب لها؟ وبصيغة أخرى: أية تنمية مناسبة للمنطقة المنكوبة؟ وكيف يمكن لإعادة البناء أن تلعب دورا تنمويا؟

لنفترض أن مسافرا أجنبيا مر بمنطقة الريف لأول مرة. إن أول شيء سيثير انتباهه هو تشتت المنازل في المجال الريفي عامة وفي المنطقة المنكوبة خاصة؛ ومن المحتمل أن يتبادر إلى ذهن هذا الأجنبي السؤال التالي: لماذا كل هذا التشتت للمنازل في هذه البلاد؟ لأن كل أسرة تبني منزلها على الأرض التي تملكها. توجد، اذن، علاقة عضوية عند الريفيين بين المنزل والملكية، فتنظيم المجال القروي في الريف يخضع لقاعدتين: القاعدة الأولى هي أن كل أسرة تقريبا تملك قطعة أرضية زراعية أو أكثر، كبيرة أو صغيرة. والقاعدة الثانية هي أن إحدى القطع تشيد فيها الأسرة مسكنها. وهذا يعني أولا أن الظاهرة الإقطاعية لا وجود لها في الريف، مادام المجال القروي الريفي مقسما إلى قطع من الملكيات الخاصة الصغيرة، ويعني ثانيا أن نظام المجال(الملكية) القروي في الريف يشبه، كما ذكرنا، النظام المجالي القروي السائد في شرق آسيا، ويختلف عن النظام القروي الأفريقي والأمريكو-لاتيني، كما يختلف أيضا عن النظام القروي السائد في وسط المغرب. وبما أن نوع التنمية يشتق من نوع النظام المجالي، فان التنمية القروية المناسبة للمجتمع القروي الريفي عامة وللمجتمع المنكوب خاصة، هو تنمية الاقتصاد الأسري. فكيف يمكن لاعادة البناء أن تلعب دورا تنمويا اعتمادا على أساس الاقتصاد الأسري؟

3- العلاقة التنموية بين إعادة البناء والاقتصاد الأسري:

يقول المثل الأمازيغي الريفي:"إن حبة واحدة من الفول لا تصنع البيصارة". وهو ما يعني في سياقنا أن الوظيفة التنموية لإعادة البناء يجب أن تقوم على عدة عوامل متظافرة، وأن تراعي الجمع بين العوامل التالية: السكن، ملكية الأرض، المياه السقوية والكهرباء.وفي حالة عزل عامل من هذه العوامل فانه سيغدو غاية في ذاته، ولذلك سوف لن تكون لأي واحد منها وظيفة تنموية، إن التنمية الأسرية يجب أن تكون نتيجة لوحدة هذه العوامل. فكيف يمكن للعوامل المذكورة مجتمعة أن تنهض بوظيفة تنمية الاقتصاد الأسري؟

3-1 الوظيفة التنموية للعناصر الأربعة:

أ- المنزل: لئن كانت الدولة عازمة على إعادة بناء المنازل المنهارة بالزلزال، فان على الجهات الرسمية أن تأخذ في هذه العملية علاقة السكن بالعوامل المذكورة حتى تؤدي عملية إعادة الإعمار وظيفتها التنموية وذلك وفق المعايير التالية: أولا ، أن تبنى المنازل على قطع أرضية متقاربة وصالحة للزراعة، لكي تتحول إلى مزارع مسقية للأسر. أن يعاد البناء قرب المياه الجوفية حتى يصل الماء إليها. أن لا تبنى على قمم الجبال حتى لا تهجر مستقبلا بسبب غياب الماء والطرق. أن تكون المنازل صغيرة لكي لا تكلف الدولة أموالا كثيرة، يمكن أن تكون شبيهة بما يسمى السكن الوظيفي حتى لا تتعدى تكلفة كل واحدة منها 80 الف درهم. ولكي تجد الأسر حلا لحجمها الصغير يتعين عليها أن تسيجها، حتى يتحول الفضاء الداخلي إلى مجال للعمل المنزلي ومكان آمن لجميع حاجيات وأشياء الأسرة، أما المنزل فيجب أن يخصص للنوم فقط. هذه هي الطريقة المتبعة عند الآسيويين، أما السياج فهو ظاهرة عند الريفيين. ان المنزل ليس غاية في ذاته وإنما هو وسيلة تنموية، ولكي تتحقق هذه الغاية على المنزل أن يكون وظيفيا في علاقته التنموية مع العناصر الثلاثة الأخرى.

ب- الماء: تتراوح التساقطات في الريف ما بين 250و 300ملم في السنة وهي تساقطات كافية لقيام حياة زراعية. لكنها تضيع بسبب عدم انتظامها وبسبب التضاريس المنحدرة وانتشار التعرية. ومع ذلك لا تخلو المنطقة من مياه جوفية هي عبارة عن نقاط منتشرة في سفوح المرتفعات والجبال وعبر الوديان، هذه المياه تشكل ثروة طبيعية من أجل الفلاحة. لذلك يمكن لكل مجموعة صغيرة من أسر الفلاحين المنكوبين، يتراوح عددها بين 10و 20أسرة، أن تشيد بئرا مشتركا بمساعدة تقنية من مندوبية وزارة الفلاحة، وأن يشيد البئر عن طريق" تويزا " وهو عمل جماعي معروف عند الأمازيغ، إنه لا يكلف لكل أسرة إلا مترا أو مترين من الحفر، إذا اعتبرنا العمق يتراوح بين 20و 40مترا، وهو مجهود قليل من العمل بالمقارنة مع فائدته الكبرى. إن هدف البئر هو استخراج المياه الجوفية وإيصالها بالمحركات والأنابيب إلى مزارع الفلاحين.

ج- الكهربة القروية: من المعروف أن الدولة قامت في السنوات الأخيرة بمجهود كبير في الكهربة القروية، يكاد هذا المجهود أن يغطي المنطقة المنكوبة، وهذا مكسب كبير لسكان المنطقة، ولا تكتمل أهميته إلا إذا أسندت إليه وظيفة تنموية، إذ يمكن للفلاحين الأهالي أن يستخدموا محركات كهربائية جماعية من الآبار إلى المزارع. هذه المحركات لا تكلف ثمنا غاليا لأن محركا واحدا قويا من النوع المستعمل لا تتعدى قيمته في أوروبا 2000أو 3000درهم، فإذا قسمنا قيمته على 10أو 20أسرة سنحصل على 150درهما، وهو قدر في متناول أية أسرة. يمكن لهذه المحركات أن يأتي بها المهاجرون من باب التضامن مع إخوانهم أو من باب كونهم مستفيدين، ما دامت لهم مزارع تشملها هذه العملية. أما الأنابيب التي ستنقل المياه من الآبار إلى المزارع فعلى الدولة أن توفرها، وهي لا تكلفها الكثير من الأموال لسببين: الأول هو أن البلاستيك مادة رخيصة. والثاني هو أن فائدة خط واحد لكل 10أو 20أسرة أكثر بكثير من تكاليفه، إنها بهذه المساهمة ستخلق عددا كبيرا من فرص الشغل. ذلك أن فرصة شغل دائمة في هذه العملية لا تكلفها سوى 10000درهم.

د- ملكية الأرض الزراعية: إن جميع الفلاحين تقريبا، كما ذكرنا، يملكون قطعة أو أكثر، صغيرة أو كبيرة من الأرض الزراعية. فالملكية إذن متوفرة بدون كراء أو شراء. لكن أكثر من 90%منها جبلية ومنحدرة، لذلك لا تصلح إلا للري بالرشاشات أو بالقطرات؛ إن نظاما من هذا النوع له فائدة كبيرة في اقتصاد المياه والحفاظ على خصوبة التربة، ويمكن لهذه الآلات أن تشترى بأموال على شكل قروض من البنك العالمي للفلاحين، لاعتبارين اثنين: الأول هو أن البنك العالمي له برنامج لتمويل التنمية القروية في المناطق شبه الجافة والفقيرة. والثاني هو أن المنطقة لها أولوية، لأنها منطقة منكوبة.

هكذا تظهر عملية إعادة البناء في بعدها التنموي، وذلك في عملية ربط متكامل بين أربعة عوامل: السكن، ملكية الأرض، المياه الجوفية والكهربة القروية. منها ما هو متوفر ومنها ما هو سهل التوفر. إن الوظيفة التنموية لإعادة البناء يمكن أن تنقل المنطقة القروية المنكوبة من تحت عتبة الفقر إلى ما فوقها، وهذا في حد ذاته إنجاز عظيم؛ لأنها ستنقل الأسر المنكوبة من مستوى وضع بائس وبائس إلى مستوى يجعلها مالكة لمزرعة أو أكثر. إن تحسنها الاقتصادي سيجعلها تتحسن ثقافيا، فهل يمكن أن نتصور، في هذه الحالة، وجود أسرة تبيع أصواتها في الانتخابات بمائة درهم؟!

إن ما أقوله هنا يبدو قابلا للتحقق لسببين: الأول مادي وهو لا يكلف الكثير لجميع الأطراف المساهمة فيه. والثاني معنوي ويتجلى في توافق الإرادات الحسنة بين السكان المنكوبين من جهة وبين محمد السادس وحكومته من جهة أخرى.

لقد لاحظ المراقبون الأجانب هذا التوافق في التفاعل الإيجابي في الميدان بعد الزلزال مباشرة، وهذا بحد ذاته شيء هام، لأنه خيب آمال ذوي النفوس الخسيسة أن يحصل ما حصل بين المنكوبين وبين عبد العزيز بوتفليقة في زلزال الجزائر. لقد عاش سكان المنطقة في بؤس دام طويلا وجاء الزلزال ليضاعف من بؤسهم، لكن رب ضارة نافعة كما يقول المثل.

3-2 دور الاقتصاد الأسري في تحويل اعادة البناء الى تنمية:

يمكن لتكامل العوامل المذكورة مجتمعة أن تحول الكثير من الممتلكات العقارية الفلاحية إلى مزارع مسقية، وبتحولها هذا تكون قد خلقت فرص شغل دائمة لجميع الأسر تقريبا ذكورا واناثا، أو لفردين من أسرة واحدة على الأقل. إن فرصة شغل واحدة دائمة تكلف عادة 300ألف درهم أو أكثر، فهل تستطيع الدولة أو المستثمرون الخواص أن يوفروا للسكان المنكوبين فرص شغل بهذا الثمن؟ لكن التنمية بالشكل الذي مر ذكرها يمكن أن توفر فرصا دائمة بتكلفة لا تتعدى 10000 درهم للواحدة. وما يجعل التكاليف تنخفض إلى هذه الدرجة هو استثمار العوامل المذكورة. هذا هو المنهج البرجماتي للتنمية: منافع كثيرة بتكاليف قليلة. فما هو نوع التنمية المناسب للاقتصاد الأسري للأسر المنكوبة؟ على غرار الأسر الآسيوية القروية التي مر ذكرها، يتعين على أسر المنطقة ألا تنتج، غالبا، إلا ما تستهلكه أو له علاقة بنمط عيشها، ما دام هدفه الأساسي هو الاكتفاء الذاتي الأسري. وبما أن الأسر القروية الريفية لا تملك إلا مزارع صغيرة أو متوسطة، فان هذا الواقع يفرض عليها التركيز على على الكيف لا الكم، وذلك بتنويع منتوجاتها الزراعية: الخضر، الأشجار المثمرة، تربية الماشية والدواجن. أما الكم فيجب أن يكون محدودا. فعوض 100أو أكثر من أشجار الزيتون مثلا، يتعين غرس عدد يقل أو يتجاوز بقليل 20شجرة، مع العناية الفائقة بها. يمكن لهذا العدد أن ينتج حوالي 200لتر من الزيت، وهذا الكم يفوق بكثير ما تحتاجه الأسرة لمدة سنة، ويمكن تعميم هذا الإجراء على الأشجار المثمرة الأخرى، مما سيوفر لكل أسرة 10000 درهم سنويا. وهو نفس الدخل الذي ستوفره زراعة الخضر إذا ركزت الأسر على التنوع والنوع، أي البطاطس والطماطم والجزر والبصل وغيرها اعتمادا على البذور المصنفة. يمكن لهذه الخضر أن توفر للأسرة سنويا 10000درهم بالجمع بين ما تستهلكه وتبيعه منها. وعوض استمرار الطريقة التقليدية في زرع الشعير الذي يكلف كثيرا من دون فائدة، فان على كل أسرة أن تزرع الحشائش التي تسمح بتكرار حصادها لعدة شهور أو على مدار سنة كاملة، وهذه الطريقة تعفي الأسرة من شراء التبن، وبذلك يمكن لتربية الماشية والدواجن أن توفر للأسرة دخلا بقيمة 20000درهم في السنة. وينتظر أن يوفر مجموع هذه الأنشطة الزراعية للأسرة دخلا لا يقل عن 2000 درهم في الشهر، وهو مبلغ قد يتضاعف مرة أو مرتين إذا ضاعف أفراد الأسرة عملهم.

3-3 دور التنظيم والتثقيف:

إن ثروة الأمم تنتج، بحسب آدم سميث، عن عاملين أساسيين: العمل والتنظيم. لذلك يتعين على الأسر أن تنظم نفسها في تعاونيات أو جمعيات. فالتنظيم يجب أن يكون فرديا، مزدوجا وجماعيا، حديثا وتقليديا؛ ذلك أن طبيعة ملكية الأرض تفرض ذلك، حيث تخضع المزارع لملكية أسرية خاصة، أما الآبار والمحركات والأنابيب فهي ملكية جماعية لعشر أو عشرين أسرة. إن هذه العملية سهلة الاستيعاب من طرف سكان المنطقة، ذلك أن نظام الري يخضع عند الأمازيغ، منذ القديم، لنسق من القوانين والأعراف أثارت إعجاب الباحثين الأنتروبولوجيين، وخاصة دافيد هارت في دراسته لآيت ورياغل، وهذا الموروث يشكل ثقافة مكتسبة تؤهل الفلاح للعمل وفق القانون التعاوني والجمعوي كذلك.

أما التثقيف فيجب أن يكون عمليا ونافعا، أما الطريقة المتبعة حاليا في محو الأمية فلا طائل من ورائها، لأنها ليست عملية. إن تعليم الكبار يختلف جذريا عن تعليم الصغار، فالكبار بحاجة إلى معرفة عملية تفيدهم في عملهم الخاص. لذلك فمحو الأمية كما يتم حاليا لا يصلح إلا للسجناء المحكوم عليهم بالإعدام أو بالسجن المؤبد أو للمجاهدين في تورا بورا. إن المرأة القروية مثلا بحاجة إلى معارف تساهم في حل مشاكلها العملية الصعبة، وهي في جوهرها مشاكل بسيطة لا تكلف رأسمالا ولا مجهودا في التفكير. إنها بحاجة مثلا إلى معرفة كيفية تربية الأرانب بالطرق الحديثة: الفضاء المناسب لها، الشروط التي تحول دون وفاتها، التغذية التي تضاعف من وزنها، وغير ذلك.

خلاصات:

-1من المهم جدا أن يُنظر إلى إعادة الإعمار من جهة وظيفته التنموية، ومن هذا المنظور يمكن للمنكوبين القرويين أن يستفيدوا منه دون أن يكلف ذلك أموالا كثيرة. والفائدة القروية هي بالضرورة فائدة حضرية أيضا؛ لأن سكان المدينة ستكون فائدتهم مزدوجة: الفائدة الأولى تكمن في الرواج التجاري والخدماتي الذي يمكن أن يحصل إذا ما تحسنت أوضاع السكان القرويين. أما الفائدة الثانية لسكان المدينة فيمكن أن تنتج عن استغلالهم لمزارعهم القروية مادام جل سكان المراكز الحضرية في إقليم الحسيمة ذوو ممتلكات فلاحية في البادية.

-2لا يمكن أن تتحول إعادة البناء إلى أداة فعالة للتنمية إلا إذا قامت القوى الفاعلة بدورها الطبيعي: الدولة، الهيئات المنتخبة والسياسية، والمجتمع المدني. لقد لوحظ عقب الزلزال وجود نوع من الخلط بين الأدوار والوظائف. فإذا كانت أجهزة الدولة والهيئات المنتخبة تهاونت في القيام بأدوارها، وهو ما لاحظه الإعلام الوطني والخارجي، فإن المجتمع المدني حل محل الدولة في مواجهة الكوارث الطبيعية؟! إنه من الغرور الناتج عن الجهل أن يقوم المجتمع المدني بوظائف هي من صميم وظائف الدولة. إن الدولة هامة جدا في العالم الثالث، لأن كل شيء هش: الاقتصاد، الاجتماع، السياسة، الثقافة. هذا ما أكد عليه جورج تلانديي في "الأنتربولوجيا السياسية". وإذا كانت الدول المتقدمة ترفع يدها عن مجالات عديدة فلأن شعوبها بلغت غاية من الرشد في جميع المجالات، فكيف للمجتمع المدني عندنا أن يقوم مقامها ونحن نوجد على مرمى حجر من العصر الحجري؟! كيف نفهم هذا التبادل بين أجهزة الدولة والمجتمع المدني؟ ألا يشكل نوعا من الخلط في الأدوار، وبالتالي التملص من المسؤوليات؟ ألا يؤشر هذا على رغبة الدولة في إعفاء نفسها من المسؤولية الكلية، أو الجزئية، في عملية إعادة البناء، أو تحويل المساعدات المالية إلى مجالات لا علاقة لها بكارثة الزلزال؟ في هذه الحالة على المنكوبين أن يدافعوا عن أنفسهم بالوسائل المشروعة كالاحتجاج أو تقديم دعوى قضائية أمام القضاء المغربي أو قضاء الدول المانحة، أو غير ذلك؛ لأن تلك التبرعات تعتبر بقوة القانون ملكا لهم. أما المجتمع المدني فهو بحاجة إلى نقد يضع حدودا لعمله الذي يجعله يأخذ دور الوسيط، وهو دور استلابي سافر: يستعمل الوضع الصعب لبعض الشرائح الاجتماعية لكي يطلب المساعدات لصالحه هو أكثر من غيره، وهو بهذا الدور يشبه المتسولين الذين يستعملون ذوي العاهات والمعوقين من أجل التسول. بهذا الشكل يكون الجزء الكبير من المجتمع المدني قد أبان عن قصور كبير في الرشد والمروءة، لأن الكثير من الفاعلين فيه يستعملون "الدُنوب" لتحسين حياتهم الخاصة.

في حوار مع الباحث والديبلوماسي ذ. علي الإدريسي

مسؤولونا يتسولون بنا...والزلزال كشف خديعة تسولهم

علي الإدريسي صوت ريفي بأفق كوني...فهو من مواليد 1945 بدوار تازغين(قبيلة بني ورياغل) بإقليم الحسيمة. ويشغل الآن منصب أستاذ بجامعة محمد الخامس في الرباط، سبق له أن عمل أستاذا للفكر الإسلامي بجامعة الجزائر، ومستشارا ثقافيا لدى سفارة المغرب في الجزائر وفي تونس، ثم مندوبا للمغرب لدى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم(اليسكو). إضافة إلى كونه أحد الفاعلين الأساسيين الذين ما فتئوا يساهمون بقسط وافر من الإنتاج على مستوى الثقافة والفكر التاريخي المغار بي.

في هذا الحوار الذي خص به، مشكورا، جريدة "تيفراز"، يتطرق الأستاذ علي الإدريسي لمسألة إعادة إعمار إقليم الحسيمة، وهو إذ يفعل ذلك فإنه يعي جيدا أنه أحد أبناء هذا الريف المهمش الذي يستشعر مديونية معنى تجاهه. لذلك يبدو، هنا، بمثابة المدافع المتأكد من عدالة القضية التي يرافع من أجلها، في الوقت الذي يدرك فيه أيضا مدى صعوبة هذا الأمر نتيجة الألغام الكثيرة المبثوثة في هذا الطريق منذ عقود . لنقرأ:

محاورة: سعيد الغزواني

♦بعد مضي قرابة ثلاثة أشهر على الزلزال الذي ضرب إقليم الحسيمة، لا يزال الوضع المأساوي لآلاف الأسر المنكوبة يراوح مكانه، بل ويزداد سوءا مع غياب أي تباشير لإرجاع الأمل لهؤلاء المتضررين في إعادة بناء مساكنهم...فما تعليقكم؟

♦♦ **بخصوص الوضع في إقليم الحسيمة، بعد مرور حوالي ثلاثة أشهر على الزلزال الذي ضربه، ليس هناك ما يبشر أو يؤشر على أن الأمور تحسنت أو في طريق التحسن، وأقصد بالتحسن هنا العودة إلى الوضع الطبيعي، بأن يدخل الناس إلى منازلهم ويغسلوا وجوههم بالماء وأن يغتسلوا..فما بلغني، من مختلف المناطق بالحسيمة، أن هناك، لاسيما في القرى، أناسا لم يستحموا منذ اليوم الذي ضرب فيه الزلزال لسبب بسيط يتمثل في انعدام بيوت الطهارة. وأنا لست أدري ماهي الفلسفة التي انطلق منها المسؤولون المحليون عندما عجزوا أو لم يرغبوا، فلست أدري ما إذا كان عجزا أم عدم رغبة، في بناء محلات بسيطة للطهارة، خاصة وأنها لم تعد مشكلة في ثقافتنا أو في تقنيات العصر، فعن طريق بيوتات صغيرة من الخشب أو البلاستيك أو غيرها تحل هذه المشكلة. إذن فالوضع سيء للغاية، بحيث إن هناك الكثير من التلاميذ سيفقدون سنتهم الدراسية(ستكون سنة بيضاء). ولكن الأخطر من كل ذلك، هو أن يموت الأمل في نفوس الناس، وأن تزداد عدم ثقتهم في المسؤولين. وتزداد خطورة هذا الوضع حين ندرك أن هذا الأمر يجري بعد مرور قرابة شهرين من خطاب جلالة الملك الذي نبه إلى التسيب وإلى الإخلال وإلى مختلف أنواع التقصير في تنمية المنطقة. وهنا يطرح السؤال الكبير: هل التعليمات الملكية تجد أمامها، هي بدورها، حاجزا ما؟ وماهو أو من هو هذا الحاجز الذي يقف أمام التعليمات الملكية؟**

♦هل نفهم من كلامكم أن ثمة بالفعل جهات متنفذة لا ترغب في طي صفحة الماضي وبالتالي تحسين العلاقة مع الريف وفك العزلة عنه؟

♦♦ **أنا لا أسميه تحسن العلاقة، وإنما أرمي إلى تحقيق الانسجام الوطني للمجموعة الوطنية، وتحقيق مفهوم الوطن من المنظور الجغرافي، وليس بمنظور أي فئة من الفئات أو إثنية من الإثنيات ، هذا أولا. أما فيما يتعلق بسؤالك عما إذا كان هناك متنفذون أوأوساط لها نيات مبيتة...الخ. أقول لك: إذا سألتني عن الفترة الماضية،أي منذ الاستقلال إلى الزلزال، سأجيبك بنعم ومن دون تحفظ، لأن التهميش الذي وقع على الريف لا معنى له إلا بوجود هؤلاء المتنفذين، إذ لا يمكن لإنسان أن يكون ضد منطقة في وطنه في الشمال كانت أم في الجنوب أم في الشرق أم في الغرب...فلا يعقل أن يكون هناك مغرب منتفع(بكسر الفاء) ومغرب منتفع به. أما فيما يخص مرحلة ما بعد الزلزال، فلابد أن أؤكد بأنه بعد الزيارات الملكية، خاصة بعد الخطاب الملكي، استرجعنا الكثير من الأمل وكثيرا من الثقة في المستقبل بأن الأمور ستتغير، ولكن حسب المعلومات التي تصلنا عن الواقع اليومي للناس هناك، بعد مرور قرابة شهرين على هذا الخطاب الملكي، وحسب إفادات مسؤولين محليين، فإن الأوضاع لا تزال بتعبير إخواننا المصريين "محلك سر"(أي تدور في حلقة مفرغة). فالمهندسون والتقنيون أتموا عملهم المتمثل في تقييم الضرر حسب المعلومات الأولية، بحيث هناك حوالي10000منزل تجب إعادة بنائه، لكن الميزانية المخصصة لهذا البناء لايزال الخبر عنها حبيس أدراج الحكومة، وليس ثمة شفافية في الموضوع. والناس الآن على مشارف الصيف والشمس حارقة في الريف والخريف والشتاء مقبلان...فكيف يمكن لهؤلاء الناس أن يصمدوا وألا يفقدوا أعصابهم؛ والقضية لا تتمثل فقط في فقدان الأعصاب وإنما في الهجرة والتهجير. فعندما يجد الإنسان فرصا أفضل في مدن مغربية أخرى، سيختار الهجرة، ولكن إذا استمر الوضع في الازدياد سوءا فآنذاك تكون هناك عملية تهجير ترغم الساكنة على الهجرة، والناس في ذلك معذورون. ولهذا، فالحل يكمن في تسريع الحلول المقترحة في البرنامج الذي أعلن عنه صاحب الجلالة في خطابه يوم 25مارس الأخير، وصرح خلاله بالإشراف الشخصي على تنفيذه على المديين المتوسط والبعيد. ما يهمنا الآن هو المدى المتوسط، وربما المدى المنظور،لأن الناس تنتظرهم استحقاقات مقبلة وليس من المقبول مطلقا أن يعيشوا مدة أطول في الخيام التي باتت تفتقد لأدنى الشروط الصحية الضرورية...**

♦ خاصة وأن الخطاب الملكي كان قد تضمن الحديث عن برنامج استعجالي، فهمنا من خلاله أن الأمور ستصير بعجلة لأجل إنقاذ الوضع، واقتراح حلول مستعجلة للوضعية المأساوية لآلاف المنكوبين. غير أن ما اتضح فيما بعد هو ووجود تخبط كبير للمسؤولين وانعدام أية خطة في تدبير ومعالجة الأموربالكيفية المطلوبة، بحيث أسندت أمور التقييم في بداية الأمر لمهندسين متطوعين ثم لتقنيي وزارة الإسكان ثم في الأخير لتقنيي المختبر العمومي للدراسات والتجارب، ولن نعرف لمن ستسند المهمة لاحقا. هذا، في الوقت الذي بدأ فيه صبر المواطنين ينفذ ويعربون عن يأسهم من تحسين أوضاعهم...وقناعتهم أمست تتقوى بخصوص تعمد إهمالهم.

♦♦ **هذا صحيح، إذ لا يتعلق الأمر باليأس والإحباط فحسب، ولكن بازدياد فقدان المصداقية في الخطاب الرسمي، وأنا شخصيا أرجو ألا ينطبق هذا الأمر على الخطاب الملكي ، اللهم إذا كانت هناك سلط أخرى تعرقل هذا المشروع الملكي، لأنه من المفروض أن يكون برنامجا استعجاليا فعلا. ولكن ما بلغني من بعض الدوائر، هنا بالرباط، أن وضع الحكومة أشبه بمن يمتلك بيتا كلما تكسرت فيه بعض أجزائه(باب أو نافذة أوسقف...الخ) يقول إنني سأبدأ في ترميمه وبنائه خلال الأسبوع المقبل، إلى أن أصبح البيت غير قابل للترميم نظرا لكثرة ما أصابه من تلف. هذا هو الوضع الذي نستشعره لدى العديد من المسؤولين المغاربة عندما يرددون بأن ثمة تراكما فظيعا في الريف... ويتساءلون بحيرة واضحة: من أين نبدأ؟ ولكن من المسؤول عن هذا التراكم؟ وإذن ليتم الإعلان أمام الملأ أننا ، كحكومة مغربية، عاجزون. وآنذاك نطلب من الدول الأوربية التدخل ، لاسيما وأن الكثير منها راغبة ومستعدة للاستثمار في الريف وإنقاذه، لأنه عبارة عن ضفة مطلة على أوربا. إنه من العار أن تكون منطقة، كالريف، قريبة جدا لأوربا، ومعظم الجالية الريفية مقيمة بأوربا، ولا يستفيد هذا الريف لا من مداخيل هذه الجالية المقيمة فيها ولا من مساعداتها ولا من أي شيء آخر...إنه أمر غير مفهوم كلية. لذلك فأنا أشبه هذا الوضع بوضع شخص جاء إلى الرسول قائلا له: يا رسول الله، أنا أزني وأسرق وأغش وأكذب وأسكر وأعمل كل الموبقات، فمن أين أبدأ لكي أتوب؟ فقال له النبي: لا تكذب. فعند التوقف عن الكذب كل شيء قابل للإصلاح. وكذلك كان.فلماذا تكذب هذه الحكومة على مواطنيها؟**

♦خصوصا وأن هذه الحكومة كانت قد وعدت، في شخص وزير الداخلية، عند بداية الأزمة بإعادة بناء جميع المنازل التي هدمها الزلزال وإجراء الخبرة على تلك التي قاومت الزلزال للتأكد من صلاحية الإقامة بها من عدمها، وبالتالي إعادة بنائها. في الوقت الذي نلتقط فيه الآن إشارات، بدأت تتأكد لنا يوما بعد آخر، عن تملص هذه الحكومة من مسؤوليتها في إعادة بناء وإعمار المنطقة. هذا، في الوقت الذي سمعنا فيه أن الدولة متحفظة جدا من أمر تكفل بعض المنظمات غير الحكومية الأجنبية من المساهمة في إعادة الإعمار بدعوى حساسية الموضوع ذي الصلة بالسيادة الوطنية.

♦♦ **الواقع أن ما طرحته متشعب جدا، لذلك سنحاول أن نأتي على هذه الأموربالتدرج. أولا، وفيما يتعلق بتصريح الوزير الأول ، كنت قد أشرت في استجواب سابق إلى أن الحكومة ملزمة بالإيفاء بوعدها حتى تستطيع استرجاع مصداقيتها المفقودة في نفوس الناس، كما فقدت مصداقية هيئات كثيرة، منها الهيئات السياسية التي لم تبرهن في الوقت المناسب على أنها فعلا هيئات وطنية وتهمها ساكنة المغرب في كل التراب الوطني، خاصة وأن الحكمة تقول بأنه "في الليلة الظلماء يفتقد البدر"، فإذا كانت الأحزاب لاتشتغل إلا في أيام الانتخابات، فما الجدوى منها بالنسبة للمواطن؟. لاشك أن هذا عيب.ومن ثم فإن كل فعاليات المجتمع المدني المحلية والوطنية معنية بالمطالبة بضرورة الكشف عن حجم الموارد المالية التي تم تلقيها لفائدة منكوبي زلزال الحسيمة، وآخرها منذ أمس فقط(12ماي الجاري) سمعنا كيف أن إيطاليا مثلا تنازلت عن حوالي23مليون و 600ألف أورو من ديونها على المغرب تضامنا مع منكوبي زلزال الحسيمة. وبالتالي كمواطنين لنا كامل الأحقية للمطالبة بالكشف عن حساب 101وكافة الهبات والمساعدات المرصودة لصالح هذا الإقليم ومعرفة مصيرها. ومن جهة ثانية، فكون المواطنين ساورهم الياس، فأنا أخشى أن تكون هذه سياسة رسمية. إذ كما كانت هناك سياسة رسمية بعد أحداث 1959من أجل تهجير سكان المنطقة نحو أوربا الشمالية ونحو المدن المغربية الأخرى حيث موارد الرزق، فربما يعتقد البعض أن هذه مناسبة أخرى مواتية لترك هؤلاء لحالهم يتجرعون الياس والخيبة ويرأودهم التفكير من جديد في حزم حقائبهم والنزوح نحو أماكن أخرى في الداخل أو الخارج. إنني أخشى حقا من أن تتكرر تلك السياسة اللعينة. وهي كذلك لأن موارد المهاجرين لم تستثمر بالريف لا في الطرقات ولا في المستشفيات ولا في المدارس...تصور كيف أنه على طول الشريط الذي يربط بين الناظور وتطوان لاتوجد جامعة (يوجد مركز جامعي فقط) فهل هناك إهانة أكثر من هذه؟ والحسيمة لا تتوفر حتى على مكتبة حقيقية ولا على متحف ولا مسرح ولا سينما ولا..هناك مؤسسة الإدريسي التي يرأسها الأستاذ الطاهري الذي طلب رخصة لبناء متحف على أرض عبد الكريم وأعطيت له الموافقة من قبل أسرة عبد الكريم الخطابي لأجل استغلال الأرض قصد بناء المتحف، لكن الملف لا يزال نائما في رفوف السلطات التي لم تبد أية موافقة. فهذه القرائن المختلفة لها، في نظري، هدف واحد هو إكراه الناس على نسيان تلك المنطقة وهجرانها وتهجير الناس منها على ما يبدو حتى يثبت العكس**

♦ في ذات السياق، ألا يمكننا الحديث عن نية بعض الجهات في تعمد المساعدة على هجرة جديدة تتمثل في تهجير الأطر والكفاءات الريفية، بعد هجرة اليد العاملة التي كانت مع بداية الستينات من القرن الماضي، وإبعادها عن منطقتها، مع إغراق الريف بمسؤولين غير أكفاء يفتقدون للمصداقية؟

♦♦ **هذا ما أشرت إليه عندما قلت لك بأن الظروف النفسية لأهل المنطقة شبيهة بالظروف التي أعقبت أحداث 58/59، يبقى أنه في تلك المرحلة كانت هناك حاجة أوربية ماسة لليد العاملة الرخيصة، أما اليوم فأوربا وأمريكا وكندا هي بحاجة إلى اليد العاملة الماهرة(مهندسين وتقنيين و...)، فالعملية ستكون عبارة عن إفراغ المنطقة من تقنييها وأدمغتها...**

♦ ولكن ألا تلاحظ معي بأن هذه المسألة لا تنسحب على الريفيين فحسب؟

♦♦ **أنا لست معنيا هنا بالحديث عن المناطق الأخرى، فما يهمني هو الحديث عن هذه المنطقة المتضررة وما عانته عبر التاريخ، خاصة وأنه في حالة ما إذا مر الوقت(أي بداية الشتاء المقبل) ولم تحل مشاكل هؤلاء الناس بإسكانهم وحفظ كرامتهم ستكون مناسبة وفرصة مواتية كي يهاجر هؤلاء كل في اتجاهه. طبعا، فالحكومة ربما ستكون مرتاحة لأنها تخلصت من المشكلة بإعدامها وليس بإيجاد الحل لها.**

♦هناك حديث في الكواليس بأن الحكومة جد متحفظة من مسألة إعادة بناء منازل الناس التي هدمها الزلزال، وأن القيام بذلك هو ضرب من الجنون...إذ قد تعتبر نفسها، أي الحكومة، مسؤولة عن تأهيل المنطقة ككل وتنميتها، أما بناء المساكن فلا يدخل في باب اختصاصاتها...

♦♦ **هناك حكمة مفادها أن "الخروف اللي كيعمل الحولي كيبان من صغرو"، فماهي مؤشرات إرادة الدولة والحكومة في إعادة الإعمار والبناء، فأنا منذ ولدت وأنا أسمع عن الطريق الساحلية التي لم تر النور إلى يومنا هذا. وحسب ما قرأنا في الصحافة الدولية وفي خطط مغربية أن الطريق الساحلية التي تمولها جهات أجنبية وبأموال أجنبية كان من المفروض أن تصبح جاهزة في سنة 2004، وها نحن الآن على مشارف توديع هذه السنة/التاريخ، وعندما تسأل الناس : أين وصلت الطريق الساحلية ؟ يجيبونك ب: سمعنا أن هناك بداية للعمل في المنطقة الفلانية...الخ.الأمر الذي يجعل السؤال قائما بشكل دائم: متى ستنجز هذه الطريق؟، والعلم عند الله والمسؤولين الذين بيدهم تلك المشاريع والأموال المرصودة لها فهم من يتحكمون في ذلك.ثم عن أية تنمية تتحدث حكومتنا الموقرة؟ فهل يمكننا تصور تنمية بدون وجود معامل ومصانع و مدارس تقنية وعلمية؟، إن الشاب الذي يخرج من منطقة الحسيمة نحو الرباط مثلا ما الذي سيرجعه إلى مسقط رأسه؟.فليس هناك لا مجال ثقافي ولا المجالات التي تسمح بانفتاح شخصية الشخص، فكل شيء مغلق. لكن في حالة ما إذا توفرت هناك مؤسسات ثقافية ومنشآت رياضية وغيرها، أقصد في حالة ما إذا كانت هناك مدينة وليس مركزا عمرانيا(لأن الحسيمة الآن عبارة عن مركز عمراني، وإمزورن مركز تجاري محلي، وذات الشيء ينطبق على بني بوعياش). هذا، في الوقت الذي تمثل فيه هذه المناطق منارات تاريخية مهمة لها آثار تراثية وثقافية يشهد بها التاريخ القديم والحديث. وإذن ما الذي يبشر بالخير وتغير الأوضاع وتحسنها في كل هذا؟ فالتنمية ليست مجرد شعار(كما هو حاصل لدى البعض) يتم التسول به لدى الجهات الأوربية والأجنبية، فمسؤولونا يتسولون بنا، ولكن الزلزال كشف خديعة تسولهم، فلو كانت هناك محكمة عادلة، على شكل محكمة العدل الدولية، لسألت أولئك المسؤولين عن المساعدات والأموال التي حصلوا عليها باسم تنمية المناطق القروية؛ فليس هناك مساءلة عن هذه المشاريع ولا أخبار عنها.ونحن نتساءل عن مآل العدد الهائل من الهبات والمشاريع التي تصدقت بها أوربا علينا. ثم إذا كانت الدولة أو الحكومة لا تعرف فعلا ما ذا تفعل، فلتخل السبيل للآخرين كي يفعلوا.**

♦ ولكن مثل هذا الأمر يطرح مسألة السيادة في نظرها كما أشرت إلى ذلك آنفا...

♦♦ **ما معنى قضية السيادة اليوم، وعن أية سيادة يتحدثون؟..السيادة وأنت تستقبل رغما عنك تعليمات من الخارج لكي تنفذها؟. عندما سئل وزير في حكومتنا المغربية: لماذا رخصتم لإذاعة "سوا" ولم تفعلوا نفس الشيء مع إذاعات أخرى كانت قد تقدمت بطلباتها منذ سنوات؟ لم يجد جوابا سوى أن قال بأن ثمة مصلحة وطنية. فعن أية مصلحة يتحدث السيد الوزير؟ فإذا كانت هناك مصلحة ينبغي أن تكون مصلحة للوطن بمفهومه الجغرافي والوطني، أما المصلحة المرتبطة بفئات معينة تسترزق من هنا وهناك، وتأتي الأحداث لتكشف عن نيات سيئة تجعل المواطن المغربي يخجل من نفسه فهي أمر مخجل حقا.فأنا لا أعتقد أن هناك مغربيا تسري فيه دماء الغيرة على وطنه رأى تلك المناظر التي قدمت من الحسيمة، طيلة أيام الكارثة، ولم يخجل من نفسه ولم يلعن حظه لكون الأقدار جعلته مواطنا ينتمي لهذا البلد.**

♦ تحضرني في هذا الإطار، الجملة الأولى التي نطق بها وزير الإعلام والناطق الرسمي باسم الحكومة عند حلول الكارثة قائلا: "إن الوضع تحت السيطرة"، إلى درجة أن لا أحد استوعب مضمون هذا الكلام في حينه إلا بتناسل عدد كبير من الأسئلة. لأنه في الوقت الذي كان كلامه ينبغي أن ينصب على الخطة والطريقة التي ستتبع في التعامل مع الأزمة/الكارثة ومساعدة وطمأنة المفجوعين نجده قد نحا منحى آخر. الأمر الذي رأى فيه العديد من المراقبين والملاحظين نوعا من الاستفزاز لمشاعر المنكوبين، إذ عن أية سيطرة كان يتحدث السيد الوزير المحترم؟

♦♦ **مثل هذا السؤال كان يجب بالأحرى أن يوجه للسيد الوزير وهو أحدر مني بتقديم الجواب عنه. أما بالنسبة إلي، فإن هذه العبارة هي عبارة شائعة في الإشهار الذي تقدمه بعض القنوات الفضائية الخليجية عندما تريد أن تقدم إشهارا حول مواد معينة للنظافة وما إلى ذلك. ثم حتى إن افترضنا جدلا أن مفهوم السيطرة كان يقصد به الهاجس أو الجانب الأمني، فلا بد أن نذكر هنا بالقول المغربي المأثور "شحال قدك من استغفر الله يا البايت بلا عشا"، فلا يمكن أن تكون منطقة(ليس بالضرورة أن تكون منطقة الريف) هي جزء من كياننا ووطننا المغرب، وأنا استغربت حتى من بعض التعليقات التي حاولت أن تربط بين الزلزال وبين الفكرة التي قدمتها بعض اللوبيات على أن الريفيين سيخرجون عن الطاعة، هؤلاء ،في رأيي، هم تجار يتاجرون بعواطف الناس ويأكلون السحت بالمفهوم الفراني. لذلك، فإن السؤال الجوهري الآن هو: هل الحكومة المغربية تملك خطة عملية لتطبيق وتنفيذ البرنامج الاستعجالي الملكي وبالتالي تفي بالوعد الحكومي الصادر عن الوزير الأول خلال الأيام الأولى للزلزال؟ ولكن ما يمكن أن يعيد الثقة للناس أكثر، بالإضافة إلى التعجيل ببناء منازل الناس وحمايتهم من قيظ الحر في الصيف وقر البرد خلال الشتاء ، هو أن يكشف المسؤولون للمغاربة عامة، والحسيميين خاصة، عن كمية الأموال التي تلقوها عقب الزلزال الذي ضرب منطقة الحسيمة وماذا ينوون القيام به، وأظن بأن هذا هو الحد الأدنى لطمأنة الناس هناك. أما أن يصمت الجميع، صمتا رهيبا، بعد عودة جلالة الملك من إقليم الحسيمة وكان الأمر قد انتهى بعد خطابه، فهذا أمر يشوه العهد الجديد ويشوه المغرب ويزيد في فقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم.**

♦ألا ترى معي بأن المجتمع المدني المحلي كان قد لعب دورا رياديا في تحريك دواليب الأمور والتعامل بإيجابية مع الأزمة، وأنه مدعو الآن لمواصلة المشوار وترسيخه كقوة اقتراحية وضاغطة؟

♦♦ **المجتمع المدني المحلي، ولا أحد بمقدوره أن ينتكر لهذا الأمر، لعب دورا كبيرا ومهما حيث برز خلال الأزمة أنه قوة حقيقية وفاعلة، ويكفي أن جلالة الملك استقبل فعاليات هذا المجتمع المدني ومدهم ببعض وسائل النقل لتسهيل مأمورية أعمالهم. ولكن ما أود الإشارة إليه، بهذا الصدد، هو أن يظل المجتمع المدني مجتمعا مدنيا وألا يتجاوز صلاحياته إلى صلاحيات أخرى. لأن كل محاولة للبروز أو الزعامة على أساس أنه الفاعل الوحيد في الميدان، سيضيع ذلك العمل المهم الذي قام به، وعليه أن يأخذ العبرة من الأحزاب السياسية التي فشلت ورسبت في امتحان الزلزال. وفي نظري ينبغي للمجتمع المدني أن تكون له أربع وظائف أساسية: وظيفة تنبيه السلطة إلى النقائص، ووظيفة إرشاد وتوجيه الناس لأجل الانخراط في العمل الجمعوي المنتج لفائدة المجتمع، ولعب دور الحارس اليقظ أثناء مثل هذه الكوارث، ثم العمل على خلق مناخ ثقافي حتى يجد المواطن البسيط مجالا للتحرك والفعل المفيد بغاية ترقية شخصه والرقي بمنطقته وممارسة الإشعاع بالنسبة للمناطق الأخرى، أما دون ذلك فلن يؤول إلا إلى الخسران.**

♦ كونك أستاذا باحثا ولك إسهامات فكرية وثقافية عديدة، هل تملك تصورا عن إعادة إعمار الريف من الناحية الثقافية؟

♦♦ **صحيح أنه منهجيا يمكننا أن نقسم بين الإعمار من الناحية الاقتصادية والسياسية والعمرانية والثقافية والنفسية...الخ، ولكن في واقع الأمر الإنسان حينما ينمو لا تنمو فيه جهة دون أخرى، فهو ينمو بشكل متكامل. لذلك سأتحدث، كما دأبت على ذلك كلما أنصب حديثي عن منطقة الريف، عن الطريق الذي يشكل أول لبنة لإعمار الريف على المدى المتوسط، أما على المدى القريب فهي مساكن الناس. لأنه بواسطة الطريق يمكن أن تكون لك مراكز ثقافية ويمكنك الاتصال بالناس شرقا وغربا، وحينئذ سيعود الناس الذين نزحوا في وقت سابق، بل وسيأتي أناس آخرون من مناطق مختلفة للاستقرار بها، وآنئذ فقط يمكننا تأسيس مدينة بالمواصفات الحديثة لهذا المفهوم. خاصة ونحن ندرك تماما بأن عالمنا اليوم غدا مفتوحا ومشرع الأبواب، بحيث أن ثمة منظمات عالمية ترغب فعلا في مساعدة هذه المنطقة وأهلها بالنظر إلى تاريخها النضالي الزاخر.لنتخيل لو لم تكن هناك موارد رزق من المهاجرين لتلك العائلات التي بقيت مستقرة في الريف، لكان الريف أفقر منطقة في العالم برمته. ثم إنه لايمكن أن يكون هناك إعمار ثقافي في ظل التساهل والتسامح مع سياسة زراعة المخدرات، فقد سمعت من بعض الأوربيين بأن الأمر في غاية الصعوبة لأنه ليست هناك بدائل لذلك؛ وأنا لست أدري ما إذا كان هذا السؤال ينطوي على استهزاء منا أو مداراة لبعض الآراء التي تسود في بعض الدوائر المغربية، بل أكثر من هذا تجدهم يردفون: هل تعتقد أن التين سيعوض القنب الهندي؟ إن السؤال الحقيقي هو: هل نريد أن يبقى الريف بلدا ل الكرموس والكيف فحسب؟ وهل عقلنا بات فارغا إلى درجة أننا لا نملك قدرة على إيجاد بدائل ومشاريع أفضل من هذه؟، ثم هل يعقل أيضا أن تبقى هذه المنطقة التي وصفتها لك آنفا من تطوان إلى الناظور إلى وادي ملوية بدون جامعة وبدون مدارس تقنية وعلمية؟ وللغرابة فإن إقليم الحسيمة على سعته لايحتوي إلا على سبع ثانويات. فنحن حينما نقرأ في كتب التاريخ عن التسابق المحموم الذي كان حول الريف بين ألمانيا وأسبانيا وفرنسا حول المعادن التي يختزنها الريف...لا نفهم ما حدث ويحدث منذ الاستقلال إلى الآن، بحيث لم نعد نسمع عن أي محاولة لاستغلال هذه المعادن قصد الانتفاع بمواردها، لأنه في حالة إنعدامها ينبغي أن يقال لنا هذا الأمر لمعرفته، أما السكوت عن كل ذلك فهو أمر ملغوم. لذلك أرى أنه أصبح من الضروري جدا تأسيس مدارس تقنية لمباشرة البحث والتنقيب عن هذه الثروات بغاية مصلحة هذا الوطن ورقيه. أما ترك الناس لحالهم هكذا، فهذا ما أسميه بسياسة التهجير، إذن فأنت تهمش هذه المنطقة لأجل تهجيرها. وبالتالي من يستفيد من هذه السياسة (التهجير)؟ هل فيها مصلحة للوطن؟ فإذا كان في ذلك مصلحة لأحد ما يجب أن يعلن ذلك. وإذن الإعمار الثقافي، بالنسبة إلي، يعني تشييد مكتبات ونوادي ثقافية ودور للشباب ومسارح ومتحف وسينما وجمعيات ثقافية تنشط بحرية في إطار القانون، بدل توجيه أنظار الناس إلى الهروب والنزوح نحو الخارج أو الداخل...وهذا أمر ليس في صالح المستقبل بكل تأكيد.**

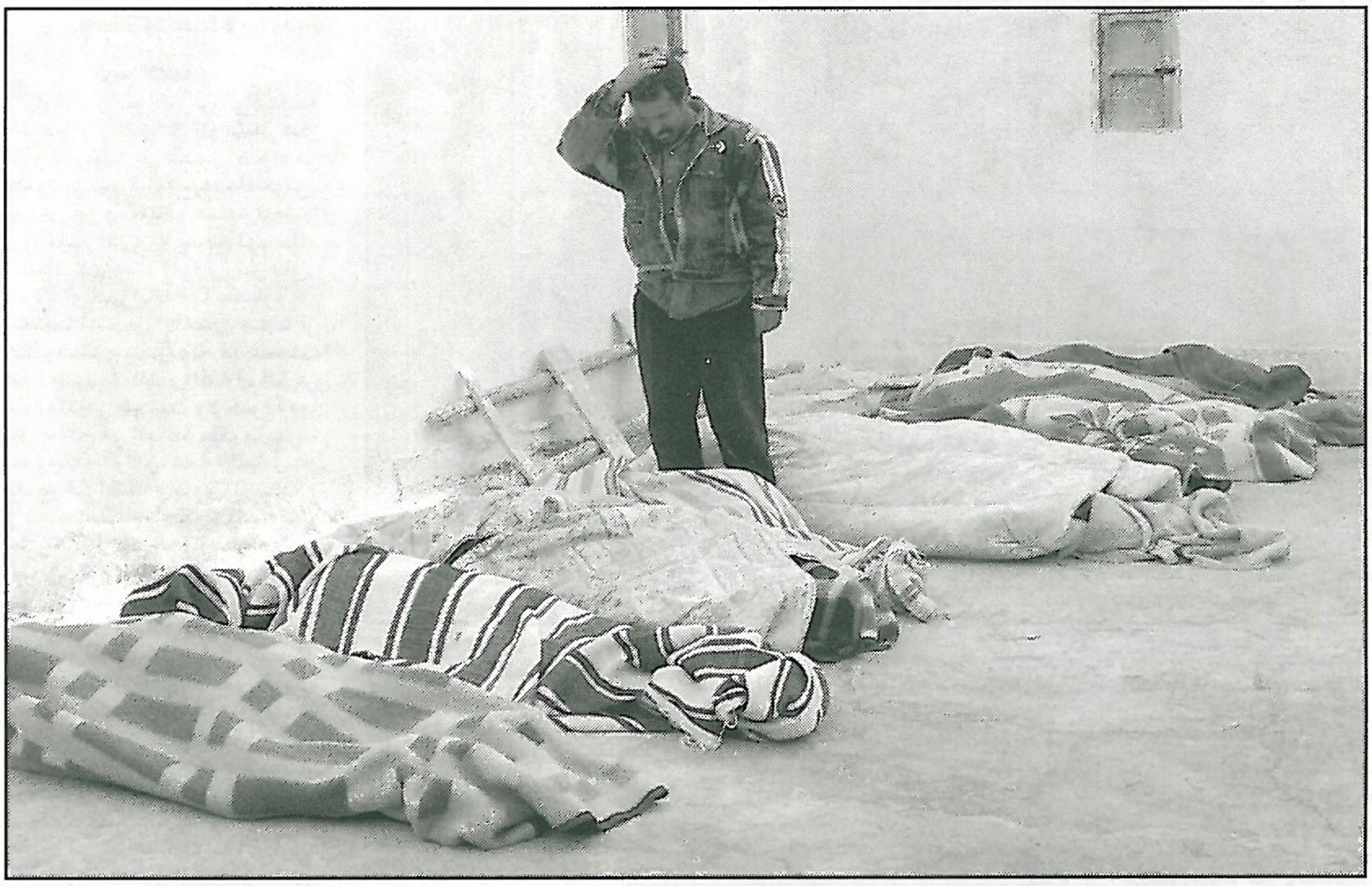
♦ونحن نعرف جيدا كيف أنه حصل تراجع رهيب على هذا المستوى بالذات بعد جلاء الاستعمار الاسباني عن المدينة...

♦♦ **نعم، فهذه مسألة جوهرية، وأنت تعرف اليوم أن منطقة الشمال هي أفقر منطقة على المستوى الوطني من حيث المدارس، أما التعليم العالي فهو منعدم. فلا يعقل أن تكون الحسيمة عاصمة جهة ولا تعرف أي نشاط إشعاعي ثقافي وعلمي مهم. وبالتالي فالمسألة في تقديري الشخصي ليست بريئة، ومن يدعي العكس وجب عليه أن ينطق.**

في تصريح للأستاذ أحمد الحمداوي (دكتور في علم النفس المرضي/ الإعاقة)

التأهيل النفسي لا يمكن أن يتم بمعزل عن التأهيل العمراني

عاشت منطقة الحسيمة زلازل متعددة وخلفت معاناة نفسية كثيرة، من الزلزال السياسي لأواخر سنة 1958 ثم 1984 مرورا بالزلزال الطبيعي لعام1994 إلى زلزال .2004لكن منطقة الريف، والحسيمة بوجه أخص، عرفت زلازل متنوعة ومستمرة وبالتالي فالمعاناة النفسية مستمرة كذلك.



إذا كانت فكرة الإعمار مسألة حتمية وراء كل كارثة، فما بالك كارثة الحسيمة التي كانت حدثا سجلت خلاله نتائج خطيرة ماديا وبشريا ونفسيا على وجه أخص..إنه لامفر من التذكير بأن قضية الإعمار هي مشروع متكامل يبدأ، أولا، من عمل تقييمي لحصيلة الأضرار المادية من فقدان المنازل والأملاك وما إلى ذلك، إلى الإعمار النفسي والاجتماعي كذلك. وبالتالي فالإعمار العمراني يتماشى والإعمار النفسي والاجتماعي، لأنه لايعقل أن نعيد بناء منزل شخص تضرر أو مات أحد أفراد عائلته من جراء الكارثة بدون إعماره النفسي أو مساعدته نفسيا وتأهيله حتى يتسنى له تجاوز الأزمة أو الصدمة النفسية التي كان ضحيتها. طبعا ، وعلى غرار باقي أبناء الريف والمغاربة، تواجدت بشكل مستمر بالحسيمة طيلة الأيام الأولى للكارثة محاولة مني لمساعدة الإخوة المنكوبين قصد مساعدتهم على تجاوز معاناتهم النفسية، لأن هناك ما يسمى بالحالة النفسية ما بعد الصدمة التي تسببها الكوارث، بحيث هناك مجموعة من الأعراض والاضطرابات النفسية والتي تظهر فيما بعد الأزمة. ونحن، بتنسيق وتعاون مع عدد من المنظمات غير الحكومية والهيئات المنتسبة للمجتمع المدني وطنيا ودوليا، حاولنا العمل على التخفيف من حدة هذه الاضطرابات على المستوى الآني فقط. لذلك، وانطلاقا من المعطيات المادية على مستوى الواقع المتمثلة في التمظهرات النفسية المرضية التي أفرزها الزلزال، فإن المساعدات النفسية أو التأهيل النفسي لايمكن أن يتم بمعزل عن إعادة الإعمار العمراني وعن التأهيل العمراني، كي يتمكن الناس من إعادة الدفء للفضاء الأسري والعائلي من خلال توفير حماية مجالاتية . وإذن، فكل المشاريع التي طرحتها الهيئات والمنظمات الدولية لن ترقى،آنيا، إلى ما كان مطلوبا، لاسيما وأنه لايعقل أن يتواصل التأهيل النفسي في إطارات غير صالحة لذلك. طبعا نحن عملنا على الإجابة على بعض الصعوبات المتعلقة بالاضطرابات النفسية الحادة أو المزمنة بغرض علاجها، غير أنه يبقى أن الصدمة تتخذ أشكالا/أصنافا ثلاثة: فيها صنف الأعراض المباشرة بعد الكارثة ، قد تستمر ثلاثة أشهر وبعد ذلك تنطفئ وتتراجع من خلال ما يسمى بالتخفيف عن طريق المجموعة التي يعيش معها الفرد. ثم الصنف الثاني من الأعراض التي تظهر وتستمر إلى سنة فما فوق وتترك بصمات معاناة نفسية غائرة. وأخيرا الأعراض المؤجلة التي تظهر في حدود خمس أو عشر سنوات وتصاحب المزاج النفسي للأفراد. وبالتالي فهذه المشاهد الثلاثة من الاضطرابات هي التي نقع عليها في منطقة الحسيمة بعد الزلزال الأخير، خاصة وأن منطقة الحسيمة عاشت زلازل متعددة وخلفت معاناة نفسية كثيرة، من الزلزال السياسي لأواخر سنة 958 1ثم 984 أمرورا بالزلزال الطبيعي لعام 1994إلى زلزال .2004لكن منطقة الريف، والحسيمة بوجه أخص، عرفت زلازل متنوعة ومستمرة وبالتالي فالمعاناة النفسية مستمرة كذلك. ولحد الساعة ليس هناك مشروع نفسي متكامل لمساعدة سكان الحسيمة، وعلى الرأي العام المحلي والوطني والدولي أن يدرك أن الإغاثة النفسية باتت من أولويات حقوق الإنسان في عصرنا هذا. فقد تطغى المعاناة النفسية على أمور أخرى، لأنه ممكن جدا أن يمسك(يصوم) الفرد عن ضروريات من قبيل الأكل والشرب، إلا أن تجاوز المعاناة النفسية هو أمر مستعص ومعقد للغاية. فلابد من المتابعة والرعاية النفسية لساكنة الحسيمة خاصة بالنسبة للمتضررين. ولهذا أقول بأن أي مشروع مجتمعي تقدمت به أي جهة كيفما كانت، سواء من السلطات العمومية أو الهيئات المدنية، لن يرقى إلى ما هو مطلوب حاليا. ربما قد يظهر ، كما حاولت أن تبين بعض وسائل الإعلام، في خيمة إمزورن أنه كانت ثمة رعاية نفسية، وقد طلب رأيي فيها ولم أكن متحمسا لذلك، لأنها كانت في العمق مجرد مطية للقول بأنه باشرنا الدعم النفسي بمنطقة الحسيمة. فالمناطق المتضررة على مستوى القرى التي مررنا بها، بآيث قمرة وآيث عبد الله والرواضي وإمرابطن وشقران وغيرها، تبين بأن هناك أعراضا لابد من علاجها وتحتاج إلى تواصل دائم في إطار مشروع نفسي متكامل، هذا المشروع الذي يبدأ من التدخل النفسي، وهو عبارة عن تقنيات نفسية تمكن الضحية/المتضرر من إعادة الحدث وتعذيره حتى يتسنى له تجاوز الصدمة النفسية التي خلفها الزلزال. وهذا لن يتأتى إلا في محيط الأسر والمداشر وفي المدارس وباقي المؤسسات والمرافق الصحية والاجتماعية والمساجد وغيرها. كما أنه لابد من مشروع اجتماعي تاهيلي، بحيث أن هناك أسرا منكوبة فقدت كل شيء، وما هو نفسي لن يكون ناجعا وذا جدوى في غياب الجانب الاجتماعي، إذ لابد من التفكير في صيغة لإعادة التأهيل الاجتماعي عن طريق خلق تشاركيات للأسر تمكن هؤلاء الضحايا/المنكوبين من إعادة الاعتبار للذات للتنمية العائلية والاجتماعية. إن كل الخدمات التي أسديناها لمنطقة الحسيمة المنكوبة أفهمتنا أنه إذا كنا نسعى حقيقة إلى إعادة تاهيل منطقة الريف، خاصة الحسيمة والناظور كما ورد في خطاب صاحب الجلالة، يجب أن تتوفر الإرادة السياسية لجعل هذا الخطاب ممكن التحقيق وإلا فستبقى كل المساعي مجرد شعارات كما كانت سلفا. وبالتالي لابد من تشكيل لجان، معينة من قبل السلطات العمومية أو سلطة المجتمع المدني باعتباره صاحب السلطة الحقيقية في زلزال الحسيمة، تسمى بلجان المتابعة والتطبيق حتى نتمكن من إعادة تاهيل هذه المنطقة لأنها مزلزلة منذ خمسين سنة..

اعداد: س.غ

المجلس البلدي للحسيمة بعد ثمانية أشهر من تسيير

شؤون المدينة والزلزال والمنعطف التاريخي

مضت ثمانية أشهر على انتخاب المجلس البلدي الجديد لمدينة الحسيمة.وقد كان المجلس مصمما وعاقدا العزم على تنظيم لقاء مفتوح مع ساكنة المدينة بغرض تشخيص وضعية المدينة على كافة الصعد، وتوضيح الحالة التي توجد عليها المالية فيما يخص المداخيل والمصاريف والديون و الإرث الكبير للمشاكل المتراكمة، وكذا الكشف عن بعض الملفات التي تهم الرأي العام المحلي ، من قبيل ملفي: محطة تصفية الوادي الحار، وملف السينما الذي مثل كارثة حقيقية للذاكرة العمرانية واغتيالا سافرا لمعلمة فنية وثقافية كانت مدينتنا تباهي بها نظيراتها على الصعيد الوطني . والغريب في الأمر أن أحد جهابذة وأبطال هذه العملية/المجزرة الذي كان له "شرف" التوقيع على قرار الهدم، وبعد 20سنة من عبثه بإمكانيات المدينة، يبدو أنه قد عاهد نفسه على العودة للساحة من جديد، بعد أن انطفا نجمه، ومن غير حشمة ولا وقار، بادر إلى مغالطة الرأي العام المحلي بافتراءات وأكاذيب زائفة عن المجلس الجديد وهو الذي لم تمر على ولادته سوى ثمانية أشهر، قضى ثلاثة منها في تدبير وتطويق الأزمة بالحفاظ على النظافة والتطهير والإنارة والوقاية من الأوبئة لاسيما بعد أن تحولت مدينتنا إلى مخيمات. ومن باب الأمانة أن نذكر ساكنة المدينة أيضا أنه في الوقت الذي كان فيه رئيس بلدية الحسيمة يؤدي واجبه اتجاه المفجوعين بمدينة إمزورن(وأهل إمزورن شاهدون على ذلك)، كان الصديق الحميم لبطلنا، في ذات اليوم، يشن حملة مسعورة على شخصنا تحت يافطة تنصلنا من المسؤولية وما إلى ذلك من الكلام المردود وغير المسؤول تماما. وإذ نعتذر لساكنة مدينتنا عن عدم إيفائنا بالوعد/اللقاء نتيجة التكالب الطبيعي الذي أصابنا(فيضانات،زلزال) فإننا نعدهم بعقد هذا اللقاء خلال شهر أكتوبر المقبل.

وعودة إلى موضوع الزلزال الذي فاجانا جميعا. خاصة بعد الزيارتين التاريخيتين لجلالة الملك والمشاريع الهامة التي كان قد أعلن عنها وما خلف ذلك من تفاؤل وحماس بالنسبة لأهل منطقتنا لطي صفحة الماضي وتطلعهم نحو مستقبل واعد وزاهر. لابد من الإقرار بأن حجم الكارثة كان صادما وبالتالي فإنه بالرغم من التضامن الواسع، الوطني والدولي، مع الضحايا والمتضررين والذي ينبغي أن نعتز به كحسيميين، والاعتراف أيضا بأن سوء تدبيرنا للأزمة وأجواء الفوضى التي طبعت عملنا في توزيع المساعدات نتيجة أخطاء نتقاسمها جميعا، وكذا قلة الإمكانيات المتاحة والأنانية التي اتصفنا بها إلى درجة صار معها الغني ينافس الفقير في الحصول على المساعدة حتى كدنا نفقد الكثير من الشيم التي كنا نوسم بها إلى عهد قريب. وقد أجج هذا الوضع الارتباك والتباطؤ الحاصل على صعيد معالجة الوضع، إضافة إلى السجالات السياسية وحرب البلاغات والمواقف والمواقع التي لاتخدم أحدا بل توغل في تازيم الوضع وتفجيره.

واليوم لاتزال عائلات كثيرة مشردة في الخيام، يقتضي منا الواجب التضامن والعمل الوحدوي البعيد عن منطق الاستفادة الذاتي والضيق. فاليوم هو موعد انطلاق المشاريع التنموية التي أعلن عنها صاحب الجلالة في خطابه ل25مارس 2004والذي أبان خلاله عن عطف واضح على منطقة الريف، التي عاشت عقودا من العزلة والتهميش والقمع، فقد أزف الوقت كي نعمل ونساهم جميعا، كل من موقعه، في فتح الأوراش الكبرى لتنمية الريف، ولن يرحمنا أحد في حالة ما إذا أخطأنا موعدنا مع هذا التاريخ، فهو منعطف حاسم لأجل إعادة الاعتبار لمنطقتنا وفرصة سانحة لمنح "حسيمتنا" ذلك الوجه المشرق الذي ياما تمنيناه ورسمناه في مخيلتنا.

الدكتور محمد بودرا

اليتيمة شيماء لعزيبي:

من سيتكفل بها... الجد أم الأمّة؟؟

بابتسامة محتشمة على وجه يحمل الكثير من علامات الاستفهام والكثير من البراءة، تستقبلك الطفلة شيماء لعزيبي البالغة من العمر 9سنوات والتي تعيش مع جدها المسن المسمى بلحاج حدو(74سنة) بدوار أيت ابراهيم مع أخويها عماد(12سنة) و أسماء(6 أسنة) هذه الأخيرة نجت من موت محقق وباعجوبة بعد انهيار المنزل عليها رفقة عائلتها التي فقدت منها والديها لعزيبي سليمان وبلحاج فهيمة وأخاها الصغير لعزيبي عبد الكريم(4سنوات) بدوار إدردوشن. في الوقت الذي كان الطفلان الباقيان والناجيان قد باتا عند جدهما ليلة حدوث الزلزال.

بعد أسبوعين من حدوث الفاجعة زارت لجنة أولى أخبرت الجد، الذي يعيل عائلة تتكون من 20فردا(أحفاد وأبناء..)، بأن الأيتام ستتكفل بهم الدولة وسيحملون صفة مكفولي الأمة. وبعد شهرين زارته لجنة أخرى اكتفوا بطرح بعض الأسئلة وأخذ المعلومات وتدوينها.

ويقر الجد بأنه تلقى مساعدات مالية من ألمانيا من طرف أشخاص مدنيين، بما مبلغه تسعة آلاف ومئتي درهم نقدا تسلمتها الطفلة شيماء شخصيا.

يقول الجد بصوت مبحوح ومرهق: إنهم بمثابة أبنائي، أحبهم كثيرا وتقاليدنا الريفية تفرض علينا ذلك. إنني لا أطلب شيئا سوى توضيح الأمور ومعرفة ما قاموا به منذ أن زاروني في تلك الفترة ولم أسمع عنهم خبرا حتى الآن. لقد عرض علي أحد أعمامهم المساعدة وهو عامل بأسبانيا، لست أدري، الأمور ما زالت غامضة، إنني أريد أن أضمن لهم مستقبلا أفضل من الذي أتمناه لأبنائي، إنهم ما زالوا صغارا. وأنا لا أحب من يتلاعب بمشاعر الآخرين في وقت الشدة ثم يبقى كل شيء على ما يرام.

إن الحالة التي نعرضها ليست إلا واحدة من كثير ربما تم طي صفحتهم كما طويت الكثير من الصفحات. و المثل الريفي علمنا أن "شهر العسل لا يدوم إلا قليلا والباكور لا يبقى في السوق سوى أسبوعا واحدا وينقضي".

فريد الحمدوي

أوضاع المنكوبين في البوادي بعد ثلاثة أشهر من المعاناة:

شاب يقتل أفعى طولها 1,80 ووزنها كيلوغرام ونصف

مرت ثلاثة أشهر على فاجعة 24فبراير التي حصدت المئات من الشهداء، والدولة المغربية مازالت تخبط خبط عشواء لمواجهة هذه الكارثة الطبيعية. ولعل المتتبع لأحوال ساكنة الريف عموما وبعض الجماعات القروية خصوصا، كآيث قمرة وإمرابطن وآيث يوسف وعلي وإزمورن، سيجد نفسه أمام كارثة إنسانية حقيقية تهدد ساكنة الريف. وإذا كان الوضع هكذا فأين تتجلى هذه الكارثة؟

■ ادريس الحدوتي



الوضع الاقتصادي:

إن فقدان المواطن الريفي لجميع ممتلكاته أو بعضها قد أثر بشكل كبير على مردوديته في العمل، سواء في الحقول أو تربية الماشية، فالمنكوبون عاجزون عن استئناف عملهم المعتاد؛ لأن وضعهم المزري لا يسمح لهم بذلك، بحيث لا يجد المواطن أين يأوي ماشيته أو حيواناته مما يضطره إلى بيعها بأبخس الأثمان، كما أن الحبوب التي يخزنها قد فسدت بعدما طمرتها أنقاض المنازل، أما عن الأثاث المنزلي فحدث ولا حرج؛ مما جعل الفلاح في البادية يقف مشدوها أمام وضعه الراهن، همه الأساس هو التفكير في الملجأ والمأوى، إذ تتبادر إلى ذهنه أسئلة محيرة وأجوبة لا تشفي الغليل حينما يتحدث مع فرد قريب منه حول إعادة الإعمار ونتائج الخبرة التقنية. أمام هذا الوضع الإقتصادي القاتم، لا يسعنا إلا أن ندق ناقوس الخطر من أجل التدخل العاجل لفك العزلة عن العالم القروي، ومساعدة الفلاح على تجاوز محنه الكبرى، وتشجيعه ماديا لجمع محصوله الفلاحي عوض وضع العراقيل أمامه وتخييب ظنه. وعلى الجهات المسؤولة إعادة النظر في برامجها بعدما أصبحتْ أمام خيارين: إما أن تعيد إسكان المنكوبين فتكون بذلك قد قامت بواجبها، وإما أن تكون مستعدة لتحمل ما سينجم عن الهجرة الجماعية لساكنة الريف، حيث نعرف جميعا عواقب الهجرة الداخلية (من البادية إلى المدينة) وما يترتب عنها من جرائم وتسكع في الشوارع وانتشار لمدن الصفيح التي تشوه معمار المدينة، ويجب أن نتذكر هنا أن الحكومة ما فتئت ترفع شعار "إعداد التراب الوطني والقضاء على السكن العشوائي"، وكذا جلب عشرة عشرة ملايين سائح عام 2010.إن هذه الشعارات جميلة وبراقة، ولكن ما محلها من كارثة الحسيمة التي تعتبر "جوهرة البحر الأبيض المتوسط"؟

الوضع الصحي:

ازدادت أوضاع منكوبي زلزال الحسيمة تدهورا في الجانب الصحي نظرا للظروف الطبيعية والأحوال الجوية المتقلبة التي شهدتها الأشهر الثلاثة المنصرمة، وقد كان لها تأثيرها السيء على صحة المواطن الذي يعيش في خيام تنعدم فيها الشروط الصحية الدنيا للوقاية من الأمراض الفتاكة والحشرات والزواحف السامة التي ذهبت ضحيتها امرأة من جماعة الرواضي، فارقت الحياة عند مدخل قسم المستعجلات بمستشفى محمد الخامس بالحسيمة بعد نقلها من الرواضي، حيث لا يتوفر المستوصف الوحيد هناك على ما يكفي من الأدوية الفعالة. وإلى ذلك، تم تسجيل حالة أخرى في آيث قمرة حيث قتل شاب أفعى طولها متر و 80سنتمترا وهي تزن كيوغراما ونصفا، وقد تم إبلاغ الجهات المعنية بذلك لتوفير مبيدات لهذه الزواحف ولكن لا حياة لمن تنادي. يضاف إلى كل هذا ما يلاحظ من تدهور بيئي خطير في مخيمات بعض الدواوير، من جراء إيداع الأزبال قرب المخيمات، إلى جانب روث الحيونات والبراز، مما ينعكس سلبا على وضعهم الصحي وخاصة الأطفال الصغار الذين يعبثون بالمياه العكرة والأماكن الملوثة دون أن يعوا مخاطر ذلك على صحتهم.

الوضع التعليمي:

إذا كان الزلزال قد دمر المنازل فإن المدارس لم تسلم من ذلك، ففي آيث داود على سبيل المثال لم يستثن الزلزال المدمر سوى حجرة واحدة مازالت تثير مخاوف التلاميذ رغم أن شقوقها ليست بالخطيرة، مما جعلهم في شبه سنة بيضاء، أمام فشل المعلمين في أداء واجبهم كما ينبغي، لأن الظروف المحيطة بهم غير مناسبة بتاتا، فالمنزل الذي كان يأويهم لم يعد صالحا للسكن، ناهيك عن مصاعب أخرى مثل انعدام الماء، وغياب سياج يصون حرمة المدرسة كمكان لطلب العلم وتنشئة الأجيال. وهذا كله جعل التلاميذ يفشلون في استيعاب المقررات الدراسية في ظروف استثنائية قاسية لم يألفوها من قبل، مما سيؤدي بهم لا محالة إلى ضعف المستوى ثم الفشل في آخر المطاف.

الوضع النفسي والمصير المجهول:

أما على المستوى السيكولوجي للمنكوب فإنه يعيش في قلق دائم تنعدم معه الثقة في النفس. وتدهور الحالة النفسية للمواطن يجعله فاشلا في أداء مهامه التي كان يزاولها قبل الكارثة بشكل طبيعي، كما يقوي النزاعات ويوتر العلاقات بين الأفراد سواء بين أفراد العائلة أو بينهم وبين الآخرين. وهذا الوضع يستدعي تدخل الوزارة الوصية كي تضع رهن إشارة هؤلاء أطباء نفسانيين لمعالجة أوضاعهم النفسية التي إذا بقيت على حالها، لا قدر الله ذلك، سوف تؤدي بالبعض إلى فقدان تركيزهم وذاكرتهم؛ ولعل الخوف من المصير المجهول هو السبب الأكبر فيما يحدث لهم، خاصة وأن العديد منهم قد يئسوا من وعود الحكومات المتعاقبة في هذا البلد السعيد.

آيت قمرة:

تصريح محمد يمين: مستشار بجماعة آيث قمرة

تبعد جماعة آيث قمرة عن مدينة الحسيمة ب18كلم، وتبلغ مساحتها 52كلم2، أما ساكنتها فتصل إلى10آلاف نسمة. وهي مكونة من عدة مداشر منها: آيث قمرة المركز، إزفزافن، بوهم، إزاروقن، إصريحن، بوهم إقوبعن، آيث داود، آيث زكري، تازغين، آيث مسعود، ثانوت.

وقد بلغ عدد ضحايا هذه الجماعة خلال الزلزال الأخير 207 شهيدا، إضافة إلى خسائر كبيرة في الماشية والدواجن. وبما أن معظم المنازل في هذه الجماعة تقليدية ومنشأة بالأحجار والتراب، فإن جزءا كبيرا منها سوي بالأرض، مما جعل آيت قمرة أكبر الجماعات المتضررة. أما المختبر العمومي للدراسات والتجارب LPEEفقد انتهى إلى إحصاء 1200دار منهارة بشكل كلي، وفيها 512منها بشكل جزئي، و 307دار متصدعة وغير صالحة للسكن، أما بالنسبة للمنازل العصرية فعددها لا يتجاوز 400منزلا تتخلل معظمه شقوق وتصدعات كبيرة جدا.

أما فيما يتعلق بالطرق غير المعبدة، فتتوفر الجماعة على ما يفوق 50كلم منها، وفي إطار تدخلها للمساهمة في معالجة هذه المشكلة الطرقية بعد الفيضانات، التزمت وزارة التجهيز بإصلاح 10 كلم ونصف. وفي إطار التدخل الاستعجالي للدولة منحت ولاية جهة تازة الحسيمة تاونات للجماعة غلافا ماليا خاصا قدره 2.700.000 سنتيم كانت قد خصصته، في إطار إنعاش الشغل، لتغطية مجالين أساسين: أولا، بغرض تجميع وتسوية أنقاض الدور المهدمة. وثانيا، إصلاح الطرق غير المعبدة. غير أن مجلس الجماعة ارتأى بأن هذا المبلغ المرصود غير كاف ولا يفي بالحاجة تماما، وبالتالي تم تجميده لحد الساعة لأن مجلس الجماعة لم يهتد بعد إلى الطريقة التي يمكنه أن يتصرف بها.

أما بالنسبة لأوضاع الساكنة فهي مزرية ومأساوية، بحيث لا يزال معظم السكان يئنون تحت الخيام وأحيانا في الخلاء لا سيما بعد الاضطرابات الجوية الأخيرة التي ضاعفت من مأساتهم، بحيث أن مجموعة من الخيام مزقتها الرياح والأمطار. وهكذا بدأت تنتشر عدة أمراض منها: الأمراض الجلدية والربو والحساسية. ومع الاهتزازات المتوالية كثرت الزواحف بما في ذلك الأفاعي والعقارب. وفي الميدان الفلاحي يتخبط الفلاحون في مشاكل عديدة منها: كيفية تجميع وحصاد المحصول الفلاحي، لسيما وأن ذلك يحتاج لقدر من المال صد إنجاز عملية الحصاد ومن ثم مشكل تخزين محصول هذا الحصاد.

من وحي الزلزال

■عبد الرحمان الزكريتي

متا متا...، مفعمة بحنو الأم على أبنائها أو الجدة على حفدتها، كانت تنطلق هذه الكلمة الساحرة، بعد أن تجتمع الأسرة الريفية البسيطة وسط بيت دافئ بحرارة المحبة التي تسدل أجنحتها على الأرواح البريئة، وتؤازرها أحيانا حرارة الموقد التقليدي في ليالي القر شتاء وخريفا. مؤذنة باستهلال الحكي عن فصل جديد من تاريخ الصراع بين نوازع الخير والشر المستوحى من تاريخ وتراث المجتمع. فتمتزج الحقيقة بالخيال...وتتفاوت نبرات الصوت الهامس في الآذان مع تغير مواقف الصراع. وتشرئب الأعناق الصغيرة إلى خاتمة الحكاية، منتظرة انتصار الخير، لتغمض الجفون الصغيرة في هدوء واطمئنان... وكم يكون الحزن عميقا حين تنتهي القصة بالمقلوب، فيتلوها السهر والكوابيس...

متى مات... أيتها الكلمة التي كانت تشد قلوبنا وآذاننا وكل جوارحنا بمجرد سماعك، فيسود الصمت في رحابك، في انتظار النهاية السعيدة...كم أصبحت ثقيلة على الألسنة الرطبة في جنبات الخيام...فاستعرت لنفسك جرد الحرباء وأجنحة الوقواق، فتلونت بلون المكان وطرت عبر الزمن لتصبحي مقدمة لسؤال الحكي عن الحاضر هنا سؤال بلسان عربي في صورة لغز:" مت مات إخوتنا وأهالينا هنا؟؟ بالأمس القريب أم قبل ذلك؟؟"..ولك أن تكوني في مقدمة الجواب أيضا: متى ماات...إيوا هيوا...

كان يا ماكان

كانت هزة الأرض قوية..وكانت الدموع غزيرة .. وكانت نجدة..وكانت حركية المجتمع المدني..وكانت تغطية إعلامية..!!

وكان ما كان مما لست أذكره.....فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر!! مسيرة أشهر من المعاناة، كانت حافلة بالمشاهد، وما أكثر السيئة والمسيئة منها.. ومع طول المسيرة تغيرت كثير من أحاسيسنا وعاداتنا وأساليب حياتنا هنا، لأن ضيق فسحة الأمل، كثيرا ما يسبب ضيقا في التفكير والإحساس، واستمر المسير بخطى وئيدة..وقد يطول.

...منذ أيام...

تحديدا بدوار من أكثر الدواوير تضررا، اسمه"تازاغين" سجل السكان وجود فرقة تقنية مكونة من أربعة أفراد، قائدها مهمته تقييم الدمار والضرر الذي لحق"بالعمران!"، فتراه يطوف بين الأطلال فاحصا ماحصا، أو داخلا إلى الهيكل منزل مهترئ بني بحجر وتراب منذ عشرات السنين. صمدت جدرانه آيلة للسقوط أمام زلزالين عنيفين، فيحصي شقوقه البارزة بدقة وعناية. وبعده يدون ملاحظاته بعيدا عن أنظار الآخرين، محيطا إياها بسرية تامة. ثم يلملم أوراقه منسحبا إلى الجار التالي. وجوابه الوحيد عند كل استفسار أنه يؤدي الواجب كما هو مطلوب منه-نعم الصرامة في أداء الواجب- لكن أليس لي أن أسأل: لماذا هذه الخبرة التقنية أصلا لمنازل بنيت بحجر وتراب منذ مدة طويلة في مناطق معروفة بعودة النشاط إلى فوالقها التحت-أرضية؟؟

ألا يكفي إحصاؤها قصد تخصيص تكاليف إعادة بنائها؟ أم أن عدم سقوطها على أهلها، أو على الأقل أحدهم سيكون حظهم العاثر؟؟ وهل سيطلب من الأهالي هنا ترقيع الجدران المشققة وإصلاح السطوح المهترئة؟؟ عفوا، بل مساعدتهم على إصلاحها كمقابر جديدة ليوم أسود قادم-لا سمح الله-/ أبيض لمن ينتعش بالكوارث ويتاجر بمصائب الآخرين. فتتخصص ميزانيات ضخمة، وتنفتح حسابات بنكية، وبعده المجهول!!..

أرجو أن لا تعجب لياسي أيها القارئ لهذه السطور، فقد علمتني تجارب ساسة بلدي بهذه المنطقة بالذات، كما علمت أهل بلدي في الكثير من المناطق المشابهة-ولك أن تسأل إن لم تكن منهم- أن أسوأ الظنون في الغالب يكون هو الأقرب إلى الواقع، وأن كل حسن نية في وعود "المسؤولين" - والمسؤولية درجات ودركات- هو ازدياد في التغفل والبلاهة. ودون سرد لكثير من الوقائع الماضية، يكفينا مثالا بهذا الصدد زلزال 1994، وفيضان رمضان الماضي..

..واليوم...في انتظار الغد

ألاحظ أن الحديث عن" إعادة الإعمار" قد تم تعويضه ب"مساعدة الناس على إعادة الإعمار". والأيام ستكشف لنا المستتر من الأفعال بعد الأقوال. لا أريد سبق الأحداث، ولكن فقط أسجل وقائع الحاضر، وأحاول أن أفهمه من خلال قراءة الماضي، والزمن وحده وعاء التفاعلات. وستحاسب كل مرحلة منه كثيرا على ما يمكن أن يقع فيها بعد أن تسند إلى الماضي!.. فقد تعلمت هنا في بلدي أن زمن الماضي وحده يمكن أن يحاسب على الفضائح والجرائم الكبرى التي تهم الشعب كاملا، أو جزء منه. فيوضع في قفص الاتهام، ثم تتوالى عليه الأحكام.

مرة بالتاريخ الأسود ومرة بالمظلم...ومرات يصبح جزء من مزبلة الإنسان..وأحيانا تسوى وضعيته عبر مصالحة الحاضر، فيطلب الصفح من المفعول به أو من خلفه- والصلح خير!- ليحيى الأمل في النفوس من جديد،.. ومع كل أمل..فعل وفاعل..ثم محاسبة للمفعول فيه...وهكذا تستمر دوامة الحياة في بلدي...

فهل تغير شيء هذه المرة؟؟؟؟

جماعة آيث يوسف و علي :

طريقة عمل المسؤولين لم تتغير وهموم المواطنين لم تتبدل

شهادات المنكوبين تعكس أن واقعهم مقلق و صعب جدا، و تعري زيْف الخطاب الرسمي بخصوص متابعة آثار الزلزال، و تفضح بُطْء سير عمل المسؤولين، و تؤكد أنْ لاشيء تغير في طريقة عملهم و تعاملهم مع مشاكل و هموم المواطنين

■ إعداد : خالد لبحار - الحبيب الشتيوي



لقد سمحت لنا جولاتنا المنتظمة التي قمنا بها عبر جملة من المداشر التابعة لجماعة آيث يوسف وعلي و ما صاحبها من اتصالات مباشرة مع بعض المواطنين المتضررين من زلزال يوم 2004/02/24من رصد مجموعة من الحقائق و الظواهر المؤلمة حول الواقع الذي آلوا إليه. و قد لاحظنا أن لهم معاناة و هموما و مخاوف و آمال واحدة و مشتركة، و لاستحالة إدراج كل الشهادات و الحوارات التي قمنا بجمعها، سنقتصر -فقط- على إيراد عينات منها. و قد حرصنا على أن تكون من موقع آيث هشام و ما يحيط به من مراكز باعتبارها المناطق الأكثر تضررا في جماعة آيث يوسف و علي، خاصة من حيث الخسائر البشرية. و حول الخطوط العريضة لمضامين تلك الشهادات نسجل ما يلي : هناك إجماع شبه كلي على أن السلطة و المنتخبين قد تخلوا عن المواطنين المنكوبين و عن غياب أي تواصل أو تشاور بين الطرفين، و أن الزلزال قد عمق الهوة بينهما. المنكوبون يعيشون أوضاعا مزرية و صعبة جدا و تستحوذ عليهم أحاسيس عميقة بالغبْن و التهميش و النسيان. كما أنهم متشككون في نوايا الحكومة و بالتالي فهم متذمرون و خائفون من مستقبلهم المجهول، و هم يستشهدون على ذلك بما طالهم من إهمال و تجاهل كلي إثر زلزال 1994و فيضانات رمضان الماضي. أوضاعهم الاجتماعية لا تسمح لهم بتاتا لا بإعادة منازلهم المهدمة و لا بالمساهمة في دفع تكاليف هذه العملية. عديدون منهم تراودهم فكرة الهجرة الداخلية و الخارجية في حالة عدم إسراع الحكومة إلى إعادة بناء منازلهم. إعادة بناء المنازل المتهدمة ليس بالحل الوحيد الذي ينتظرونه لمشاكلهم، إنهم ينشدون مشاريع مندمجة و متكاملة؛ آستصلاح الأراضي الفلاحية، خاصة تلك المتضررة بفعل الفيضانات الأخيرة، شق المزيد من الطرق، تعميم الكهرباء و الماء الصالح للشرب، بناء مراكز صحية وتجهيزها بالآلات و الأدوية و الأطر الطبية، بناء المزيد من المدارس مع توفير النقل المدرسي، تعويض الفلاحين ما ضاع منهم من مواشي و دواب، التشجير الغابوي و المثمر...

محمد الخطابي،دوار إبرلوقن/أجدير، المهنة حارس، رب أسرة متكونة من خمسة أفراد:

إذا لم تبادر الحكومة إلى إعادة بناء مسكني فسأكون مضطرا إلى بناء غرفة أو غرفتين، لكن بنفس المواد السابقة (الطين و الحجر) وهذا ما سيجعلها عرضة للانهيار، مرة أخرى، عند أول زلزال قادم

تهدم منزلي كاملا و لم تبق منه إلا غرفة واحدة ، و فضلا عن صغرها فهي متشققة، نجوتُ و أفراد أسرتي من موت محقق. أثاثي و أمتعتي كلها في العراء. حصلت،بعد جهد جهيد، على خيمة صغيرة واحدة. تعذبنا عذابا لا يطاق بفعل الرياح و الأمطار الأخيرة و ما رافقهما من انخفاض في درجات الحرارة، و أتوقع أن تتضاعف هذه المعانات مع مقدم فصل الصيف، الذي سيحول الخيام إلى أفران حقيقية، مما سيجعل المكوث داخلها مستحيلا. بدأنا نعاني من أمراض مختلفة : آلام المفاصل، السعال، أمراض جلدية و نزلات البرد...

إن عملي البسيط كحارس، و عدد الأفراد الذين أعيلهم، يجعلانني عاجزا كل العجز عن إعادة بناء و لو غرفة واحدة بالإسمنت و الحديد، بل ليس في إمكاني جمع و إزالة حتى الأنقاض المتهدمة من منزلي، كما أنني لست مستعدا لدفع أية مساهمة قد تُطلب مني لإعادة بناء منزلي، و إذا كانت هذه المساهمة ضرورية فمن الأحسن أن لا يفعلوا ذلك. عندما استحضر زلزال 1994و تلك القضبان الحديدية المعدودة و أكياس الإسمنت الهزيلة التي ضحكوا بها علينا، علما بأن داري كانت قد تضررت كثيرا بهذا الزلزال، أفقد أي أمل في هؤلاء المسؤولين بخصوص إعادة بناء مسكني. و أنا إذ أتمنى أن أكون مخطئا في توقعي هذا، أطلب من المسؤولين أن يسرعوا إلى إعادة بناء داري المنهارة، حتى أجد ملجئا لي و لأسرتي من البرد و المطر و الحرارة، و إذا لم يفعلوا فسأكون مضطرا لبناء غرفة أو غرفتين، لكن بنفس المواد السابقة، أي بالطين و الحجر، و هذا ما سيجعلها عرضة للانهيار مرة أخرى عند أول زلزال قادم .

أمينة و التيجانية ن صديق ن براج، أختين يتيمتين - دوار إِزرَنْ/ أزغار :

(نحن فتاتان يتيمتي الأب الأم... نريد مسكنا و لو بغرفتين نأوي إليه حتى لا نبقى عرضة للتشريد و الضياع..)

نحن أختان يتيمتا الأب و الأم معا، لا نزاول أي نشاط نكسب به قوت يومنا، نعيش فقط بفضل مساعدات الأقارب و المحسنين، الذين لم يبخلوا عنا بإعاناتهم طيلة الأيام الأولى للزلزال، في حين أننا لم نر أثرا للمسؤولين و الممثلين ! تهدم المنزل الذي كنا نسكن فيه كاملا، نجونا من الموت بأعجوبة، ثم انتقلنا للاحتماء بخيمة صغيرة رفقة أحد إخواننا، إلا أنه سرعان ما أدركته الوفاة حيث كان مصابا بمرض القصور الكلوي. حاولنا، بعد ذلك، البقاء في الخيمة وحدنا، إلا أننا لم نستطع، فقد وصلتنا أخبار عن مضايقات و استفزازات تعرضت لها بعض الخيام، فكيف يمكن لفتاتين - مثلنا- المبيت لوحدهن في الخلاء في مثل هذه الظروف ؟! ثم انتقلنا-بسبب ذلك- للسكن مؤقتا مع زوجة و أبناء أخينا المتوفى ريثما توفر لنا الحكومة -التي نعلق عليها كل الآمال- مسكنا و لو من غرفتين، ناوي إليه حتى لا نبقى عرضة للتشريد و الضياع، فتزداد وضعيتنا الاجتماعية تدهورا و تأزما.

عائلة الوالي ،إقروعن/ آيث هشام:

نحن لا نعول كثيرا على المسؤولين...فقد جربناهم في كوارث سابقة، نحن نريد فقط تفعيل ما وعدنا به الملك..

نحن عائلة ممتدة، تهدمت دارنا الكبيرة، فتشردت ثلاث أسر كاملة. معاناتنا لا تخفى على أحد، فهي مشتركة بين جميع من أصبحوا يعيشون داخل الخيام، و هو عيش ليس بالطبيعي. من دون شك أن جحيما و عذابا حقيقيين ينتظراننا مع قدوم فصل الصيف لكثرة الحشرات و الثعابين التي تنشط في هذا الفصل، ناهيك عن ارتفاع درجات الحرارة. مأتت كل المواشي و الدواب التي كانت في ملك عائلتنا الكبيرة لأنها كانت مجتمعة في إسطبل واحد. وعدونا بتعويضها لنا لكننا لم نتوصل بأي شيء لحد الآن. إن غالبية السكان الذين تضررت منازلهم تراهن على الهجرة إذا لم تبادر الحكومة بإعادة بناء منازلها. نحن لا نعول كثيرا على المسؤولين في إنقاذنا مما نحن فيه، فقد جربناهم في كوارث سابقة، نحن نريد فقط تفعيل ما وعدنا به الملك، الذي تدخل شخصيا في كارثتنا الأخيرة. نريد إعادة بناء مساكننا و في أقرب الآجال، حفظا لنا و لأولادنا من التشرد و الأمراض و المعانات التي لا شك أنها ستتفاقم مع حلول فصل الحرارة.

رشيد أزظوظ، دوار ثارْوا ن سيدي مْحند / آيث هشام- فلاح معطل:

(نحن عشنا، في واقع الأمر، كارثتين : كارثة الفيضان الذي جرف أرضنا الفلاحية.. وكارثة الزلزال الذي دك منازلنا - نحن لا نحتاج فقط إلى إعادة بناء منازلنا..نحن نريد حلولا شاملة..)

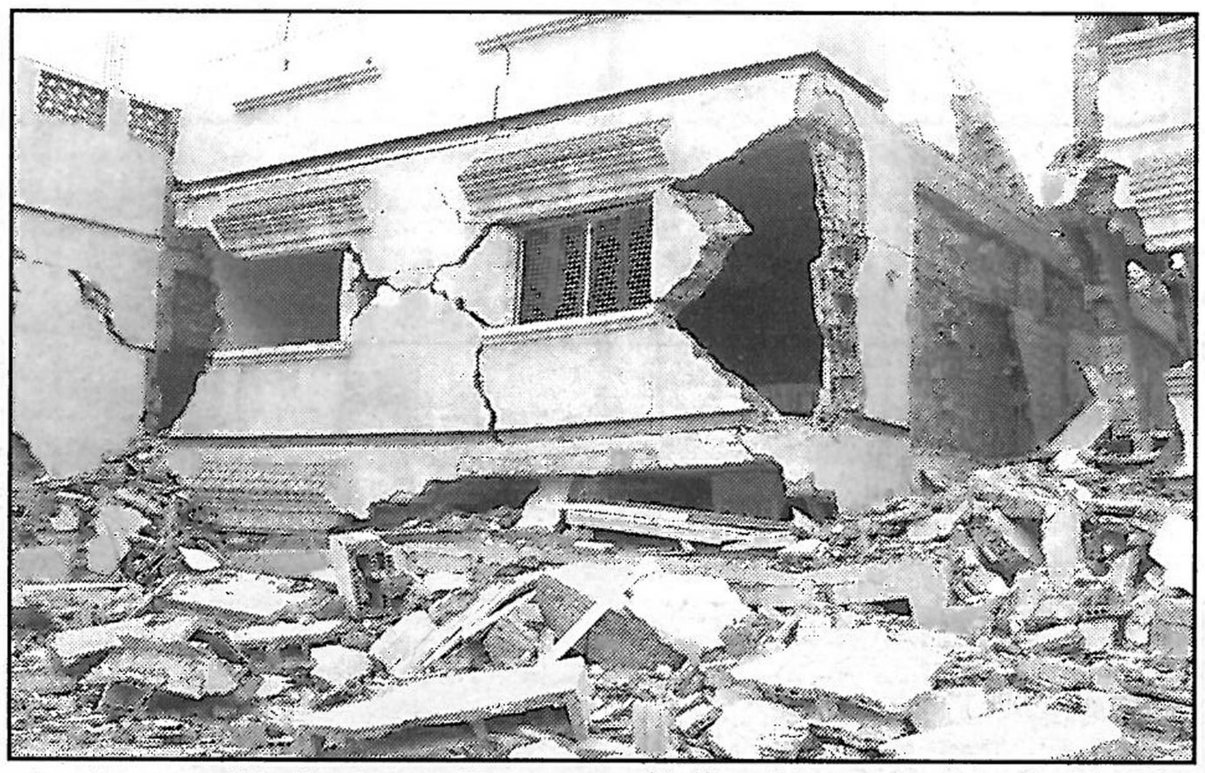
مشاكلنا ليست خافية على أحد، فماذا يمكن للمرء أن ينتظر من العيش في الخيام غير المخاوف و العذاب. تهدمت داري عن آخرها، نجوت من الموت المحقق أنا و زوجتي و أبنائي الستة، فضلا عن أمي، فقط لأننا كنا في دار أخرى ليلة الزلزال. و ها نحن قد أصبحنا نسكن في الخلاء تحت رحمة الحشرات و الثعابين و البرد و المطر و الرياح... أعطوني خيمة واحدة و صغيرة في حين أنني أعيل 09أفراد. قبل أن ينام أبنائي أضطر لوضع القطن في آذانهم حتى لا تتسرب إليها الحشرات (حشرة أبو مقص خاصة). عشنا جحيما حقيقيا مع الرياح و الأمطار الأخيرة، وضعيتنا مرشحة لمزيد من التردي مع اقتراب موعد فصل الصيف. تصدعت خزانات المياه التي كنا نجمع بها ماء الأمطار، و أصبحنا نجلب الماء عن بعد عدة كيلومترات. ماتت جل مواشينا و دوابنا، و ما بقي منها على قيد الحياة أصبح بدوره يعيش في الخلاء و العراء و الكثير منا باعها (الأغنام و الأبقار خاصة) بأرخص الأثمان و ذلك للجزارين الذين يأتون عندنا باستمرار مستغلين ظروفنا المزرية.

لقد أصبحت عاطلا عن العمل منذ فيضانات رمضان الماضي، بعد أن جرفت مياه وادي غيس الأرض التي كنت أعيش منها. و منذ ذلك الحين لم يسأل عنا أحد، سمعنا بأن هناك ميزانية خصصت لمساعدتنا، لكننا لم نتوصل بأي شيء إلى حدود الآن. نحن عشنا ، في واقع الأمر، كارثتين: الفيضان الذي جرف أرضنا الفلاحية التي كانت مصدر رزقنا، و الزلزال الذي دك منازلنا.

قبل الفيضان كانت لي أرض أشتغل فيها و أجني منها كل حاجياتي من الخضر و الحبوب خاصة،أما الآن فما عدت أكسب و لو درهما واحدا، أعيش بفضل مساعدات المحسنين و الأقارب. لقد اتصلنا برئيس جماعة آيث يوسف و علي، طلبنا منه تدخل الجماعة قصد مساعدتنا على استصلاح أرضنا الفلاحية التي غطتها رمال و أحجار الوادي و إعادة بناء الساقية التي كن نجلب بها مياه الري، و أبدينا استعدادنا للمساهمة بمبلغ ألف درهم للواحد، لكننا لم نرى منه سوى الوعود الكاذبة. قال لنا سأتصل بمدير الفلاحة و سأتصل بالعمالة، سأفعل و سأفعل، و هو بذلك يريد التخلص منا فقط. و ها قد مرت ستة أشهر كاملة على وعوده و لم يتحقق منها أي شيء، و هو أكبر دليل على كذبه علينا...في واقع الأمر فإن هذا الوضع يعاني منه كل السكان الذين كانوا يمارسون الأنشطة الفلاحية على طول ضفتيْ وادي غيس، و إذا أخذنا على سبيل المثال -فقط- مدشريْ آيث هشام و آيث عبد العزيز، سنجد أن اقتصادهما، المعتمد أساسا على الفلاحة، قد شله الفيضان ثم جاء الزلزال فأجهز عليه بالضربة القاضية. العديد من سكان هذه المناطق هاجر و الآخرون أصبحوا عاطلين...لقد فكرت بدوري في الهجرة، فأغلب أفراد عائلتي هاجروا، إلا أنني لم أستطع، فأنا أحب هذه الأرض كثيرا؛ فيها ولدت و فيها كبرت و قد أعطتني الشيء الكثير، لذلك فإنني أفضل البقاء فيها على الهجرة. إلا أنني سأضطر إلى ذلك في حالة ما إذا لم يبادر المسؤولون إلى إيجاد حلول عاجلة لمجموع مشاكلنا؛ فنحن لا نحتاج فقط إلى إعادة بناء منازلنا المهدمة، نحن نريد حلولا شاملة: نريد استصلاح أراضينا الفلاحية، نريد تزويد منطقتنا بالماء الصالح للشرب نريد تمتيع أبنائنا الذين ينتقلون للدراسة في الإعدادي بالنظام الداخلي أو توفير النقل المدرسي لهم؛ فأبنائنا يقطعون مسافة 12كيلومترا ذهابا و إيابا يوميا مشيا على أقدامهم لمتابعة دراستهم في إعدادية آيث يوسف و علي، و هذا ما يفسر الارتفاع الكبير في عدد المنقطعين عن الدراسة عندنا، و لذات الأسباب فإن تمدرس الفتيات شبه منعدم هنا، فكيف يمكن لنا أن نضمن مستقبلنا و مستقبل أبنائنا -هنا- في مثل هذه الظروف!؟

إعادة الاعمار بإمزورن

قلق وغموض في صفوف الساكنة



■ الحسن أسويق

لا يخلو أي مجلس مصغرا كان أو موسعا من الحديث حول إعادة الاعمار. حول المشروع الاستعجالي للحكومة :ما هي نوعية التعويضات التي ستقدم ?ومتى ?

لا أحد بمستطاعه أن يقدم إجابات تشفي الغليل. رئيس البلدية بنفسه ، والذي استدعي لحضور عدة لقاءات مع عدة مسؤولين حكوميين ، لا يمتلك إجابات واضحة .

غياب المعلومات وتضارب الأخبار يذكي جذوة الإشاعة. وينمي الإحساس بالقلق. بحيث تحس في أحاديث الناس بنبرة من الغضب خاصة بعد أن تناهى إلى علمهم أن السوق الأسبوعي المعروف بسوق السبت سيتم توقيفه . وقد تأكدوا من ذلك يوم الجمعة 07من الشهر الجاري عندما وجدوا أن شركة تقوم بالحفر لأخذ عينات من التربة قصد القيام بتحاليل . لم يكن ذلك اليوم عادياً فقد سرى الخبر كالنار في الهشيم كما يقال. ساد جو من الاستياء والغضب. نشطت حركة الاتصالات الهاتفية بين البلدية والباشوية والولاية لتطويق المشكلة فتم ردم تلك الحفر، حتى لا يتكرر ما وقع في بداية التسعينات عندما هاجم السكان منزل رئيس البلدية آنذاك احتجاجا على قرار كان قد اتخذه المجلس آنذاك لتحويل السوق.

بعد مرور ثلاثة اشهر ونيف على حدث الزلزال الأليم ليوم 24/02/2004، لا شيء مما هو مهم في نظر المنكوبين أنجز. فباستثناء جمع الأنقاض للمنازل التي تهدمت) حوالي 45منزلا(التي تكلفت بها شركة خاصة ودفعت تكاليفها وزارة التجهيز ، والحافلة الخاصة بجمع الأزبال التي استقدمت من الرباط من طرف مؤسسة محمد الخامس والتي تدفع البلدية، بميزانيتها الهزيلة، ما تحتاجه من تكاليف البنزين. والمهم هو إعادة إسكان المنكوبين الذين فقدوا مساكنهم أو لم تعد صالحة للسكن والذين يعيشون حاليا في ظروف مزرية ومهينة لكرامة الإنسان ومهددين بالأمراض خاصة منهم الأطفال الصغار والعجزة. وما زالت المنازل الآيلة للسقوط على حالها بعد أن عجزت البلدية عن حل المشكل لقلة إمكانياتها من جهة، ورفض بعض مالكي هذه المنازل لقرارات الهدم التي أسفرت عنها تقييمات المختبر العمومي للدراسات والتجارب. ونظرا لتشبث هؤلاء برفضهم سمحت البلدية لهم بالإصلاح على نفقتهم الخاصة شريطة تقديم خبرة مضادة يقدمها بسهولة مهندسون قدموا من فاس والدار البيضاء لهذا الغرض.

اغلب السكان عادوا الآن إلى منازلهم ، واختفت المخيمات خاصة المخيمات الجماعية. وحدهم الذين فقدوا منازلهم أو لم تعد صالحة للسكن ما زالوا في الخيام في ظل شروط لا صحية ومهينة للكرامة. وآخرون هاجروا المنطقة نهائيا.

يقول)ل.م(: نحن ننتظر تعويضات وحلولا. لقد نفذ صبرنا . لا يمكن أن نستمر على هذا الحال) مشيرا إلى خيمته البئيسة(. لقد نجونا بأعجوبة وفقدنا كل ممتلكاتنا التي حصلنا عليها بعد سنين من عملنا بالخارج. وتحس بنبرة من الغضب في حديث البعض. حين يقول أحدهم " الطفل إذا لم يبك ، لن ترضعه أمه " ،نحن لن نبقى هكذا . الكل يشتكي لكن لا أحد يفعل شيئا. الحركة التجارية مشلولة ، فرص الشغل منعدمة ، والسوق هو المصدر الوحيد لعيش آلاف العائلات .

بتاريخ 19/05/2004 استدعي رئيس بلدية إمزورن لاجتماع مهم بالولاية مع مسؤولين كبار بوزارة الإسكان والداخلية. موضوع الاجتماع هو الإخبار عن البرنامج الحكومي الخاص بالإقليم بما في ذلك امزورن باعتبارها المدينة التي كانت الأضرار بها كبيرة . لقد استقر رأي المسؤولين الحكوميين على بناء تجزئة سكنية على المساحة الأرضية)أكثر من خمسة هكتارات باعتبارها المكان الوحيد الذي يوجد في حوزة المجلس البلدي. تضم التجزئة - كما أخبر بذلك رئيس البلدية في اجتماع مع المستشارين - 649شقة تتراوح مساحتها ما بين 65و 90مترا، إلى جانب ولا تمتلك ومركب تجاري يضم 40دكانا إلى جانب مرافق اجتماعية كروض للأطفال ومركز ثقافي ومساحة خضراء ومحطة لوقوف السيارات. وقد خصص لهذا المشروع مبلغ 218 مليون درهما حسب رئيس المجلس البلدي لامزورن دائما.

أما مشروع بهذا الحجم ، الى جانب التعهد باصلاح السوق الجديد)طريق تمسمان - قرب قرية) SOSبمبلغ قد يصل 300مليون سنتيم ، وجدت البلدية نفسها أمام نارين : نار المتضررين المباشرين والحاليين من السوق ، ونار الخوف من تضييع فرصة لن تعوض لتشييد المدينة وتوفير مبالغ مالية مهمة للبلدية مستقبلا. إن الأمر ، والحالة هاتة ، يستدعي من الجميع إعمال العقل والتحلي بروح الحوار والإنصات خدمة للمصلحة العامة.

إلى جانب هذا ، وفي إطار البرنامج الاستعجالي دائما، هناك حديث عن إعادة هيكلة بعض الأحياء بالمدينة من حيث بعض التجهيزات الأساسية ،وتزفيت بعض الشوارع وسط المدينة واصلاح المؤسسات التعليمية التي حضر كاتبها العام في الاجتماع المذكور سابقا ووعد الأطراف التي أجتمع بها أن السنة الدراسية ستبدأ السنة المقبلة في مؤسسات جديدة ومجهزة. هذا دون حديث عن مساعدات مباشرة للأفراد المتضررين.

قد صار في حكم المؤكد الآن أن الدولة عازمة على تنفيذ مشروعها المتعلق بحذف السوق الأسبوعي دون انتظار حتى موافقة المجلس البلدي المعني مباشرة، اللهم إذا كانت هناك جهة ما قد قدمت موافقتها في غفلة من المستشارين. ورغم أهمية هذا المشروع، فان السؤال المطروح هو: لماذا السوق رغم أنه يشكل المتنفس التجاري الوحيد بالمدينة إذ أنه أكبر سوق بالإقليم ككل ؟.

أصل المشكلة هو افتقاد البلدية إلى أي رصيد عقاري، وهذه مسؤولية مشتركة بين المجالس السابقة والمجلس الحالي. فغياب هذا الرصيد العقاري أفقد البلدية عدة مشاريع كالوقاية المدنية وبعض الإدارات العمومية و مراكز مقترحة من طرف بعض الجمعيات غير الحكومية الأجنبية .

فما يعاب على المجالس السابقة أو المجلس المعاد انتخابه حاليا هو عدم بذل أي مجهود في اتجاه توسيع الممتلكات العقارية. بل تم التفريط - على عهد المجالس السابقة - في مساحات مهمة كالسوق السنوي) قرب حي بام(الذي فوت في ظروف غامضة لأحد الأشخاص النافذين بالإقليم تحت يافطة الاستثمار . ورغم تواجده داخل المجال الترابي لبلدية امزورن، فانه لا يدر درهما واحدا على مداخيل البلدية ولا أحد لحد الآن أثار هذا الموضوع.

الظاهر أننا أمام مهام جسيمة وصعبة، ونتمنى أن تنتبه الأم إلى ابنها لإرضاعه دون أن يبكي.

اللجنة المحلية لمتابعة آثار الزلزال بإمزورن

تقرير حول المنازل التي تقرر هدمها أو ترميمها

بناء على خبرة المختبر العمومي للدراسات والتجارب (LPEE)

قامت اللجنة المحلية لمتابعة آثار الزلزال بإمزورن أيام 12و14و15ماي 2004بمعاينة بعض المنازل المتضررة بفعل زلزال 24فبراير2004، والتي صدر فيها قرار الهدم أو الترميم بناء على تقرير مؤسسة((LPEE وبعد اتصالات مباشرة مع المتضررين المعنيين بالأمر في كل أحياء المدينة سجلت اللجنة مايلي:

أولا: فيما يخص المنازل المتضررة:

1. أغلب المتضررين ينتظرون قرارا رسميا لإعادة بناء منازلهم قبل البدء في عملية الهدم.
2. استعانة نسبة كبيرة من المتضررين بمهندسين من القطاع الخاص لإجراء خبرات مضادة لتلك التي قامت بها مؤسسة LPEE.
3. إصلاح بعض المنازل التي حددت في قائمة الهدم بدون متابعة من طرف تقني متخصص ولاترخيص من الجهة المعنية.
4. كل المنازل التي تخضع للإصلاحات العشوائية ذات تكلفة عالية(.R+2 أو R+3).
5. جل المنازل الواردة في قائمة الهدم حالتها خطيرة نظرا لتصدع أعمدتها واختلال بنائها الهيكلي.
6. وجود بعض المنازل صدر فيها قرار الهدم بحي بومنقذ واسويقن، تشبه إلى حد كبير حالات المنازل التي صنفت في قائمة الإصلاح بحي الثانوي.
7. الخبرة التقنية المنجزة من طرفLPEE لم تشمل جميع المنازل المتضررة بالمدينة.
8. المطالبة بخبرة شاملة ومعمقة على جميع المنازل في أقرب الآجال.
9. تساؤل المواطنين حول الوعود المقدمة من طرف الجهات الرسمية لإيواء وإسكان المنكوبين بالمدينة.

ثانيا: فيما يخص المنازل التي تقرر ترميمها:

1. ترميم بعض المنازل قبل صدور القرار وانتهاء عملية الخبرة.
2. انتظار المواطنين مساعدة الدولة وتحملها لتكاليف الترميم.
3. عجز المتضررين عن إجراء خبرة مضادة لمنازلهم.
4. استياء بعض المتضررين من قرار الخبرة الذي لايطابق حجم الأضرار التي لحقت بمنازلهم خاصة تلك المبنية بالطوب، وتساؤلهم عن كيفية ترميمها علما أن بعضا منها تعرضت لانهيار جزئي(صدر مؤخرا قرار يلغي القرار الأول ويقضي بتصنيف هذه المنازل ضمن قائمة الهدم).
5. التحاق بعض المتضررين بمنازلهم المنهارة جزئيا لانعدام الشروط الصحية والأمنية في الخيام.

وعليه، ندعو إلى ضرورة تعميم الخبرة التقنية على جميع البنايات بالمدينة، والحسم في نتائج الخبرة المضادة التي تقضي بإمكانية ترميم المنازل التي صنفت في قائمة الهدم. كما ندعو إلى وقف الإصلاحات العشوائية التي تطال المنازل المحددة في قائمة الهدم، لأجل حماية المواطنين وممتلكاتهم. وكذا الإسراع في إيواء وإسكان المنكوبين والإعلان عن برنامج إعادة إعمار المدينة وذلك لتبديد مخاوف السكان واستيائهم من طول الانتظار والغموض الذي يكتنف هذا الملف.

فلاحو سهل النكور يستغيثون

أسفرت الفيضانات التي شهدها سهل النكور ,أربعة أشهر قبل حادث الزلزال) بتاريخ 18/ 17نونبر) 2003، عن اضرار جسيمة في أملاك الفلاحين تمثلت اساسا في فقدان المواشي والمزروعات والآبار..على اثر ذلك كانت قد تشكلت لجنة بمقر دائرة اجدير ضمت بشكل خاص السلطات المحلية والمنتخبين أسفرت " أشغالها " عن وعود بدراسة الملف وتقديم تعويضات للمتضررين .

ظلت الوعود وعودا . وهم يحاولون لملمة جراحهم والتخلص من أوحال الفيضان ازداد الطين بلة. تهدمت مساكنهم الطينية جراء الزلزال وتحطمت السواقي التي شيدت في إطار مشروع إنجاز سد محمد ابن عبد الكريم الخطابي أواخر السبعينات وبداية الثمانينات. إصلاح السواقي هو أولوية الأولويات بالنسبة إليهم ومطلب لا يقبل التأجيل لأن بقاء الحال على ما هو عليه يعني توقف أنشطتهم الفلاحية المعاشية أي توقف مصدر العيش الوحيد الذي توفره قطع أراضيهم المتواضعة.

يقول أحد الذين تحدثنا إليهم : " بناء السد يعني بالنسبة إلينا بداية المحنة . لقد تبين أن الهدف لم يكن تنمية الفلاحة ومساعدتنا كفلاحين كما قيل لنا بل تزويد أهل المدينة بالماء الشروب. وكانت الصفقة بين وزارة التجهيز والمكتب الوطني للماء الصالح للشرب. ويضيف مخاطبنا متسائلا بمرارة : ماذا استفدنا غير اقتلاع أشجارنا وتشتيت أراضينا واقتطاع مساحات مهمة منها لصالح الدولة؟ . لقد حدث ذلك في وقت كانت فيه كلمة المخزن تسري بالحديد والنار وويل لمن رفع صوته محتجا . نحن محرومون من الماء الشروب. وحدهم بعض المحسنين يزودون السكان من آبارهم الخاصة... كان أملنا أن تزدهر فلاحتنا وتنتعش كما وعدنا بذلك، وبعضنا أنجز تعاونيات لتربية المواشي انتهت كلها إلى الإفلاس، وبعضنا ما زال متابعا من طرف القرض الفلاحي لتسديد الديون، فكانت النتيجة خلو الأرض من أهاليها وهجرة الشباب وركوب قوارب الموت».

تحطم السواقي يعني بالنسبة للعشرات من فلاحي سهل النكور وأسرهم توقف المياه القليلة التي تفرج عنها من الأبواب الحديدية الجبارة للسد بعد احتجاجات وشكاوى وضغوطات وتوسلات في بعض الأحيان.

الآن وقد مر حوالي ثلاثة أشهر على الزلزال ما زال الوضع كما هو عليه. صحيح أن وزارة الفلاحة والتنمية القروية وعدت بقرب الشروع في إصلاح السواقي في إطار مشروع هيدرو-فلاحي كبير، لكن الأمور تسير ببطء غير محتمل بالنسبة للفلاح الذي يعتبر كل يوم يمر ضياعا لموسم فلاحي بكامله . ويبدو من خلال المراسلات التي توجهها المديرية الإقليمية لبعض الجمعيات في العالم تطالبها بتقديم دراسات تقنية ومالية واقتصادية كما هو وارد حرفيا في المراسلة"للاستفادة من البرنامج الاستعجالي الذي أعدته وزارة الفلاحة والتنمية القروية لفائدة المتضررين من اثر الزلزال". إن هناك غياب إستراتيجية للتواصل والإنصات المباشر لمطالب وحاجيات الفلاحين لدى المسؤولين المحليين على الأقل. فالأذن أقرب إلى اليد التي توجد في جهتها وليس الجهة المقابلة.

الفلاحون يعبرون عن معاناتهم هنا والآن والمسؤولون يعدون بقرب الشروع في إنجاز مشاريع مستقبلية. وبين الهنا والهناك مسافة احتراق ومعاناة.

آيث بوعياش:

المشاريع المبرمجة ما بعد الزلزال: إعمار لتراب الجماعة أم إنتاج للبؤس الاجتماعي؟

■محمد بوطسغونت

ما زالت حالة الترقب مستمرة، ومواطنو إقليم الحسيمة يعيشون حالة من التوجس والقلق إزاء ما ستحمله الأيام المقبلة، أيام ما بعد الزلزال، الكل يتساءل متى ستتم الشروع في تنفيذ البرنامج الاستعجالي؟ وهل سيجمد إلى أجل غير مسمى بمفعول التقادم؟ وما هي تفاصيل إعادة بناء المساكن المنهارة والآيلة للسقوط؟

وفي لقاء له مع القناة الأولى، أكد كاتب الدولة في الإسكان أنه لا مجال للتسرع ونعم للسرعة وذلك حتى تتمكن الوزارة المعنية من تنفيذ برامجها بدقة وفعالية. هذا أكيد وحتى السرعة غير مطلوبة، لأنها تقتل. وكما يقول المثل :في التأني السلامة وفي العجلة الندامة. وكي لا نصاب بالحسرة والندم، من الأفضل ترك المواطنين يموتون ببطء تحت الخيام وهم يواجهون البرد والرياح، وفي الأيام القادمة سيلحق بهم الصيف فليستعدوا بكل ما يملكون من "أسلحة كيماوية" من باغون بايير و فليتوكس حتى يتمكنوا من تفادي جحافيل الحشرات المضرة وإلا سيتعرضوا للاحتلال، وما أشقى أن يرزح المرء تحت الاحتلال.

خبرة واختبار:

يتعذر الدخول إلى هذا المنزل إطلاقا. هذا ما جاء في أغلب الإخبارات التي تلقاها سكان مدينة آيت بوعياش من المجلس البلدي، وذلك بناء على الخبرة التقنية التي أجريت لبعض الدور السكنية. إن هذا منكر بأذنيه يقول أحد المواطنين، ويضيف أن عدم الدخول إلى المنزل إطلاقا معناه مبيت في العراء بدون رخصة وبقاء في حالة شرود حتى "إحين الله".

قسم التعمير التابع للبلدية كان على موعد مع السكان الذين طلبوا توجيهات في هذا الصدد وفقا لما ورد في الإشعار الذي توصلوا به، تقنيو هذا القسم لم يجدوا في جعبتهم ما يفيدوا به المواطنين المتوافدين على القسم سوى إحالتهم على مهندس مختص حتى يتمكنوا من ترميم منازلهم والعودة إليها. عملية إصلاح البنايات تجري على قدم وساق دون مراقبة أو تتبع لهذه الأشغال.وفي نفس السياق قامت لجنة وزارية بزيارة المؤسسات التعليمية المتضررة وذلك قصد إعادة بناء البنايات الآيلة للانهيار، إلا أن اللجنة التقنية المذكورة اشترطت عدم قيامها بهدم البنايات المتضررة بل هذه المسؤولية تقع على عاتق إدارة المؤسسات. هذه الحلول الترقيعية أنتج كارثة أقوى من كارثة الزلزال، لأنها تنم عن عقلية قروسطية تتقن فن الكذب وتعجز عن التنفيذ.

التحفظ سيد الموقف:

وموازاة مع ذلك، أعدت مديرية الجماعات المحلية التابعة لوزارة الداخلية اتفاقية شراكة مع الجماعة الحضرية لبني بوعياش والمكتب الوطني للماء الصالح للشرب تقضي بتفويت قطاع التطهير السائل للمكتب المذكور وعلى إثر ذلك عقد المجلس البلدي يومه الجمعة 14/05/2004دورة استثنائية حضرها بالإضافة إلى أعضاء المجلس، الممثل الجهوي للمكتب الوطني للماء الصالح للشرب ومدير المكتب المحلي، اللذين أعطيا شروحات إيضاحية حول بنود الاتفاقية والغلاف المالي الإجمالي لتكلفة المشروع الذي يقدر ب 3.390.000درهم.

الممثل الجهوي للماء الصالح للشرب أكد على أن هذه الاتفاقية أعفت البلدية من مساهمتها في المشروع، وأن ضريبة التأسيس الأولي ومصاريف الربط لن تطبق على البنايات القائمة حاليا، بل سيقوم المواطنون المستفيدون من هذا المشروع بأداء مصاريف الاستهلاك طبقا لحجم المياه المستهلكة. وفي نفس السياق أبدى أحد المستشارين معارضته لبنود دفتر التحملات معتبرا أن هذه العقدة تتعارض مع مبدأ اللامركزية ولا تتناسب مع الظهير الشريف الصادر في 30شتنبر 1976والذي وسع من اختصاصات المجالس الجماعية في تدبير شأنها المحلي بعد أن كان لها دور استشاري فقط. ,أضاف أن فكرة الشراكة استبعدت في هذه العقدة وذلك بعدم إشراك الجماعة الحضرية في إعطاء رأيها ومناقشة بنود الاتفاقية التي اعتبرها مجحفة وليس فيها ما يشير إلى أن الخدمات التي سيقدمها المكتب الوطني للماء الصالح للشرب سيكون بالمجان حسب ما ورد على لسان ممثل المكتب الجهوي ل ONEP، بالتالي أخذ الوقت الكافي لمناقشة مضامين الاتفاقية وإدخال تعديلات عليها، سيكون في صالح البلدية والمواطن والبلاد كله، حتى لا يصبح المواطن يدفع على الوضوء فاتورة تطهير السائل حسب رأي المستشار السابق.

وقبل اتخاذ أي قرار في هذا الموضوع، كانت هواتف بعض المستشارين ترن كأنها صفارات إنذار، تنبئ بخطر محذق قادم، وعليه قاموا بإخلاء القاعة . أما رئيس الجماعة فقد اعتبر تفويت مرفق التطهير السائل للمكتب الوطني للماء الصالح للشرب أمرا إيجابيا، باعتبار أن هذا المرفق كان ولا يزال يشكل نقطة سوداء بالنسبة للجماعة وعليه دعا أعضاء المجلس إلى الموافقة على الاتفاقية . لكن المفاجأة كانت أكبر من المتوقع، بحيث كان عدد المتحفضين يفوق عدد الموافقين والمعارضين، مما جعل المجلس وسلطة الوصاية في حيص بيص.

طريق التنمية يبدأ من الشباب والمرأة:

ومن وجهة أخرى أعلن رئيس المجلس البلدي لآيث بوعياش على جملة من المشاريع التنموية المزمع إنجازها على صعيد تراب الجماعة والمتمثلة في بناء دار الشباب ودار الطالبة وناد نسوي بتعاون مع مؤسسة محمد الخامس للتضامن. بالإضافة إلى إعادة بناء السوق الأسبوعي وتزفيت الشوارع في 10 كلمترات بتدخل من وزارة التجهيز، وتحويل اعتماد خصص لتجهيز المكتبة العمومية. هذا الإجراء الأخير حضي بموافقة جميع المستشارين الذين حضروا الجلسة أحدهم الذي تساءل:" التصويت على ماذا؟"، شأنه في ذلك شأن بعض الذين حضروا جمعا عاما لتأسيس إحدى الإطارات المدنية، إعتقادا منهم أن الأمر يتعلق بلجنة توزيع الطحين والزيت لمنكوبي الزلزال. هذا هو حال مستشارينا هم منا ونحن منهم.

جماعة لوطا:

بين وعود التعويض المادي عن خسائر الفيضانات ووهم إعادة الإعمار

■ فريد الحمدوي



تبعد جماعة لوطا بحوالي 24كلم عن مدينة الحسيمة على طول الطريق المؤدية إلى تماسينت/جماعة أمرابطن عبر إمزورن(6كلم)، ويبلغ عدد سكانها حوالي 6000نسمة موزعين على حوالي 13دوار: أيت تيسنا-إبربين-باغرم-إكلتومن-إعروذن-إعكين-أيت سعذونت-أيت ابراهيم-أيت لحسن-إفاسين-أيت اسعيد-إحنوذن وإزغاين..

ومعظم هذه الدواوير شملها برنامج كهربة العالم القروي، باستثناء دواري إزغاين وإحنوذن اللذين تلقى سكانهما وعودا من طرف المسؤولين منذ أزيد من 4سنوات دون جدوى، أما شبكة مد قنوات الماء الصالح للشرب فالجماعة قامت بإنجاز مشروع خلال سنة 2003بدوار إحنوذن لم يكلل بالنجاح كبديل عن الكهربة في انتظار الشطر الثاني الذي قد يصل أو لايصل.

وتعتبر الجماعة من بين أفقر الجماعات القروية على الصعيد الإقليمي رغم قربها من المدى الحضري لبلدية إمزورن، وذلك لغياب موارد مالية قارة تجعلها تساير وتواكب قطار التنمية والتي تمثل إحدى أكبر التحديات المطروحة على مجلسها المنتخب.

كما تعتبر أيضا من أكثر المناطق تضررا من الزلزال العنيف الذي ضرب الإقليم وخلف بها حوالي 43قتيلا وخسائر مادية جسيمة على مستوى المباني التي تهدم معظمها والواقف منها آيل للسقوط في كل لحظة.

ولقد جاء الزلزال بعد ثلاثة أشهر من الفيضانات التي اجتاحت إقليم الحسيمة، حيث أدت إلى إتلاف وجرف عدد كبيرمن الهكتارات من الأراضي الواقعة على ضفاف وادي غيس، والتي ما زال سكان المداشر المحاذية للوادي، والتابعة لتراب جماعة لوطا، يعانون من آثارها. ولقد كانت تلك البقع الأرضية أحد أهم الموارد الاقتصادية للسكان التي يعتمدون عليها في عيشهم، في غياب مصادر أخرى باستثناء محاصيل الفلاحة البورية التي تضررت هي أيضا وبشكل كبير من سنوات الجفاف التي عرفها الإقليم. لقد قامت السلطات المحلية كعادتها بإيفاد ممثل عن الجماعة المحلية وشيخ الدوار للوقوف على حجم الخسائر التي أحدثها الفيضان ولطمأنة المواطنين الأبرياء بتقديم وعود كاذبة(تعويضات مادية) ليظلوا ينتظرون إلى حين. ويعلق على الموضوع أحد المتضررين قائلا:

"كنت أستفيد من بعض المحاصيل من الخضر والنعناع والقسبر حيث كنت أبيعها بالجملة للتجار الصغار في الأسواق الأسبوعية، والتي كانت تساعدني على سد رمق العيش، أما الآن فبعد أن أتلف الفيضان كل شيء، لم يبق لي سوى بعض الأمتار من الأراضي التي اتقاسمها مع الورثة وهي أراض بورية نزرع فيها القمح والشعير وبعض حبات العدس، يستهلك معظم المحاصيل منها علفا للدواب والدجاج..لقد تلقينا وعودا بالتعويض المادي عن الأراضي الضائعة؟ لكننا لازلنا ننتظر كما هي العادة: مصيبة و إحصاء و وعود وانتظار طويل....."

لم يستفق مواطنو جماعة لوطا من هول ما خلفه الفيضان حتى ضرب الزلزال وبقوة يوم 24/02/2004 ليدمر كل شيء، ويعيد إلى الأذهان سلسلة الوعود الكاذبة للمسؤولين والهيئات المنتخبة التي قدمت لتهدئتهم أثناء لحظات الأزمة ليجعلوهم يعيشون على وهم التعويض وإعادة الإعمار إلى حين أن يشيب ريش الغراب كما عبر على ذلك أحد المواطنين.

إن الخسائر كانت كبيرة سواء على صعيد الأرواح التي استشهدت أو المباني التي تهدمت أو التي سلمت وأصبحت غير صالحة للسكن دون الحاجة إلى إيفاد لجن للقيام بالخبرة. وللوقوف على حجم الخسائر أرسلت لجنة تقنية مكونة من دركي وممثل الجماعة والشيخ ومهندس(دوار إزغاين و إحنوذن وإيفاسين) اقتصر دورها على تسجيل المعطيات وتدوينها والتوقيع عليها من طرف المواطن المتضرر دون أن يطلع أو يفهم ماكتب؟؟؟

أما الدواوير الأخرى فما زالت تنتظر وصول اللجنة المتخصصة.

أمام هذا الوضع اضطر السكان للعيش داخل خيام من قماش تغيب فيها أبسط الشروط الصحية، في ظروف جد صعبة. فبعد مرور أزيد من ثلاثة أشهر على الكارثة، أصبحت تلك الخيام غير قادرة على مقاومة الأمطار الغزيرة التي تساقطت ولا الرياح القوية التي هبت بقوة، حيث تمزق العديد منها واقتلعت مما أرغم أصحابها على النوم في العراء أو الالتحاق بمبانيهم الآيلة للسقوط للاحتماء من البرد القارس والرياح وحر شمس النهار، وهذا في حد ذاته يشكل خطرا كبيرا.يعلق أحد المواطنين بغضب شديد: "إننا لانريد لا زيت ولاسكروإنما نريد أن يبنوا لنا منازل نأوي إليها ونعيش بكرامة داخلها..إننا لسنا غجرا.. إن المخزن قد حصل على أموال بالملايير كمساعدة قدمت إلينا وليست لهم.. وأن لا يكرروا فعلة زلزال 1994ويضحكوا علينا بقضبان من حديد وآجورات وإسمنت انتهت صلاحيته.(.أوسير تبني دارك)..إننا لن نتسلم منهم أي شيء؟؟"

كما يتخوف السكان من اقتراب فصل الصيف حيث تكثر وتنتشر الحشرات السامة، ويتحدثون عن ظهور أفاعي وعقارب وأنواع أخرى من الزواحف داخل خيامهم نجا أطفالهم من لدغاتها. أضف إلى هذا مشكل النوم خصوصا عند الرجال الذين يضطرون إلى قضاء لياليهم مستيقظين للقيام بدوريات الحراسة بالتناوب تحسبا لأي هجوم قد تتعرض له العائلات من طرف عابري السبيل أو اللصوص المتربصين لانتهاز مثل هذه الفرص.

أما الوضع الصحي فينذر بزيادة تفشي أمراض الجلد والتنفس إن استمر السكان في العيش داخل الخيام في مثل هذه الظروف التي ستسوء مع مرور الأيام، وذلك كما سلف الذكر راجع إلى غياب شروط النظافة الكافية وقلة الماء والأدوية والمبيدات.

فالمستوصف الوحيد الذي يتواجد بالجماعة يقع بدوار آيت ابراهيم يعاني من خصاص في بعض الوسائل الطبية الضرورية، يزوره الطبيب مرتين في الأسبوع(يومي الإثنين والثلاثاء)، يتواجد به ممرض بشكل دائم يبذل ما بوسعه وبالوسائل المتوفرة لديه للقيام بواجبه وتقديم الخدمات الصحية للمرضى الوافدين عليه.

وبعده عن باقي الدواوير يحرم العديد من السكان الاستفادة من خدمات المستوصف المذكور، حيث يضطرون إلى قطع مسافات مشيا على الأقدام وسط الحر والبرد حاملين رضعهم قصد الاستشفاء، ومنهم من يستغني عن ما يقدمه هذا الأخيرويتجه نحو المستشفى المحلي بإمزورن..

ألا يستحق سكان باقي الدواوير البعيدة كإيزغاين وإيحنوذن وآيت تيسنا مثلا بناء مستوصفات أو وحدات صحية ولو بسيطة لتقديم الإسعافات الأولية وبعض الأدوية الضرورية للحالات المرضية المتفشية بكثرة كالزكام والسعال وأمراض الجلد... خصوصا بين الأطفال؟؟؟

ولماذا لا تنظم الوزارة المعنية جولات تفقدية ولو مرة واحدة في الشهر على السكان للوقوف على حالاتهم الصحية وتوعيتهم، بدل الاكتفاء بالزيارات الثلاث السنوية المسطرة ضمن البرنامج السنوي العادي من طرف أطر وزارة الصحة، خصوصا وأنهم يعيشون ظروفا استثنائية تحتم علينا جميعا تجنيد كل الطاقات اللازمة لحماية المواطنين والوقوف بجانبهم؟؟

أما على الصعيد الطرقي، فالطريق المعبدة الوحيدة والضيقة هي التي تربط بين إمزورن وتماسينت، أما الطرق المؤدية إلى المداشر فهي غير معبدة شرع مؤخرا في إصلاحها وبشكل مؤقت(كور واعط للعور)، يوحي بأنها لن تصمد أمام الأمطار القادمة خصوصا في فصل الشتاء، ويعتبر سكان دوار إحدوشن الأكثر تضررا حيث لا زالوا ينتظرون الإيفاء بالوعود المقدمة لهم خلال الحملة الانتخابية لسنة 1997بإيصال الطريق إليهم عبر إمندودن مرورا بآيت بولقجار، بالإضافة إلى حرمانهم من مشروع الكهربة والتزويد بالماء الصالح للشرب.

إن الوضع ينذر بالتدهور والتفاقم في حال عدم تحرك الجهات المسؤولة من أجل تقييم الوضع وحمله محمل الجد، فالكل يشتكي ويتذمر من التعامل الذي يتلقاه من المسؤولين الذين يعطوعهم وعودا ولا يفي بها أحد. وقد يعود التاريخ ليعاش مرة أخرى كما حدث في سنوات الأربعينات من القرن الماضي، حيث أرغم السكان على الهجرة إلى المدن المجاورة كتطوان وطنجة وفاس والناظور، حين اجتاح المنطقة جفاف أودى بحياة الكثيرين. وقد عرفت الجماعة هجرة الكثير من العائلات بعد زلزال 24فبراير والباقي لا يفكر سوى في حزم أمتعته لضمان مأوى لعائلته وعمل يعيله على العيش الكريم في انتظار إطلاق سراح البرنامج الاستعجالي الذي لا يحمل منه سوى التسمية فقط. فأية استعجالية هاته التي تستغرق ثلاثة أشهر؟؟؟

جماعة الرواضي هامش الهامش

ارتفاع كبير في نسبة الأمية والبطالة وإقبال مكثف على الهجرة بكل أشكالها

■حكيم مسعودي

توجد الجماعة القروية للرواضي في الجنوب الغربي لمدينة الحسيمة و يبعد مركزها (سوق أحد الرواضي) ب حوالي 35كيلومتر عن مدينة الحسيمة.تمتد هذه الجماعة القروية على مساحة تناهز 176كيلومترا مربعا . تحدها جماعات قروية أخرى هي: سنادة ، بني عبد الله، آيث قمرة و إزمورن و من جهة الشمال البحر الأبيض المتوسط.

تتميز الجماعة بتضاريس متنوعة أغلبها مشكل من الذروة الكلسية بمحاذاة من البحر والتي يصل أعلى ارتفاعاتها إلى 747مترا (جبل بويا أحمد).وشمالا تنتهي هذه الذروة الكلسية أجرافا شاطئية عمودية ذات ارتفاعات مذهلة شكلت تاريخيا حاجزا أمام الغزاة. يتميز الشريط الساحلي للجماعة بشواطئ ضيقة و معزولة و لا يمكن الوصول إلى بعضها إلا بواسطة القوارب. أكبر هذه الشواطئ يوجد عند مصبات الوديان مثلما هو عليه الحال بالنسبة لشاطئ بادس .إلى جنوب الذروة الكلسية تأخذ التضاريس شكل تلال خصوصا في الجهة الغربية من الجماعة تتخللها بعض السهول الفيضية الصغيرة مثل سهل أزغار و سهل مريقة.

يسود في كل الجماعة مناخ متوسطي جاف و حار صيفا و ممطر دافئ شتاء، و بشكل أكثر دقة فالجماعة تنتمي إلى الطبقة الحيمناخية شبه الجافة. ونظرا لطبيعة المناخ ونوعية التضاريس و طبيعة الصخور السائدة فإن الجماعة تعاني من تقص كبير في موارد المياه الجوفية، بحيث أن أغلب الآبار لا تفي بحاجيات السكان من الماء الصالح للشرب مما يدفعهم إلى اقتناء صهاريج الماء على حسابهم الخاص خصوصا في فصل الصيف مثلما هو الحال بالنسبة لدوار أذوز و تكراكرا و غيرهما. و أهم عين للماء العذب بالمنطقة كلها هي الموجودة بقرية أغبال و التي كانت تستعمل سابقا لتغطية حاجيات المركز (أحد الرواضي)، أما حاليا فإن مياهها تضيع بكل هدوء لتنساب إلى واد تارماست . يضاف إلى ذلك عيون "مريقة" الوفيرة بالماء، لكن ملوحة هذه المياه تجعلها غير صالحة للشرب وتزيد الأراضي الزراعية ملوحة عند استعمالها للسقي.

تتكون الجماعة القروية للرواضي من 29 دوارا و يبلغ العدد الإجمالي لسكانها 9231 نسمة موزعين على 1484مسكنا (حسب إحصاء 1994) وبالتالي فإن الكثافة السكانية جد مرتفعة و تناهز 52,4ساكن في الكيلومتر المربع.

إن المؤشرات السوسيو اقتصادية جد متردية على كل تراب هذه الجماعة، بحيث أن المعدل العام لنسبة الأمية يتجاوز 75,5% خصوصا بين الفتيات والذي يتجاوز معدل نسبة الأمية عن الفتيات اللواتي يتراوح عمرهن بين 10و 24 سنة . 83%كما أن نسبة البطالة حسب المصادر الرسمية (إحصاء (1994في الفئات العمرية التي يتراوح عمرها بين 15و 24سنة تعادل 23,4%، غير أنه، حسب تقديرنا الشخصي، فالبطالة تتجاوز 60%من مجموع السكان و تهم الإناث أكثر من الذكور عكس ما يبينه إحصاء . 1994 أما بالنسبة للتجهيزات السوسيو اقتصادية فإن الجماعة تتوفر على 15 مدرسة ابتدائية و التي هي في الغالب عبارة عن قسمين لا أكثر، يدرس بها حوالي 1381تلميذا بمقابل 601تلميذة كما تتوفر على إعدادية واحدة في مركز أحد الرواضي يدرس بها حوالي 240 تلميذا من بينهم 70تلميذة.

بالنسبة لقطاع الصحة لا تتوفر كل الجماعة إلا على مستوصف وظيفي واحد بالمركز والذي يعاني من نقص كبير في كل التجهيزات و لا يقدم إلا بعض الإسعافات الأولية، كما أن المستوصف الذي تم بناؤه في دوار "تاوسارت" منذ سنوات لا زال مغلقا إلى يومنا هذا لعدم توفر وزارة الصحة على أطر!؟ و إلى يومنا لا تتوفر الجماعة ولو على سيارة إسعاف واحدة، وهذا ما يفسر كون عدة نساء في الجماعة كان مصيرهن الوفاة نتيجة عسر الولادة خلال السنوات الماضية. لا تتوفر الجماعة إلا على ملعب واحد لكرة القدم يوجد بمريقة بعيدا عن السكان وهو عبارة عن مساحة من الأرض المستوية أصلا والتي بني حولها جدار و غير ذلك فالجماعة لا تتوفر على أي تجهيز مخصص للشباب.

يعتمد اقتصاد جماعة الرواضي على فلاحة بورية معاشية مرتبطة بوفرة الأمطار (الشعير أساسا) وعلى الرعي و خصوصا الماعز و بشكل ثانوي على الصيد البحري التقليدي بحيث لا يتجاوز عدد القوارب بكل الجماعة 25قاربا تمارس نشاطها بشكل موسمي لعدم توفر البنيات الأساسية و التجهيزات التي تسمح لها بالإبحار.و ذلك رغم كون هذه المنطقة من أغنى المناطق بالأسماك نوعا و كما بإقليم الحسيمة.

تمثل الطريق الثانوية التي تربط بين الحسيمة و شاطئ كالايريس و التي تعبر مركز أحد الرواضي الطريق اليتيمة و الضيقة التي تربط الجماعة بمحيطها.

من خلال ما سبق يتبين أن هذه الجماعة المهمشة في ريف أوسط مهمش تعاني مثل عدد كبير من الجماعات القروية بالإقليم من ارتفاع نسبة الأمية و البطالة وبالتالي الإقبال المكثف على الهجرة بكل أشكالها و ألوانها و مآسيها. ما هو إذن واقع التنمية بهذه الجماعة؟.عرفت جماعة الرواضي بعض المشاريع التنموية التي تهم مجال توفير الحد الأدنى من التجهيزات الأساسية مثل كهربة بعض القرى التي قد يعود تاريخ تأسيس البعض منها إلى القرن الرابع عشر ميلادي (أذوز) أو إلى ما قبل ذلك (بادس) مثل فتح طرق غير معبدة إلى أذوز و التي تجرف المياه جوانبها عند أول قطرات الغيث والتي أصبحت تشكل خطرا على مستعمليها واحدا واحدا لأنها لاتسع لسيارتين معا، و مثل التفكير النشيط في تجهيز بعض الدواوير بصنبور ماء عمومي لكل السكان.

من بين المشاريع الهامة أيضا مشروع المتنزه الوطني للحسيمة و الذي يهدف إلى الحفاظ على الثروة الحيوانية البرية و البحرية للمنطقة مع عدم إغفال الساكنة في مشاريع تنمية الدواوير وإدماجها في هذا المشروع. سوى أن عدة جمعيات وأفراد سبق لهم التعبير عن عدم وضوح ما تم إنجازه و ما زال ينتظر التنفيذ و ما أمثلة سواقي الماء والبئر الجاف الذي ما يزال مفتوحا كفخ للعابرين الغرباء بدوار تاونيل و كذلك الدرجات التي جرفتها الأمطار قبل استعمالها بدوار توسارت كلها مؤشرات تحبط مشاعر ساكنة المتنزه الذين يرون مشروع المتنزه ترسانة من القوانين تمنعهم من استغلال الموارد الطبيعية لأرضهم و تحرمهم من خيراتها. و في اتصالاتنا مع العديد منهم تبين لنا أن أغلبهم لا يعرف ماذا يمكن أن يجنيه لتحسين وضعه المادي من إنجاز مشروع المتنزه الذي حسب علمنا لازال ينتظر إصدار مرسوم لإقراره. لهذا لا يرون فيه إلا مزيدا من التضييق على موارد عيشهم الضيقة أصلا.

كما لا يجب أن نغفل بعض المشاريع التنموية التي تشرف على إنجازها الجمعية الإسبانية MPDLبشراكة مع الجماعة القروية للرواضي وبعض المصالح التي تهم مختلف الجوانب(البيئة، المرأة، التربية، السياحة القروية) بتمويل إجمالي يتجاوز 900مليون سنتيم. هذه المشاريع طبعا هامة لأنها تشكل بالنسبة للجماعة معينات على التنمية لكن هذه المشاريع لوحدها غير كافية للنهوض بالمنطقة و تنميتها في غياب اهتمام خاص و مشاريع تنموية شاملة يتم ادراجها في مخططات تنجزها الجهات الرسمية.



جماعة الرواضي بعد زلزال 24/02/2004

عانى سكان هذه الجماعة الكثير من هذا الزلزال ومن الذي سبقه سنة 1994ولا يمكن اختزال الأضرار الناتجة عن زلزال 2004في 22 شهيدا بدوار أغبال من أصل 213نسمة أي ما يعادل 10,4%إضافة إلى شهيدين بدوار تاكونسا Tagunsa.بل إن عدد المنازل التي تهدمت بشكل نهائي و التي هي مهددة بالسقوط في كل لحظة كبير جدا. لقد عانى سكان هذه الجماعة كثيرا طوال الأسابيع الأولى التي تلت الزلزال ,بحيث أنه في دوار أغبال مثلا لم تصل الإسعافات الأولية لإيصال الجرحى إلا مع منتصف نهار 24/02/2004 علما بأن الزلزال قد حدث على الساعة الثانية و النصف و ذلك بعد الاتصال هاتفيا بأحد ممثلي السلطة ليرسل جرافة قامت بفتح الطريق أولا و حفر قبر جماعي للموتى ثم لينقل الجرحى في جرار ,هكذا مر اليوم الأول.بين مراسيم دفن الأحباب والأهل وتأوهات الجرحى ليحل الليل و ما يخفيه من هزات ارتدادية. في اليوم الثاني لا أحد أيضا سوى بعض الأهل الذين جاءوا من الدواوير المجاورة لكنه في الساعة الثامنة مساءا وصلت سيارة تابعة لجمعية MPDLتحمل حليبا و تمرا وعلبا من البسكويت و بلاستيكا لصنع ملاجئ مؤقتة. في اليوم الثالث حملت أنا شخصيا خمسة خيام أعطاني إياها بعض أفراد أسرة الموساوي من آيت موسى و الذين أشكرهم كثيرا نيابة عن سكان أغبال لما أسهموا به في هذا المصاب بالنسبة لمجموع المنطقة المنكوبة كما لا أنسى إخواننا من إقليم الناظور الذين عملوا على إيصال و توزيع كميات هامة من المساعدات الغذائية بأنفسهم إلى قرى منسية بالريف العميق. في اليوم الرابع و أنا عائد من أغبال رأيت حوامة عسكرية تتجه نحو الدوار فاستبشرت خيرا فدلفت راجعا لأجد الحوامة قد عادت أدراجها و قد أنزلت لكل سكان الدوارالذين تحلقوا حولها ثلاثة خيام و كيسا من الفاصوليا(اللوبيا) وزنه 50كيلوغرام. إذا كان هذا صورة مقتضبة لما عشته في دوار أغبال فإن الحال لا يختلف كثيرا بالنسبة لباقي دواوير جماعة الرواضي.

بحيث أنها نسيت تماما لا من طرف المسؤولين و لا من طرف الجمعيات ربما لعدم حدوث حالات وفيات لكن معاينة سريعة لما آلت إليه حالة المنازل و التصدعات التي ظهرت بها نتيجة الهزة الرئيسة و الاهتزازات الارتدادية التي أدت إلى انهيار بعض المنازل مثلما في دواوير تاوسرت ,أسكرم ، إجدجوثن... دون وفيات.وهكذا نسيت جماعة الرواضي و أصبحت تحت رحمة الأقدار و عندما توفرت الخيام تم توزيعها على مناطق منكوبة و نسيت الرواضي مرة أخرى و كان من اللازم تنظيم مسيرة من طرف السكان نحو عمالة الإقليم ويتم إيقافها في آيت قمرة لكي يتبين للمسؤولين أن الجماعة لم تستفد من أية مساعدة فيما يخص الخيام ولا المواد الغذائية التي تقاطرت بشكل مكثف من كل الجهات على الإقليم.

حاليا و بعد مرور أكثر من شهرين و نصف عن حدوث الزلزال. لا حديث للسكان إلا عن إعادة البناء و هل سيتم نسيان جماعة الرواضي مرة أخرى؟ علما أن أغلب الأسر بالجماعة قد حصلت على خيام تأوي إليها هربا من منازل بعضها قد تسقط تلقائيا في أية لحظة بدون هزة أخرى, هذه المنازل التقليدية المبنية بالحجارة و الطين والتي تضررت بزلزال 1994و زلزال 2004.هل ستستطيع المقاومة أكثر؟ أهلها قاوموا كل أصناف الغزو خلال التاريخ وشكلوا حاجزا منيعا أمام دخول الغزاة، أما الآن و أمام الزلزال و نسيان هذه الجماعة من طرف المسؤولين فليس لدينا ، كما يقول أحد المسنين، إلا الهجرة إلى تطوان مثلما فعل أجدادنا أيام بوشتى البغدادي وهذا بالنسبة لكبار السن و الأطفال و النساء، أما الشباب فأمامه البحر الأبيض المتوسط كما كان يفعل آباؤنا عندما كانوا يتاجرون في البيض و السمن و العسل مع سكان الضفة الأخرى(اسبانيا).

جماعة النكور:

المختبر العمومي للدراسات والتجارب: بنايات تشكل خطرا في الاستغلال

بمجرد أن حلت اللجنة التقنية التابعة للمختبر العمومي للدراسات والتجارب بتراب جماعة النكور، أستبشرت الساكنة خيرا وتناست كل آلامها ومعاناتها جراء الزلزال الذي ضرب إقليم الحسيمة. تنقل هذه اللجنة بين دواوير الجماعة مرفوقة بممثلي السكان وممثل السلطة المحلية ورجال الدرك الملكي، أحدث ارتياحا عارما لدى سكان الجماعة، وجعلهم يعقدون آمالا كبيرة على الجهات الرسمية في إعادة بناء منازلهم المنهارة أو الآيلة للسقوط.

وبناء على مصادر موثوقة فإن هذه اللجنة التقنية لا تقوم بإجراء الخبرة بمقاييسها العلمية بل تقوم بمعاينة المباني التابعة للجماعة وتسجل ملاحظاتها في سرية تامة. ما يقارب 90 بالمائة من البنايات آيلة للسقوط. إلا أن هذه العبارة استبدلت بعبارة "بناية تشكل خطرا في الاستغلال"، كما هو مبين في التقارير التي توصل بها المجلس الجماعي حسب ما جاء على لسان أحد المستشارين التابعين للجماعة. وهذه ما يطرح العديد من علامات الاستفهام ويجعل باب التأويلات مفتوحا. وما يزيد الأمر تعقيدا وغموضا هو سكوت الجهات الرسمية عن التدابير والإجراءات المزمع القيام بها.

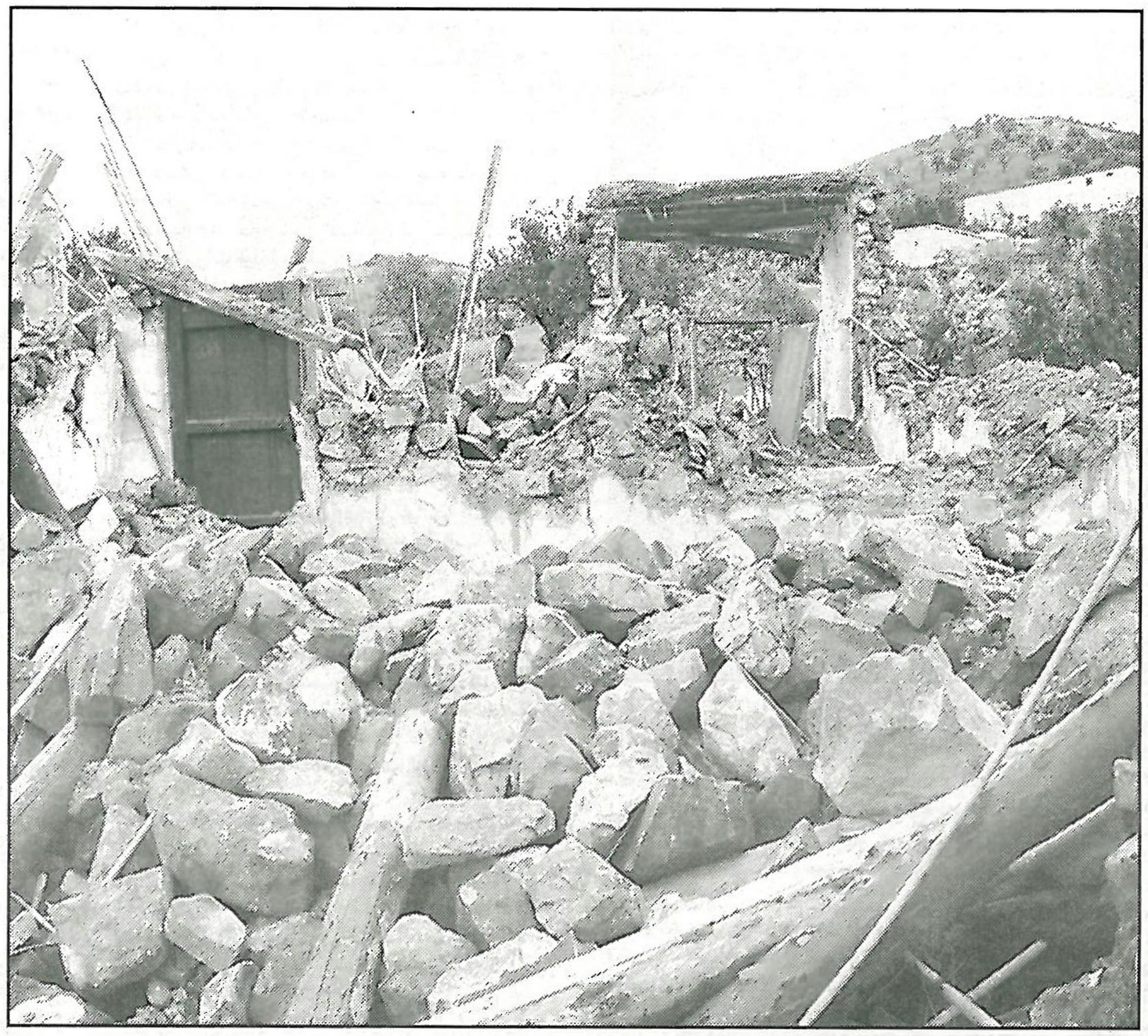
وفي اجتماع له مع والي الجهة والذي حضره رؤساء الجماعات القروية، صرح لنا رئيس جماعة النكور أن الحكومة خصصت مساعدات مالية وأخرى عينية متمثلة بمد المتضررين حسب درجة الأضرار التي لحقت ببناياتهم بكميات من الإسمنت والحديد، لم تحدد قيمتها ولا حجمها وذلك قصد إصلاح وإعادة بناء منازلهم.

لانفهم إن كانت هذه الزيارات التي كانت تقوم بها اللجنة التقنية مجرد جولات مكوكية قصد الاستطلاع والإطلاع على أحوال الناس الذين لازالوا يتخذون من الخيام والبلاستيك مأوى لهم، أم أنها بالفعل تعد تقاريرها التقنية كإجراء يساعد الحكومة في إعداد برنامجها المرتبط بما أصبح يسمى "إعادة الإعمار". هذا القرار الذي اتخذته الحكومة بعد طول الانتظار سيشكل بلا شك خيبة أمل كل سكان الجماعات القروية ومعها جماعة النكور، حيث ذهب أحد سكانها إلى القول بأنه سيرفض هذه المساعدات بصيغتها الحالية، معبرا عن سخطه إزاء هذا الوضع المتسم بالرتابة والصمت. يقال إن السكوت حكمة لكن حكومتنا الموقرة تعتبره علامة الرضى، وعليه تقوم بإعداد مخططاتها المقاومة للزلزال، عفوا المضادة للاحتجاج.

محمد بوطسغوينت

جماعة زاوية سيدي ع القادر و جماعة بني حذيفة:

ءايُوجِيرءيترو ءاربي يارنُوياسْ



■ سعيد بنعلي

هكذا علق أحد المسنين بجماعة ز.س.ع القادر على الزلزال الأخير الذي ضرب إقليم الحسيمة المنكوب. فالأهالي بجماعتي بني حذيفة وز س ع القادر ما فتئوا يتجرعون مرارة الكوارث الطبيعية التي ضربت منطقتهم وقضت على كل شيء، بعدما لم يتبق أي شيء.

لم تكد سنة 2003تنصرم حتى هبت عاصفة مطرية، استمرت لأيام متتالية خلفت دمارا حقيقيا في البنيات التحتية للمنطقة، كاشفة الحقيقة التي توجد عليها منذ عقود، وضع لا تحسد عليه.

تبعها الزلزال المعلوم الذي هز الريف بأسره مخلفا أزيد من ست مئة شهيد من كل الفئات العمرية ومن الجنسين، في ثوان معدودات.

شهدت الجماعتان حركة تكاد تشبه تلك التي عاشتها سنوات مقاومة الاستعمار، وأيام المؤامرة الكبرى التي حيكت بالريف سنوات 58 و 59 فمنذ شهر نوفمبر وساكنة الجماعتين تغدو وتروح من و إلى مقر قيادة بني حذيفة، مطالبة السلطات الإدارية المحلية والمجالس الجماعية للأخذ بيدهم، معتبرين أن هذا من مسؤولياتهم. فقامت السلطة الإدارية المحلية بفتح لوائح لتسجيل أسماء المتضررين من العاصفة المطرية. لما سئم المواطنون من أي تدخل للدولة، عاد كل واحد إلى حال سبيله. لم يمض سوى شهرين حتى عمت الكارثة كل الناس. فلم يكن من مطلب لدى هؤلاء ساعتها سوى توفير الخيام كملاذ للأطفال والنساء، عوضا عن منازلهم الآيلة للسقوط وهربا من البرد الذي لا يرحم.

أصبح الأهالي يعيشون على أعصابهم بعدما فقدوا كل شيء في رمشة عين. القلق هو عنوانهم اليومي والمصير المجهول هو قدرهم الوحيد. فالدواوير التابعة للجماعتين تنعدم فيها أبسط شروط الحياة من ماء شروب وإنارة ومستوصف قريب ووسائل مواصلات...رأسمالهم الوحيد، مسكن أجدادهم الذي يختزن تاريخا وثقافة عريقين أصابه التصدع بشكل كامل.

المواطنون هنا يتساءلون عن مدى جدية برنامج إعادة إعمار المنطقة، أم أن هذا الأخير ينضاف إلى قائمة المشاريع الوهمية التي سبق الحديث عنها طوال العقود الماضية.

الوضع بشكل عام سيء للغاية وذلك على جميع المستويات. كل الأسر تعيش على أعصابها، والخوف لا يفارقها. التلاميذ انقطعوا عن الدراسة لمدة تفوق الشهر، عمال البناء والفلاحون لم يستأنفوا عملهم بشكل كامل. النشاط التجاري يعرف تراجعا ملحوظا. معدل الهجرة ازداد عما كان عليه في السابق.

حديث الناس اليومي يدور حول الهزات الارتدادية اليومية. المعاناة مستمرة. الخيام لا تزال منصوبة، وغالبية الأسر عادت إلى منازلها مؤخرا، أ حد المواطنين وصف اللجوء إلى منازلهم قائلا: "إننا ننام في مصيدة حقيقية للأرواح البشرية، إننا مهددون في وجودنا".

ويتحدث التجار عن إعفائهم من الضريبة على القيمة المضافة لمدة خمس سنوات، آخرون يجزمون أن هذا مجرد إشاعة ليس إلا. فاتورة الكهرباء لشهري مارس وأبريل جد مرتفعة، أضف إلى ذلك الإتاوة على التأخر في الأداء. فصل الصيف على الأبواب، ارتفاع درجة الحرارة وتكاثر الزواحف السامة والقاتلة يشكلان تهديدا فعليا لحياة السكان.

الحركة على الطريق الإقليمية الرابطة بين الجماعتين قلت بنسبة هامة بفعل إتلاف القنطرة المشيدة على وادي غيس. مداخيل الجماعتين في تراجع مستمر، الديون المترتبة تجعل المجلسين القرويين مجرد مكاتب للاجتماعات. الحسابات السياسية الانتخاباوية تقيد كل مبادرة جادة لتوحيد الجهود للاقتراح والقيام بخطوات هادفة لتنمية المنطقة.

مواطنو الجماعتين يعبرون عن شكرهم وامتنانهم عبر هيئة التنسيق المحلية لجمعيات المجتمع المدني لكل الأشخاص والمنظمات الحكومية وغير الحكومية الوطنية والخارجية (خاصة أفراد الجالية المقيمين بالخارج) لوقوفهم إلى جانبهم، ويسجلون بفخر المجهودات الجبارة التي قامت بها هيئة التنسيق المحلية، ويعتبرون أن استياء بعض الأفراد والأطراف من عملية توزيع المساعدات من طرف اللجن الثلاثية، تعبير من هؤلاء عن تذمرهم من الشفافية التي مرت فيها هذه العملية، ولدنو نهاية انتفاعهم وحساباتهم الدنيئة.

لم يشرع في إحصاء المنازل المتضررة بفعل الزلزال إلا يوم الخميس 6/05/2004 اللجنة المكلفة بذلك تتكون من ممثلي السلطتين المحليتين، ومن ممثل السكان وتقني من المختبر العمومي للدراسات والتجارب. قامت هذه اللجنة بزيارة لدوارين تابعين لجماعة بني حذيفة، لم تعد لاستئناف عملها حتى يوم الإثنين 10/05/2004.

المواطنون بالجماعتين يتساءلون عن جدية هذه اللجنة ويطالبونها بزيارة باقي الدواوير.

إن المواطن هو الرقم الصعب في معادلة المسؤولية الملقاة على عاتق الدولة، إنه يعول كثيرا على تطمينات أعلى سلطة سياسية في البلاد بشأن فك العزلة على منطقته والشروع في التنفيذ الآني للمخطط الشامل لتنمية الريف.

جماعة تيفروين:

دوار إيصوفين ينتظر من يفك أسره من العزلة والتهميش اللذين يطالان أطرافه

يشكل دواري إيصوفين وتفروين ما يناهز 60 بالمائة من مجموع ساكنة الجماعة الذي يقدر بحوالي 80000 نسمة ويعد هذين الدوارين من المناطق التي لحقت بها خسائر بشرية ومادية كبيرة جراء الزلزال الذي هز إقليمنا العزيز.

دوار إيصوفين الذي يبعد بحوالي 10كيلومترات عن مدينة آيث بوعياش، يجد قاطنوه صعوبة كبيرة في التنقل إلى المدى الحضري وذلك بانعدام المسالك الطرقية باستثناء وادي سفتولة الذي يعد المعبر الوحيد وهذا ما يجعل الدوار يعيش وضعية شبيهة بنظام الأبارتايد(الفصل العنصري) خلال فترات الشتاء. وحسب تعبير أحد أبناء المنطقة فإن السكان يعيشون على نمط الأربعينات، فحتى التسوق ما زال يتم بوسائل جد تقليدية، فنقل المرضى إلى المراكز الصحية التابعة لآيت بوعياش يتم على متن الدواب في أحيان كثيرة، ويضيف أن الجهات الرسمية مطالبة اليوم بالقيام بمسح طبوغرافي من أجل إعداد دراسة حول إمكانية ربط الدوار بمركز آيت بوعياش.

الآن وبعد مرور ثلاثة أشهر على الزلزال المدمر، فإن جل السكان التابعين لهذا الدوار لا زالوا يقبعون في الخيام وهذا الوضع بالنسبة لهم غير مستساغ ولا يمكن التأقلم معه إطلاقا. وإذا بقي الحال على ما هو عليه فإن هذا الدوار سيعرف هجرة جماعية نحو مختلف جهات المملكة وهذا ما سيحدث قطيعة مع الإرث الثقافي والتاريخي للمنطقة حسب ما جاء على لسان أحد أبناء المنطقة.

أما عن اللجنة التقنية التابعة للمختبر العمومي للدراسات والتجارب فإنها لم تغطي تراب الدوار ككل ولم تجر الخبرة التقنية للمسجد التابع للدوار، إلا أن هذا الموضوع لم يحظ باهتمام كبير من لدن السكان على أساس أن معظم المنازل الموجودة في تراب هذا الدوار مبنية بالطوب والحجر، وبالتالي يجب إعادة بنائها دون إجراء خبرة والتي تكلف أموالا باهضة للدولة دون جدوى.

أمام هذا الوضع المقلق، الكل ينتظر انقضاء الموسم الدراسي والانتهاء من جمع المحاصيل الزراعية لشد الرحيل إلى مناطق أخرى ليعكسوا بذلك شعار "تقريب الإدارة من المواطن" بتقريب المواطن من الإدارة يستمر في الوجود وتستمر معه الحياة.

محمد بوطسغونت

الجمعية المغربية لحقوق الإنسان فرع الحسيمة:

بيان

في إطار المتابعة المستمرة لمخلفات الزلزال العنيف الذي ضرب إقليم الحسيمة يوم الثلاثاء 24/02/2004، وفي ضوء الزيارات المنتظمة التي يقوم بها أعضاء الجمعية لمختلف المناطق المتضررة، وعشرات الشكايات التي ترد على الفرع من قبل العديد من المتضررين، تدارس المكتب المسير لفرع الجمعية المغربية لحقوق الإنسان بالحسيمة في اجتماعه الأسبوعي ليوم الخميس 06/05/2004، الإجراءات والتدابير التي اتخذت من قبل المسؤولين لمعالجة آثار الكارثة، وبعد استحضاره للأوضاع المأساوية للساكنة المنكوبة، التي لا زال معظمها ينام في العراء أو في خيام بسيطة لا تقيها من قساوة البرد ولا خطر الزواحف السامة، ناهيك عن انعدام أدنى الشروط الصحية للعيش داخلها...يعلن للرأي العام ما يلي:

احتجاجه على التباطؤ الذي يطبع عمل الحكومة في تعاطيها مع الكارثة، رغم مرور أزيد من شهرين على الزلزال.

مطالبة الحاكمين ب:

= الإسراع ببناء ما دمره الزلزال، خصوصا المنازل المنهارة والمنازل غير الصالحة للسكنى.

= إخراج البرنامج الاستعجالي إلى حيز الوجود.

= معاقبة كل العابثين بأرواح المواطنين والمتلاعبين بالمال العام، وإبعاد المتورطين في الفساد، أيا كان نوعه، عن مراكز المسؤولية وعن المنطقة.

= وضع مخطط تنموي شامل كفيل بإخراج الإقليم من دوامة الفقر والتهميش والتهجير.

إشادته بالدور الذي قامت به مختلف الهيئات المحلية والوطنية والدولية للحد من آثار الكارثة، وفي هذا الصدد يلتمس منها الاستمرار في متابعة تطورات الأوضاع ومساندة المتضررين.

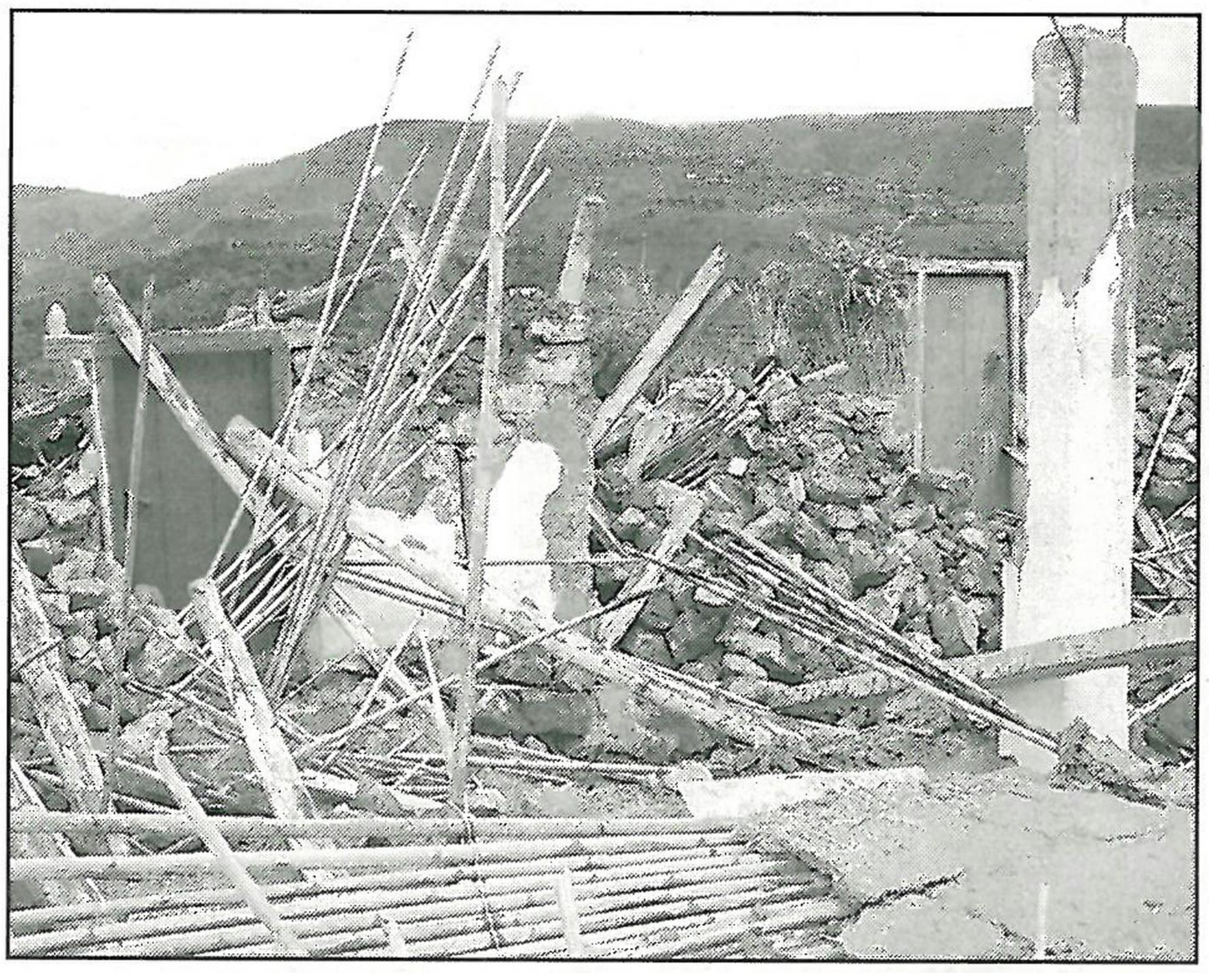
دعوة مختلف المكونات المدنية وكل القوى الحية إلى استجماع طاقاتها، خصوصا في هذا الظرف الخطير الذي يتطلب تظافر جهود الجميع لتحقيق المستقبل.

تشبثه بالعمل داخل تنسيقية الهيئات المدنية للإغاثة ومتابعة آثار الزلزال، التي كان له شرف المبادرة إلى تأسيسها، واستعداده للتنسيق مع كل المكونات الفاعلة بالإقليم.

استعداده لخوض كل الصيغ النضالية المشتركة والوقوف إلى جانب المتضررين حتى تحقيق مطالبهم العادلة والمشروعة. وفي هذا الصدد يؤكد تضامنه مع كل الحركات الاحتجاجية التي يشهدها الإقليم.

تأملات حول ما قبل وما بعد زلزال الحسيمة

■ امحمد ابركان×



نبذة تاريخية:

بسبب موقعها الجغرافي وإطارها الجيولوجي، عرفت منطقة الحسيمة بدون شك مئات الملايين من الهزات الأرضية خلال ما قبل التاريخ.

وخلال التاريخ ورغم نقص المراجع، فإن العشرات من الهزات قد تم ذكرها منها على سبيل المثال الزلازل التي ضربت المنطقة سنوات 1693، 1803، 1910و 1924.

وأثناء سنوات الستينيات وبينما كنا صغارا ندرس بابتدائية أبي طالب بإمزورن، ثم تلاميذ بالإعدادية والثانوية بمدينة الحسيمة ، فإن زملائي في الفصل وكل سكان المنطقة يقتسمون معي ذكريات الهلع والقلق اللذين كانا ينتابنا جميعا أثناء وبعد تلك الهزات.

يوم 26ماي :1994محطة مهمة في زلزالية المنطقة

إن مدينة الحسيمة والنواحي استمرت في الاهتزاز دون إثارة انتباه الساكنة حتى صباح يوم الخميس 26ماي 1994حين هلع سكان الحسيمة بسبب هزة أرضية كان مقدارها 5.8على سلم رشتر/ هذه الهزة خلفت أضرارا بمباني البادية وبعض البنايات القديمة بالمدينة . وقد سجلت أيضا هزات قوية.

وكانت متبوعة بهزات ارتدادية ضعيفة، عادت بعدها الحياة إلى طبيعتها. وقد اهتم بها خصوصا الباحثون حيث نشروا مقالات أكدوا فيها أن الفوالق ذات الاتجاه شمال – جنوب والمائلة ((Obliques لانكسار النكور قد لعبت من جديد ((Rejeu de faillesوكانت السبب في تلك الهزة . بينما انكسار النكور (Ie décroche-ment de Nekor) "يتهم".

يوم 24فبراير :2004زلزال قوي يضرب منطقة الحسيمة

إن زلزال 24فبراير 2004الذي ضرب مدينة الحسيمة ونواحيها كان بمقدار 6.3على سلم ريشتر . ودمرت هذه الكارثة الطبيعية في بضع ثوان مجمل منازل البوادي التي بنيت بمواد وتقنيات متجدرة في ذاكرة ساكنة الريف منذ قرون كثيرة، شكل الحجر والطين والخشب أهم ركائزها.

هذا الزلزال لم يمح فقط هذه البنايات التقليدية ولكنه أجهز أيضا على مساكن عصرية ، بالإضافة إلى أنه خلف حوالي 700قتيلا ومئات الجرحى وترك كذلك الآلاف بدون مأوى .

مميزات زلزال الحسيمة ليوم 24 فبراير2004.

عن الزلزال الذي ضرب منطقة الحسيمة يوم 24فبراير (M = 6.3) 2004مشابه لزلزال أكادير لسنة . (M= 5.75) 1960والاثنان يعتبران من صنف الزلازل السطحية ذات البؤر القليلة العمق (3كلم بالنسبة لزلزال أكادير و 8 كلم بالنسبة لزلزال الحسيمة).

بالإضافة إلى أن الهزات العنيفة للزلزال لا يتجاوز عمق بؤرته 20كلم كما هو حال الزلزالين السابقي الذكر تكون متبوعة بهزات ارتدادية قد تدوم عدة أسابيع إن لم نقل شهورا هذه الهزات قد تخلف هلعا لدى الساكنة التي لازالت تعاني من صدمة الهزة الرئيسية، بيد أنها تشكل خطرا على المباني التي استطاعت الصمود أمام الهزة الرئيسية العنيفة.

كارثة طبيعية تدمر لكن لا تقتل بشكل مباشر

إن زلزالا مقداره 6.3لا يمكن تجاهله، بل على العكس من ذلك يجعلنا نفكر. إنه زلزال خطير بالنسبة لبلد كبلدنا حيث البنايات غير اللائقة تشكل واقعا قائما(أزيد من 40% من السكان يقطنون هذه المساكن)، وتكون غالبا السبب في الخسائر البشرية في حالة وقوع زلزال.

عن زلزال الحسيمة يعتبر كارثة نعم، لكن يمكن القول بأن الخسائر كانت ستصبح أكثر حدة لو أن مثل هذه الهزة ضربت مثلا مدينة الدار البيضاء أو الرباط أو فاس. كيف سيكون في هذه الحالة مجموع الخسائر البشرية والمادية؟ إلى ماذا ستؤول مدننا القديمة في فاس، الرباط، الدار البيضاء إلخ...

زلزال الحسيمة ليوم 24فبراير 2004والمخاطر الاجتماعية والاقتصادية

منذ أزيد من شهرين وعائلات بكاملها تعيش مكدسة في خيام، بعضها "تقليدية"، بالمدن والمراكز القروية لكن خاصة بالقرى . إني لا أتحدث عن السكان الذين ما زالوا مذعورين لكن سيلجؤون إلى منازلهم التي صمدت، بعد تجاوز مرحلة الخوف هاته، ولكنني أقصد السكان الذين فقدوا مساكنهم وممتلكاتهم خصوصا في القرى حيث موجات الحر الصيفية لا تقل قساوة عن موجات البرد والمطر أثناء الخريف والشتاء.

إن الوقت يمر بسرعة والفصول تتعاقب، لكن الأيام تبدو طويلة بالنسبة لهؤلاء المتضررين الذين هم في ظروف صعبة.

هؤلاء"المصطافون" رغما عن أنفهم سيضطرون للهجرة إلى المدن والمراكز القروية باحثين عن حاجياتهم الأساسية بشتى الوسائل التي لن تكون حتما مقبولة، إذا لم تتخذ التدابير اللازمة لإعادة إدماجهم في محيطهم الأصلي.

لقد تحركت الحكومة لمواجهة المشكل، وقد اعتمد مخطط استعجالي وبرنامج لفك العزلة عن المنطقة بفضل التوجيهات السامية لجلالة الملك محمد السادس ، الذي تابع عن قرب وميدانيا عملية الإغاثة وتوزيع المساعدات على المتضررين.

والآن، إن أرض منطقة الحسيمة حقا ما زالت تتحرك: إنه استمرار الهزات الإرتدادية التي هي طبيعية جدا، الأرض ستهدأ تدريجيا لكن لن تتوقف .

ساكنة الحسيمة!الدخل إلى منازلنا إذا سلمت من زلزال 24فبراير 2004 .فإذا كانت الأرض قد هدأت ، لا تنتظر أن تتوقف لكن على مسؤولينا وعلينا جميعا أن نتحرك وبسرعة كي تعود الحياة إلى طبيعتها . بينما الأرض كما سبق وذكرت لن تتوقف بشكل نهائي بل يجب أن تتحرك كي تتطور بنيتها : إن الصفائح التكتونية تتحرك شيئا فشيئا وفي بعض الأحيان بقوة حتى تتحول البحار والمحيطات لسلاسل جبلية ، هاته الجبال بدورها تتحطم ، تتكسر وتتعرض لعوامل التعرية لتستقر موادها أخيرا في قعر البحار والمحيطات على شكل ترسبات . هاته الأخيرة ستشكل بدورها سلاسل جبلية تلك الجبال الفتية والمتحركة كما هي جبال الريف حيث شاء القدر أن تتمركز مدن وقرى الحسيمة ، إمزورن، أجدير ، أيث قمرة ، إمرابطن إلخ...إنها ظواهر طبيعية قد تدوم ملايين السنين حسب التوقيت الجيولوجي .

لتعلم ساكنة الحسيمة التي همها الزلزال ، ولنعلم جميعا أنه لحد الآن لا يمكن التنبؤ بشكل دقيق بالزلازل، لكن يمكننا الوقاية من المخاطر الكبرى سواء كانت طبيعية ، صناعية أو سوسيو اقتصادية .

وفي الأخير ، يجب علينا أن نتحرك ونعمل راجين من الله عز وجل أن يحمينا من كل مكروه.

× أستاذ الجيولوجيا بكلية العلوم ، جامعة محمد الخامس- أكدال – الرباط

عن أية إعادة إعمار يتحدثون؟

يشغل بال سكان الحسيمة بعد مرور حوالي ثلاثة أشهر عن الزلزال الأخير ، إشكال إعادة إعمار المنطقة . فإذا كان المنكوبون ينتظرون شروع السلطات الرسمية في تنفيذ وعودها فإن فئات كثيرة من الساكنة تتساءل بقلق شديد عما يمكن إنجازه، لعل مرد ذلك القلق سببان رئيسيان:

أولهما يرجع إلى ما خلفته سنوات التهميش والاقصاء الذي تعرضت له المنطقة والذي رسخ قناعة -حتى لدى المواطن البسيط- بأن الدولة لا تريد تنمية في هذه الربوع، وآخر أدلتهم على ذلك أن الدولة تصر على عدم اعتبار الحسيمة منطقة منكوبة بشكل رسمي، من جراء الزلزال.

أما ثانيهما، فيكمن في مشروعية المفهوم ذاته. فالمعلوم أن إعادة الإعمار تشمل في المقام الأول إعادة بناء وإصلاح البنيات التحتية الأساسية والمؤسسات الحيوية والانتاجية. لكن أما ضعف هذه الأخيرة أو ندرتها نتساءل عن أي إعادة إعمار يتحدثون؟؟

لم تكمل السلطات- لحد كتابة هذه الأسطر- إحصاء وجرد حجم الدمار الذي خلفه الزلزال في المباني رغم ثبات حقيقة تجلى في انهيار الكلي للدور والمباني المشيدة بالأدوات المحلية التقليدية من أحجار وطين وأعمدة وقصب، وهي النتيجة التي خلص إليها بحث ميداني أنجزته جمعية قدماء ثانوية سيدي بوعفيف ببعض الدواوير التابعة لجماعة آيت يوسف وعلي، (انظر الجدول).

لقد انهارت المباني الطينية بنسبة 100 في المائة فتحولت إلى أنقاض وأطلال فكدنا نفقد جزء من تراثنا الفني والمعماري الذي ميزنا في مرحلة تاريخية سابقة، وقد كانت أكثر من 95 في المائةمن هذه المباني المنهارة حسب نفس البحث مخصصة للسكنى نظرا لضعف المدخول وقلة الامكانيات لدى قاطنيها والذين تشردوا في الخيام أو نزحوا إلى مدن أخرى بحثا عن الأمل والأمان، بعد أن قضوا سنوات مرتبطين بأرضهم ينتظرون أن تتحسن أوضاع حياتهم من دون جدوى. فعن أية إعادة إعمار يتحدثون؟؟

صندق 101 أفرج أخيرا عن حسابه بمبلغ: 238مليون درهم، كمبلغ أولي ولازال مفتوحا في وجه التبرعات، لا حديث عن مشاريع ومخططات فعلية وحقيقية لإنقاذ المنطقة من الركود الاقتصادي الذي أرغمت على عيشه، فالتجار والصناع والمقاولون والموظفون... يتساءلون عن التحفيزات التي قد تمنح لهم والإعفاءات الضريبية والتعويضات الجزافية، التي قد يستفيدون منها فيما الصمت

الدوار	المباني المحصاة	عدد المنزل المنهارة	نوعها
آيت محند أويحيى	118	27	بناء تقليدي
تفراست	77	26	بناء تقليدي
مركز بوكيدارن	83	16	بناء عصري
بولمعيز	80	36	بناء تقليدي

يخيم على أصحاب القرار وأجهزتهم الإعلامية. فعن أية إعادة إعمار يتحدثون؟؟

إن إقليم الحسيمة يفتقر إلى بنية تحتية تؤهله إلى المستوى الاقتصادي، رغم وفرة إمكانات النهوض به: الصيد البحري، السياحة، الثروة الغابوية، الفلاحة والودائع البنكية لجاليتنا بالخارج والمؤهلات البشرية...كلها توفر فرص هائلة للاستثمار المنتج الذي يعود بالمنفعة على ساكنة المنطقة بالدرجة الأولى ويضع حدا للتخريب والنهب والاستنزاف الذي تتعرض له هذه الثروات منذ فترة من طرف من لا يرون أبعد من أرنبة أنوفهم، مستعملين في ذلك كل الوسائل اللاشرعية الممكنة، مستغلين ضعف مبادرات المجتمع المدني في هذا الصدد، والذي يتساءل بدوره: عن أية إعادة إعمار يتحدثون؟؟

تتطلب المرحلة الحالية خلق شروط تنمية مستديمة في المنطقة، تراعي خصوصياتها البيئية والسوسيوثقافية، وكذا العمل على تأهيل الاقتصاد المحلي وتطهيره من الشوائب وترسيخ قيم التضامن وحقوق المواطنة بما يضمن للسكان حق التمتع بثرواتهم وتدبير شؤونهم بشكل ديمقراطي.

احميدو واعروص

بيان من منتدى المنظمات غير الحكومية العاملة في ميدان التنمية الإقتصادية والإجتماعية بشمال المغرب

انعقد بتاريخ 24أبريل 2004المجلس الإداري لمنتدى الجمعيات العاملة بحقل التنمية بشمال المغرب، في أول اجتماع له بعد زلزال الحسيمة المأساوي، حيث خصص جزءا مهما من مداولاته للوضعية الراهنة التي تعرفها منطقة الحسيمة وتقييم مستوى تدخل المنتدى بالمناطق المنكوبة، حيث سجل ما يلي:

اعتزازه بالدور الرائد الذي لعبه المجتمع المدني في مختلف المراحل التي عرفتها الكارثة، وتواجده الميداني إلى جانب المواطنين المفزوعين.

يحيي مختلف المبادرات المحلية والوطنية وكذا المنظمات الدولية ومنظمات الهجرة التي ساهمت في عملية الإنقاذ وإسعاف المنكوبين وتقديم مختلف أنواع الدعم الإنساني.

يعبر عن استغرابه من التباطؤ في تنفيذ البرنامج الإستعجالي، والمتمثل أساسا في بناء المنازل المهدمة وإعادة إسكان المنكوبين والمتضررين.

يعبر عن أسفه على رفض الحكومة اعتبار منطقة الزلزال منطقة منكوبة.

يعتبر أن حجم الكارثة والخسائر المسجلة زاد من حدتها واقع التهميش التاريخي الذي تعرفه منطقة الشمال عموما ومنطقة الحسيمة بالخصوص، والمتجسد في انعدام البنى التحتية والمرافق الإجتماعية.

يعتبر هذه المحطة المؤلمة مدخلا لإعادة النظر في استراتيجية التعاطي الرسمي للمسؤولين مع هذه المنطقة مع ما يستدعي ذلك من إشراك فعلي للمجتمع المدني ضمن هذه الإستراتيجية.

والمنتدى إذ يقف وقفة إجلال ترحما على أرواح ضحايا الكارثة، يجدد استعداده لتقديم المزيد من أشكال الدعم، والمساهمة في برامج الإعمار بالمنطقة.

طنجة في 24ابريل 2004
عن المجلس الإداري للمنتدى

مذكرة مرفوعة إلى السيد: معالي الوزير الأول*

من طرف: لجنة 24 فبراير للإطارات النقابية والهيآت السياسية اليسارية التقدمية بالحسيمة

نتشرف نحن أعضاء اللجنة أن نعرض على أنظار سيادتكم ما يلي:

إيمانا منها – الهيآت المكونة للجنة – بان الزلزال المروع الذي ضرب منطقة الريف الأوسط يوم 24فبراير 2004قد كشف لسيادتكم ولكافة الجهات المعنية حجم التحديات التي تعاني منها المنطقة: اقتصاديا ,اجتماعيا ,سياسيا ,ثقافيا ,إيكولوجيا وإداريا .. وتبين لكم بما لا يدع مجالا للشك بأن وقائع العزلة والتهميش والانتقام حتى ,ليست مزايدات سياسية، بل هي حقائق فعلية صدمت كل ذي ضمير حي وجعلت رجال الصحافة ولا سيما الاجانب ، يقفون مشدوهين أمام مشاهد مروعة لحياة بدائية لعدد هائل من المواطنين يعيشون في ظروف تنعدم فيها الشروط الدنيا لاحترام الكرامة البشرية ,لاسيما في القرى المجاورة لمدينة الحسيمة والمراكز الحضرية ,وحتى هذه الأخيرة لم تسلم من تلك المشاهد المأساوية . فيكفي للمرء أن يتحلى بالحد الأدنى من الموضوعية ليؤكد بان هذه المنطقة ,ذات التاريخ العريق والمتوفرة على مؤهلات طبيعية وجيو- استراتيجية مهمة ,لا تستحق أن يكون أبناءها على هذه الحالة المهينة وغير المشرّفة ,وهي التي كانت منذ القدم ملتقى لازدهار التجارة القوافلية التي تشهد عليها المدن المدفونة تحت أنقاض المشاريع الملغومة التي أحدثت في العقود الماضية لقطع صلات الأجيال المقبلة مع ماضي أجدادها البطولي كما هو الحال مع مدينة المزمّة والنكور وبادس .. وضرب أبنائها مثلا يُحتذى به في مقاومة الأطماع الاستعمارية ,هؤلاء، ورغم هذا التاريخ العريق في الإباء والشهامة والتضحية، وجدوا أنفسهم بعد الاستقلال عرضة للتهجير والمخدرات والتهريب والقمع الجماعي والطمس المهين لخصوصياتهم الثقافية واللغوية والإجهاض المنهج والتدريجي لبُناهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمقولاتية الموروثة عن الاستعمار نفسه ,وعزلهم سياسيا واقتصاديا وقطع جميع المنافذ البرية والبحرية ,لدرجة أن من عايشوا فترة قريبة يؤكدون أن ميناء الحسيمة في ثلاثينات القرن الماضي ، كان ملتقى تجاريا ترسو فيه عدة بواخر وسفن قادمة من الدول الأوربية وخصوصا إسبانيا . كل هذه الآمال أجهضت أمام أعين الجميع وبتواطئ مكشوف لعدة جهات، وشرد أبناءها في ديار الأوربية وآخرون يواجهون مصيرا أسودا لسياسة التهجير والهجرة بعد انتهائها إلى الأفق المسدود ,تاركة وراءها أحزمة من الفقر والبؤس الاجتماعي وطغيان عبث معماري داخل المدن المُحدثة بطرقة ارتجالية وغير المهيئة عمرانيا بشكل يحافظ على أصالة و خصوصية الطابع المعماري المحلي بسبب سيادة الغش وسوء التسيير وغياب المراقبة وانتشار مافيا عقارية متقاطعة مع مافيا المخدرات . وكان طبيعيا أن يفرز هذا الفضاء أجواء من طغيان الإجرام وأسواق الدعارة وجيوش من المتسولين .. ولا تزداد هذه الظواهر إلا تفاقما بسبب عجز الدولة والأجهزة المنتخبة عن بلورة برامج طموحة قادرة على إنقاذ هذه المنطقة من هذه الورطة التي أقحمت فيها عنوة .

وتأسيسا على هذه الصراحة والشفافية في استجلاء الحقائق المرة – ليس بهدف مضايقة أحد أو بمنطق تصفية الحسابات ، بل بدافع صادق لإعادة النظر بشكل جذري في نسيجنا الإداري والسياسي والتدبيري للأزمات – إذا كنا نريد تجنيب المنطقة السقوط في دوامة ردود الأفعال والصراعات الشاقة ,فلابد من الاعتراف بالأسباب الحقيقية التي أدت الى تفاقم عدد الضحايا خلال الزلزال الأخير والإقرار بأن هؤلاء كانوا يواجهون موتا مؤجلا منذ زلزال 1994,لكون أجهزة الدولة تعامت ,عن عمد أو بدونه , على عدم أخذ وضعيتهم المزرية بجدية ؛ وإلا فما معنى تسليم لهم إعانات هزيلة لا تكفي لأي شيء ! ?أليس في هذا تورطا واضحا لتلك الأجهزة على عدم انقاذ اشخاص في حالة خطر !?

تلكم السؤال المركزي والمحوري الذي ننتظر من سيادتكم إجابة واضحة ,لأنه لا يعقل أن تحدث أزمة على هذا الحجم دون أن نعرف دور ومسؤولية الدولة في ذلك ، أو بعبارة واضحة: دور بعض المسؤولين في صناعة هذه الأزمة ، فلم يُتابع أحدأوأقيل أوإستقال عن طواعية من مهامه كما نشاهد ذلك في البلدان الديمقراطية. أما عندنا فكل شيء مبني للمجهول وكل مسؤول يلتجئ إلى طرقه الخاصة للتكفير عن أخطائه وتسويتها داخليا بالشكل الذي يؤمّن استمراريته واعتصامه في منصبه . بل الأنكى من ذلك ،أن تلك الجهات كانت تتلقى منذ سنة - 1994 وهذا مثبوت بالدليل القاطع – تحذيرات من المراكز الجيو- فزيائية تنذرها بامكانية حدوث زلازل عنيفة بالحسيمة ، فلماذا لم تلتجئ السلطات العمومية الى اتخاذ اجراءات استباقية أو إعلان حالة الخطورة على الاقل لتمكين السكان من أخذ الاحتياطات اللازمة في انتظار إصلاح الأوضاع لتكون قادرة على مواجهة الاحتمالات السيئة ?!فتمعنوا معنا السيد الوزير، لو أن الإرادة الوطنية الصادقة هي التي تحكمت في إدارة الأمور، لما سقط في ذات الزلزال ولو ضحية واحدة . وإذا افترضنا أن السلطات آثرت عدم ترويع السكان باحتمالات غير مؤكدة علميا ، فلماذا لم تقم بتهييء وتوفير التجهيزات الضرورية لمواجهة تلك الاحتمالات بدل من أن تظهر أمام العالم بذلك العجز على إنقاذ الضحايا وهم يصرخون تحت الانقاض !!! إن تحديد مسؤوليات هذا التقصير سيكون مدخلا لا مندوحة منه لمواجهة الوضعية الحالية بنوع من الصرامة القانونية والسياسية ، وحتى يثق الجميع بأن لا أحد يمكن أن يفلت من العقاب إذا ثبتت مسؤوليته التقصيرية سواء كأفراد أو كأجهزة للدولة . إن الموقف الذي يذهب بعيدا الى حد افتراض سوء النية في كل ما حدث ، قد يجد مايبرره في أشكال تعاطي بعض اجهزة الدولة مع الكوارث بانتهاجها أسلوب التخفي وتبرير حتى ما لا يمكن تبريره بعض الأحيان بمنطق بدائي للأشياء ,ولنا عدة صور من هذا المشهد أغربها وأصعبها هضما على الإنسان هو ما كانت تبثه أجهزة الإعلام الرسمية في الساعات الأولى لزلزال 24فبراير من قبيل "أن هزة أرضية ضربت الحسيمة وتازة وفاس الخ ولم تخلف ضحايا " ,فمن أين استقى المذيع ، المعروف في الإذاعة والتلفزة المغربية ، هذا السبق الصحفي العجيب وما هي مصادره الرسمية؟! ومن أمره بعد انفضاح الكارثة بأن يتحول زئبقيا تسعون درجة من اللأمبالاة إلى ذرف دموع التماسيح !?

أليس في الأمر استغلال لوسائل عمومية لنشر المغالطات؟ والأهم في الحدث ،هو كيف عالجت الدولة هذا التقصير الذي لا يمكن ، بأي حال من الاحوال ,ان يُعزى الى رداءة الاتصال في زمن ثورة الاتصالات، دون أن يكون هذا الزعم مردودا على صاحبه ويفضح رغبته في استبلاد الرأي العام !?إننا نطالب سيادتكم بالوقوف على الحقائق ومعالجتها بطرق قانونية واضحة .

ولتفصيل المشاهد المأساوية التي تعيشها المنطقة بشيء من الدقة ،نستسمحكم بان نعرض على سيادتكم المشاكل المطروحة وفق المحاور التالية:

-1التعمـــير:

× ان الزلزال الذي ضرب اقليم الحسيمة في 24فبراير 2004 فضح العديد من الحقائق التي يصعب تبريرها بغياب المواصلات ورداءة المسالك ووعورتها خصوصا في المناطق النائية، لأن هذه الأعذار لاتصمد أمام الواقع ,والا فما معنى تسجيل رقم ثقيل من الشهداء بمدينة إمزورن ,التي التقطت منها وسائل الإعلام الأجنبية والوطنية صورا مخزية لأجهزة الدولة وهي عاجزة أمام العالم عن فعل شيء لإنقاذ الضحايا من تحت الأنقاض.

× ان أغلب البنايات التي تهاوت عقب الزلزال الأخير حديثة النشأة وكان الغش وسوء التسيير وعدم احترام قوانين التعميروالتصاميم هي السبب المباشر وراء سقوطها ,حيث يُشهد أن العديد من رخص البناء تسلم للمعنيين بالأمر دون استشارة الوكالة الحضرية رغم صدور العديد من التوجيهات تؤكد أن تلك الاستشارة إلزامية باعتبارها الجهة المؤهلة تقنيا لاتخاذ القرار المناسب ,أكثر من هذا أن هناك حالات تم فيها البث بالرفض من قبل الوكالة المذكورة ، ومع ذلك يعمد بعض رؤساء الجماعات المحلية الى تسليم رخص البناء ؛ فلا يمكن لأحد أن ينكر وجود علاقة سببية بين تفشي ظاهرة الغش في البناء وبين سقوط العديد من المنازل عقب زلزال 24فبراير، وكذا الهزات التي تلته ، لدرجة أن بعض المسؤولين لم يتوانوا في الاعتراف بذلك ، وأحسن مثال ما أدلى به وزير الإسكان في برنامج تلفزي عندما أكد فيه على وجود وقائع الغش في البناء، وهذا اعتراف رسمي ، بل اتهام رسمي ، فأين هم المتهمون ؟ ! أم أن هذا الاعتراف مجرد كلام يطلق لذرّ الرماد في العيون لامتصاص نقمي للغضب الذي كان سائدا وسط المواطنين عقب زلزال 24فبراير؟ ! المهم بالنسبة لنا هو الإقرار بالحقيقة دون مواربة أو نفاق سياسي .

× لقد حضيت مدينة الحسيمة بمخطط توجيهي للتهيئة العمرانية S.D.A.Uمنذ سنة 1985كان الهدف منه ادماجها في محيطها الإقليمي ,وهمت المرحلة الأولى الممتدة من 1985الى 1995فتح ست مجالات ,ظلت تعيش الى يومنا هذا مشاكل تقنية وإدارية باستثناء مجال "كالبونيطا" الذي يشهد بعض مشاريع التعمير تمت على حساب انتزاع الممتلكات من أصحابها و تفويت أخرى من قبل المجلس الحضري ادت إلى القضاء على المناطق الخضراء . والمرحلة الثانية ,وهي التي تهمنا في هذا المقام ,وتمتد من 1995الى 2005وهمت أساسا إحداث مدينة بالمركز الحضري لأجدير . وكما هو واضح فهذه المرحلة جاءت بعد زلزال1994 وكان كُتاب المخطط واعون بالطبيعة الزلزالية للمنطقة، ومع ذلك فالعديد من العمارات تعرضت لشقوق عميقة خلال الزلزال الأخير, الشيء الذي يؤكد ,بما لا يدع مجالا للشك ,من جديد ,أن سوء التسيير وعدم احترام قوانين التعمير هو السبب المباشر وراء ذلك ,فلا يعقل ، السيد الوزير، أن يتم التغاضي عن هذه الوضعية دون مساءلة المسؤولين عنها .

- 2وضعية الغطاء الغابوي بالاقليم :

يشكل الغطاء الغابوي إحدى الموارد الأساسية التي كانت تزخر بها المنطقة ,فرغم أن الإحصائيات الرسمية تتحدث ,على امتداد هذا الغطاء، على مساحة تقدّر ب 121000هكتار تشكل منه الغابات الطبيعية 36000هـ فقط ,حسب الرقم المعلن رسميا سنة 2003من قبل المجلس الإقليمي للغابات بالحسيمة ,فإن مجمل هذه المساحات تبدو شبه عارية من الغطاء الغابوي وتكشف حجم الاعتداءات التي تطالها سنويا بسبب الحرث الإجرامي أو بسبب الحرائق التي أتت على مساحات واسعة خلال السنوات الثلاث الأخيرة . إن الأمريتعلق، في الواقع، بتدمير لأصناف نادرة من أشجار اللّرز والعَرعار والبلّوط الأخضر والفلين يبلغ عمرها مئات السنين ، مما يبيّن حجم الجريمة المرتكبة في حق هذا الموروث الطبيعي وتقويض فرص المواطنين للاستغلال المعقلن له كإمكانية لإعطاء بدائل لزراعة القنب الهندي والمخدرات التي تنتشر بالمنطقة ,بل الأدهى من ذلك ان ما ارتكب يعدّ ، بمعايير حقوق الإنسان المعاصرة ,اعتداء على حقوق الأجيال القادمة.

اختلالات القطاع السياحي :

ان السياسات المنتهجة في مغرب ما بعد الاستقلال لم تعر أدنى اهتمام جدي لتطوير المؤهلات الطبيعية التي تزخر بها المنطقة في المجال السياحي ,فإقليم الحسيمة يتوفر على ساحل نصف دائري تبلغ مساحته 72كلم كان حتى وقت قريب من أجود السواحل المغربية وأكثرها غنىً من الناحية الجمالية والإيكولوجية ومعززا بأحزمة من الغابات كما كان الشأن بالنسبة لشاطئ السّواني ,وقد تعرضت رمال هذا الأخير لنهب بشع تنج عنه انْمحاء شبه كلي للحزام الغابوي ,وتوالت فصول هذا التخريب أمام مرأى ومسمع السلطات العمومية التي لم تكترث باحتجاجات السكان وجمعيات حماية البيئة التي أصدرت العديد من التقارير والبيانات ونظمت لقاءات روتينية مع مختلف الجهات المعنية، هذه الأخيرة أقدمت على تنصيب دوريات للحراسة في عين المكان بعد فوات الأوان، ومع ذلك استمرت عمليات نهب ما تبقى من رمال الشاطئ المذكور .

إن الساحل المتوسطي للحسيمة كان دائما محط إعجاب العديد من المستثمرين الأجانب الذين توافدوا على المنطقة بنية خلق منشآت سياحية، إلا أن هؤلاء كانوا يصطدمون مع عراقيل إدرية مفتعلة لإحباط معنوياتهم وإبعادهم عن هذه المنطقة بدافع الهاجس الأمني الذي كان يتقنه وزير الداخلية السابق إدريس البصري ويعرف كيف يوظفه لتابيد العزلة والتهميش والانتقام من أبناء الريف ,ولم يُسمح بإقامة إحدى المشاريع على ساحل السواني من قبل أحد المستثمرين الأجانب إلا مؤخرا ، وما زال يراوح المكان بسبب ذات العراقيل الإدارية وغياب التحفيزات من قبل أجهزة الدولة لهؤلاء المستثمرين .

مشاكل قطاع الصيد البحري :

توجد بالحسيمة ميناءان للصيد أحدهما المُحدث بشاطئ " كَلايْريسْ" له أهمية محدودة فيما يحتل الثاني مرتبة استراتيجية في النسيج الاقتصادي ، لكونه يعتبر المورد الأساسي لمئات العائلات بمدينة الحسيمة والمناطق المجاورة لها ,لكن تلك المرتبة بدأت تتراجع نزولا إلى الحضيض في الوقت الراهن بسبب السياسة العوجاء المنتهجة من قبل السلطات المحلية والوطنية . لقد ابتدأ مسلسل التراجع ذاك عبر إهمال مرافقه الحيوية وعدم تهيئتها بما يتماشى مع متطلبات تحديث القطاع وتجهيزه لكي يكون قادرا على استيعاب بواخر الصيد في أعالي البحار، بل العكس هو الذي حدث ،حيث بدأ يُسجل رحيل العديد من مراكب الصيد البحري نحو مدن أخرى.. وهي ظاهرة تقوّت مع الزلزال الأخير الذي ضرب المنطقة ، مما يشكل تهديدا حقيقيا لمستقبل هذا القطاع الذي كان حتى وقت قريب محركاً اساسياً لدواليب الاقتصاد المحلي ولإنعاش سوق الشغل بالإقليم ولاسيما في صفوف النساء اللّواتي كنّ يعملن في معامل تصبير السمك قبل ان تُنسف هذه الفرص ضمن استراتيجية هدّامة للقضاء على كافة المؤسسات المنتجة .

قطاع الصحة العمومية :

لقد كشف الزلزال الأخير مدى الخصاص الذي تشكو منه المنطقة من حيث قلة المرافق الصحية وضعف التجهيزات الطبية والتقنية وقلة الأطر الطبية والموارد البشرية عموما ,فباستثناء مستشفى محمد الخامس ,وهو الوحيد بالإقليم ,الذي يتوفر على بعض تلك التجهيزات لكن ما زال يفتقد بدوره الى بعض التخصصات الطبية والتجهيزات الدقيقة والخصاص في فئة الممرضين والأعوان والأطباء ,فان المراكز الصحية والمستوصفات المتناثرة بالمدينة والإقليم تكاد تكون في مجملها إسم على مسمى, فبالإضافة إلى ندرة الموارد البشرية فهي تشكو من غياب الآليات وانعدام المواصلات في القرى النائية ونقص فضيع في التجهيزات الطبية ووسائل التنقل، مما تضيع معه مصالح المواطنين بسبب هذا الخصاص الذي تعرفه المنطقة ,فحسب بعض الإحصائيات فإن التغطية الصحية التي تقدمها هذه المراكز والمستوصفات وكذا مستشفى محمد الخامس لا تتعدى في الغالب 10%في المائة على الرغم من انتشار أمراض فتاكة كالسرطان والقصور الكلوي ..

التعلـــــــــيم :

تؤكد الإحصائيات الرسمية أن نسبة التمدرس بالريف الأوسط لا يتعدى نسبة 50%وأكثر من 100دوار لا يتوفرعلى بنايات مدرسية وأكثر من 50%الموجودة بالقرى غير مجهزة ولا تتوفر على أطر تربوية كافية ، فضلا عن تموقع البعض منها في أماكن تنعدم فيها المواصلات والبُنى التحتية، مما يجعل متابعة الدراسة أمرا في غاية الصعوبة بالنسبة للتلاميذ، وهي إحدى الأسباب الأساسية لانتشار ظاهرة الانقطاع عن الدراسة منذ وقت مبكر ، ويتعذر على العديد من الأطفال مواصلة حقهم في التعليم , كما أن الزلزال الأخير كشف عن بواطن الغش الذي يكتنف العديد من البنايات المدرسية ، بحيث تعرضت مجموعة من المؤسسات التربوية لشقوق عميقة بالرغم من حداثة نشأتها، الشيء الذي يطرح من جديد سؤال احترام شروط دفتر التحملات من قبل المقاولين الذين يفوزون بالصفقات وهل تمت ضمن مناخ المنافسة التي ينص عليها هذا القانون أم لا ?وعلى كل حال ، هذه مهمة تناط بلجان المراقبة التي نغتنم هذه الفرصة لنطالب سيادتكم بتحريكها من أجل تحديد مَواطن الخلل ومسؤولياته .

- واقع سوق الشغل بالاقليم :

إن تصاعد مؤشرات البطالة بالإقليم هي تحصيل حاصل للاختلالات الهيكلية للبنيات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السائدة ، بحيث تُسجل نسبة البطالة في صفوف اليد العاملة النشيطة ما يتعدى 20% وتصل الى مستويات خطيرة في صفوف الشباب ,هؤلاء الذين يعتاشون من عائدات عائلاتهم وما يوفره لهم استمرار نسبي للتضامن الأسري من حضوض للعيش داخل هذه البنية ، في حين يظل مستقبلهم مهددا جراء طغيان سياسة اللبرالية المتوحشة وغياب أنظمة للتغطية الاجتماعية عن البطالة , ومما يزيد الأمور تعقيدا ، أن المنطقة لا تتوفر على مؤسسات إنتاجية وصناعية ,ويسودها اقتصاد خدماتي وطفيلي تسيطر عليه مافيا المضاربات العقارية والمخدرات التي لا مصلحة لها في تامين أجواء الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي ، بل أكثر من هذا تلتجئ بعض الفئات ، التي اغتنت من تجارة المخدرات ، إلى الاستثمار خارج الإقليم وعندما تقوم بإنجاز مشاريع في المنطقة فإنها تكون غالبا عديمة الجدوى او بغرض تبييض الأموال لا أقل ولا أكثر , أما أجهزة الدولة ، فلا تقوم بأمر يذكر لتشجيعها على استثمار هذه الموارد محليا من أجل تقوية سوق الشغل لإيجاد البدائل الفعلية لظاهرة البطالة التي كانت السبب المباشر في طغيان الهجرة السرية التي أدت إلى مئات من الضحايا في صفوف الشباب العاطل عن العمل ، بل ولا تقوم حتى باستثمار عائدات العمال المهاجرين بما يوفر لهم العودة مستقبلا إلى وطنهم الأصلي واستقطابهم للاستقرار فيه بدل تحويل الهجرة إلى خيار استراتيجي .

تحميل المسؤولية لأجهزة الدولة والمنتَخبين في حدوث الكارثة :

لا يمكن التذرع بالقوة القاهرة والحادث الفجائي للإفلات من المحاسبة ، لان جميع القوانين الوطنية والمقارنة لا تعتبر من قبيل القوة القاهرة ما كان من الممكن دفعه او ما نجم عن خطإ سابق , والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام هو: هل كان بإمكان تفادي حدوث ضحايا خلال الزلزال الأخير أم لا .?والجواب في تقديرنا نعم ,لأن المنازل التي تهدمت من جراء الزلزال اما ناتجة عن غشّ في البناء أو أنها تضررت سابقا خلال زلزال 1994ولم تقم الدولة بحماية أرواح مواطنين معوزين كانوا في خطر منذ عشر سنوات كمدة كانت كافية لفعل ما يمكن فعله لحماية حقهم الطبيعي في الحياة . لذلك نعتبر بأن الدولة مسؤولة جنائيا ومدنيا عن الأضرار المادية والبشرية التي نجمت عن الزلزال الأخير أو زلزال 1994 مما يستوجب ,بقوة القانون، تعويض الضحايا وذويهم عن الأضرار التي لحقت بهم ,لكن لا بد من التمييز بين نوعين من المسؤولية : - 1المسؤولية التقصيرية للدولة كشخص معنوي في تعويض الضحايا عن الأضرار - 2 المسؤولية التقصيرية للأفراد كمسؤولين ، سواء تابعين للدولة أوالمنتَخبين، فهؤلاء يجب مساءلتهم عن مسؤوليتهم الفردية فيما وقع سواء كانوا رجال سلطة او مهندسين او تقنيين او إداريين او رؤساء مجالس او مفوّض لهم من قبلهم في ميادين التعمير ..

على صعيد المخطط الاستعجالي لإعادة اعمار المنطقة :

× المباشرة في بناء مساكن مؤقتة لجميع المواطنين الذين تداعت منازلهم او تضررت بكيفية لم تعد تصلح للسكن وتعيين لجنة من الخبراء محلفة لإنجاز هذا التحقيق وفق معايير مهنية محضة بعيدا عن اكراهات الحسابات المالية ,في انتظار ان تقوم الدولة بتحمل المسؤولية الكاملة في بناء جميع المنازل المتضررة إما بإحداث قرى نموذجية او عبر بنائها في اماكنها الأصلية مع الأخذ بعين الاعتبار رأي المعنيين بالأمر مع ضرورة التقيد بالمواصفات القانونية للبناء المضاد للزلازل وتوقيف مختلف اشكال التهديدات والتلميحات الخجولة والموجهة بخلفية ضامرة للاشياء التي بدا رئيس المجلس الحضري للحسيمة يباشرها عبر توجيه رسائل لبعض المواطنين المعوزين يلح فيها على مباشرة إعادة بناء منازلهم على كلفتهم الخاصة مطالبا اياهم باحترام نظام البناء, الشيئ الذي يعد سابقة خطيرة يمكن ان تنجم عنها تداعيات سلبية مع التأكيد على ان المجالس السابقة تتحمل المسؤولية في التغاضي على ظاهرة البناء العشوائي ؛ فبدل سلوك هذا النهج التملصي من المسؤولية كان حريا بالجهات الحكومية اعلان تاريخ الشروع في انجاز عملية صرف الاعانات المالية في بناء ما دمره الزلزال لان ذلك يعد حق مكتسب للمنكوبين ولا يحق لاحد التصرف فيه على هواه او بما يعوم الأزمة في شعارات عامة مرفوقة باجراءات قانونية ثقيلة لا يمكن ان يتحملها السكان المتضررين ان لم يكن ذلك تعجيزا لهم لتكريس ظاهرة الاخلاء التي تشهدها المنطقة نتيجة أحساس العديد من المنكوبين بلا جدوى انتظار الوعود المعسولة.

× اعتبار المنطقة منكوبة مع التقيد بالاثار القانونية الناجمة عن هذا الاجراء وامهال سكانها مدة زمنية كافية لاعادة الدينامية الاقتصادية والسياحية واعادة الاطمئنان للمواطنين والمستثمرين المحليين والاجانب وافساح المجال للمنظمات الدولية والانسانية لتقديم المساعدات على صعيد اعادة الاعمار مع رفع جميع القيود الادارية والتقنية عنها .

× إحداث مراكز للوقاية المدنية للتدخل السريع بكل من إمزورن - تاركيست - إساكن ...

× احداث اصلاح زراعي لتمكين المنطقة من فلاحة عصرية مع دعم المقاولات الفلاحية واعفاء الفلاحين من فوائد القروض التي تنهك كاهلهم وتشجيعهم على تحسين ادائهم بالشكل الذي يوفر شروط الاكتفاء الذاتي لمتطلبات السوق المحلية .

× اعفاء التجار الصغار والمتوسطين من الضرائب المباشرة لمدة عشر سنوات ,وتمديد هذا الاجراء ليشمل المقاولات الصغرى والمتوسطة ,مع سن اجراءات تسهيلية للاستدانة من البنوك معفاة من الفوائد فليكن هذا البنك معززا بارصدة العمال المهاجرين والالحاح على ضرورة استثمارها بالمنطقة .

× الاسراع بمد المنطقة بمراكز للتكوين المهني والتقني واحداث معهد للغة والثقافة الامازيغية وتجهيز دور الشباب واحداث اخرى لتنشيط المجالات الثقافية.

× تحديث قطاع الصيد البحري وسن اجراءات تشجيعية وتحفيزية مع اعادة تهيئة ميناء الصيد البحري بالحسيمة ليكون قادرا على استقطاب المستثمرين في هذا المجال مع تخصيص منطقة صناعية لمعامل تصبير السمك وخلق شروط تحفيزية للاستثمار الاجنبي والوطني .

× الاسراع في انجاز الطريق الساحلي وتنشيط الحركة السياحية عبر فتح خطوط دولية امام مطار الشريف الادريسي وخلق شروط استعجالية لتهيئة مناطق خاصة بالسياحة الجبلية والحفاظ على الموروث الغابوي عبر سن خطة للانتقال الهادئ من زراعة القنب الهندي الى اشكال اخرى من الزراعة المتقدمة والكفيلة بدفع الفلاحين الى التخلي الطوعي عن زراعتهم الحالية .

× توسيع الطريق الجهوية واصلاح الطرق الرابطة بين الدواوير والقرى وفك العزلة عنها وتمكين المراكز الصحية والمستوصفات بالتجهيزات الضرورية واصلاح المدارس والاعداديات مع سن نظام خاص لتحفيز الاطر التربوية وعموم الموظفين على البقاء بالاقليم ...

× اجراء تدقيق للملفات الكبرى للفساد الاداري :

1- ملف مصفاة تكرير مياه الواد الحار بالحسيمة ودراسة الجدوى من وراء احداثها ؛

2- الملف المتعلق بسد محمد بن عبد الكريم الخطابي .

3- افتحاص اسباب تداعي العديد من المنازل المبنية حديثا وتشقق اخرى وخاصة بامزورن واجدير والحسيمة وبني بوعياش والتحقيق مع بعض رؤساء الجماعات المحلية الذين يسلمون رخص للبناء بدون استشارة الوكالة الحضرية او باستشارتها مع عدم اخذ بعين الاعتبار لرفضها .

4- افتحاص مدى ملائمة بعض المشاريع التي تنجزها المؤسسات العمومية والجماعات المحلية مع حجم التكاليف المقدرة لذلك والتحقيق في المشاريع المنجزة عبر الصفقات التفاوضية بعد ان يتم التحايل على قانون الصفقات العمومية لابطال وافشال طلب العروض المفتوح للالتجاء الصوري الى نوع آخر من العروض تتيح للامرين بالصرف استدعاء المقاولين على مقاسهم لتفادي شروط الشفافية التي ينص عليها القانون المذكور ولتمرير تلك الصفقات لمقاولين بطرق زبونية ؛

5- التحقيق في ملف التفويتات للاملاك الجماعية والتي ادت في بعض الاحيان الى القضاء على الحدائق العمومية والمنتزهات الطبيعية كما هو الحال بمدينة الحسيمة وكذلك الشان بالنسبة للسينما الكبير الذي فوت بطرق مشبوهة ادت الى القضاء على احد المعالم الثقافية الاستراتيجية بالاقليم .

6- اجراء تحقيق في الاسباب التي ادت الى نهب رمال الشواطئ ولا سيما شاطئ السواني .

× على المستوى الاداري والسياسي :

1- اعادة النظر في التقسيم الجهوي الحالي وذلك بادماج الحسيمة في محور الناظور ودعوة البرلمان لتغيير قانون الجهة عبر اضفاء عليها الطابع الديمقراطي وبالشكل الذي يسمح للمنطقة بالتوفر على نظام للجهة ذات صلاحيات دستورية وأسعة ؛

2- انتهاج نظام خاص بالجماعات المحلية بالاقليم ودعوتها الى التكتل في اقطاب قروية وحضرية لتكون قادرة على التشكل كقوة دفع للتنمية المحلية ؛

3- الاستعجال بتنصيب المحاكم الجهوية للحسابات لوضع حد لاستشراء عدوى اهدار المال العمومي

4- الدعوة الى إعمال المادة 89من قانون المحاكم المالية التي تخول للوزير الاول الحق في مطالبة المجلس الاعلى للحسابات لاجراء تدقيق لموارد الجمعيات التي تلتمس الاحسان العمومي وذلك باجراء تدقيق لاجهزة الدولة و لبعض الجمعيات والتنسيقيات والمؤسسات التي شاركتها في ادارة توزيع المعونات على المنكوبين واعلان الارقام والاحجام الحقيقية لتلك المعونات والتاكد ما اذا كانت تلك الموارد التي تم جمعها قد صرفت فعلا بشكل متطابق مع الاهداف المتوخاة من التماس الاحسان العمومي لوضع حد او تاكيد ما اصبح يروج بقوة وسط الراي العام من حدوث اختلاسات وسرقة اعانات المعوزين والمنكوبين بشكل انتهازي ؛

- محاربة الرشاوى والفساد الاداري والمحسوبية التي تتخذ منحى تصاعديا مخيفا بالاقليم .

3-على مدى الثلاث السنوات القادمة لاعادة الاعمار :

× تسخير جميع المساعدات المالية المقدمة للحسيمة باسم المنكوبين لبناء سكن مؤقت (البناء المفكك) بتعويض جميع المنازل المهدمة وغير الصالحة للسكن بسبب الشقوق العميقة واتباع معيار شفاف في ذلك واعطاء الاولوية للمعوزين ولاسيما في البوادي وتطبيق صارم لنظام البناء المضاد للزلازل مع اعادة النظر في مجموع البنايات بالاقليم وتاهيلها لتكون قادرة على مواجهة أسوأ الاحتمالات ضمن استراتيجية ممتدة في الزمن يمكن ان تساهم فيه المنظمات الدولية الانسانية وتاسيس بنك خاص بذلك يوضع تحت تصرف الدولة بمشاركة جميع المانحين للدعم المالي .

× تاهيل الريف الاوسط ضمن جهة اقتصادية وثقافية وتاريخية مفتوحة على البعد المتوسطي كقطب جهوي حداثي متقدم .

× اعطاء صلاحيات دستورية واسعة لجهة الريف الجديدة بما يضمن تقدمها وبروزها كقطب اقتصادي قوي منفتح ومتفاعل بشكل حيوي على البعد الوطني والمحيط المتوسطي .

هذه جملة من المطالب نعي جيدا ان البعض منها لا يدخل ضمن صلاحياتكم لكننا نعرضها على سيادتكم في هيئة شكاوى موجهة لكم بصفتكم ممثل الدولة ورئيس للحكومة على ان نحتفظ بحقنا المشروع في النضال السياسي والنقابي ضمن ما نعتبره

في تقديرنا مخرجا لمستقبل المنطقة نتطلع معالي الوزير ان تاخذوا هذه المقترحات بعين الاعتبار في استراتيجية اعادة الاعمار التي نتمنى كذلك ان تتحقق في اجواء يسودها التراضي الهادئ بين مختلف الفاعلين السياسيين والمدنيين ولا سيما اولئك الذين يتمتعون بالتمثيلية الحقيقية بالاقليم من هيآت سياسية ونقابية ومدنية وفاعلين اجتماعيين مما يدفعنا في هذا المقام ,وبكل اسف ,ان نشعركم باجواء الاستياء التي تعم المنطقة من جراء انتهاج اجهزتكم الحكومية لنمط من الحوار مؤسس على سياسة انتقائية تباشرها بايعاز من اجهزة وزارة الداخلية ,سواء عن وعي أو بدونه ,لاصطناع محاورين من الاشباح والمهرولين لا يمثلون ,في واقع الامر ,سوى انفسهم ومن يحركونهم في الخفاء بدافع افتعال البعد الامني للريف الذي طالما اعتاشت وتذرعت به بعض اللوبيات الانتهازية للتقرب من الدولة بدوافع نفعية على حساب المصلحة العامة وتابيد العزلة والانتقام في حق ابناء هذه المنطقة التواقين ان يروا بلادهم مزدهرا وديمقراطيا ومسايرا للتقدم الجاري في الدول المتوسطية المجاورة لنا . نتمنى ان يكون الحوار شفافا وعلنيا مع الجميع بما فيه المعارضين المستبعدين لانهم ببساطة غير متملقين متمنياتنا كذلك ان يدفن هذا القاموس لنتحاور واقفين معاندين لخدمة مصلحة البلاد .

واذا كانت لغتنا صريحة الى حد يمكن ان تؤول الى غير مبتغانا للبوح لكم بالحقائق دون قيود تدفعنا اليها الرغبة الحقيقية في الدفاع عن المصلحة الوطنية و النظر اليها بنظرة مستقبلية وبما يضمن آفقا هادئا لبلادنا ولنا اليقين ان سيادتكم ستتفهمون الدواعي الاستراتجية التي جعلتنا نكاتبكم في هذا الظرف بالذات نظرا لحساسيته ودقته لرسم افقنا الجماعي وبشكل جماعي .

ولكم منا اخلص التمنيات ودمتم في خدمة الصالح العام .

×نعتذر لكل الهيئات الموقعة أدناه عن عدم تمكننا من نشر النص كاملا نظرا لطوله، علما أننا حرصنا على عدم الإخلال بالمضمون العام للمذكرة.

توقيعات ممثلي لجنة الهيآت السياسية والنقابية بالحسيمة:

أحمد العزوزي: عن الكنفدرالية الديمقراطية للشغل

محمد الزياني: عن الاتحاد المغربي للشغل

الحسين المرابط: عن حزب المؤتمر الوطني الاتحادي

محمد ناصري: عن حزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي

علي بلمزيان: عن حركة النهج الديمقراطي

محمد الإدريس: عن جمعية الوفاء للديمقراطية

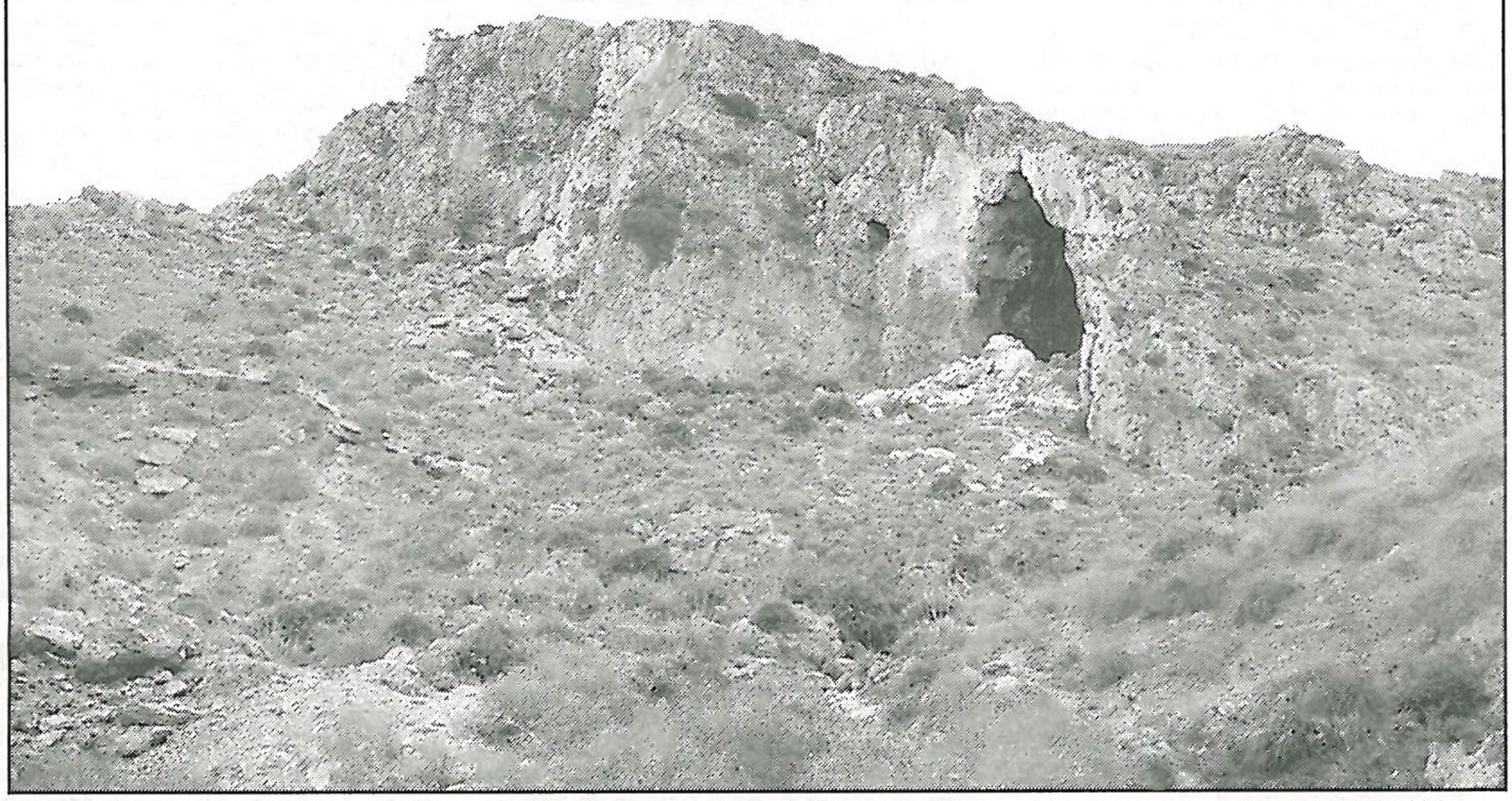
الحسيمة في: 18ابريل2004

التحديات الطبيعية والبيئية في منطقة الحسيمة : حصيلة وافاق

(2/2)

نقدم فيما يلي القسم الثاني من الدراسة القيمة التي أعدها الدكتور سعيد الصابري حول موضوع التحديات الطبيعية والبيئية بمنطقة الحسيمة، وهي تشكل مساهمة جادة في إبراز الربط الحاصل والضروري بين حالة البيئة في الحسيمة والعوامل المؤثرة فيها ، وبين أثر كل ذلك على مختلف القطاعات وأوجه النشاط البشري في المنطقة، بما يضمن تنمية مستدامة ومندمجة هي أساس كل التحديات التي تنتظر المنطقة. ونذكر القراء بأن القسم السابق من هذه الدراسة يتناول الإطار الجغرافي لمنطقة الحسيمة من حيث التضاريس والمناخ والوسط الطبيعي المتكون أساسا من الغابة والماء والساحل. كما يبرز التحديات الطبيعية المتمثلة في التعرية والمخاطر المرتبطة بالجيولوجيا، وأشكال الضغط على المجال، وتدهور الغابة، والإجتثاث والحرائق، والمشاكل المرتبطة بالنمو الحضري، والتوسع المجالي العشوائي، والنقص الكبير المسجل في التجهيزات الأساسية...

■سعيد الصابري



7.2-تدهور الساحل

يتعرض ساحل الاقليم، كما هو شأن معظم السواحل المغربية، لمخاطر عديدة تهدد توازنه الايكولوجي الهش اصلا، ومنها على الخصوص:

1.7.2-الضغط الديموغرافي

يعتبر اتجاه السكان والانشطة البشرية نحو الساحل من السمات البارزة التي تميز تنظيم المجال واعداد التراب الوطني في العقود الاخيرة. لكن هذا الاستقطاب تصاحبه اشكال متعددة من احتلال الشريط الساحلي : توسع حضري، مشاريع سياحية، انتشار السكن الثانوي، استغلال الرمال، ... تتم في الغالب بطرق عشوائية وغير منظمة وعلى حساب البيئة الساحلية التي اصبحت مهددة حتى في وظيفتها كمجال للسياحة والترفيه. 17

على مستوى اقليم الحسيمة، لم يبدأ تعمير الساحل بشكل ملحوظ الا في العقود الثلاثة الاخيرة التي شهدت نشوء علاقة جديدة بين السكان والمجال الساحلي مع التوسع الكبير الذي عرفته المجموعة الحضرية للحسيمة. الا ان مستوى تطور المنطقة وأشكال استغلال الامكانيات المتاحة لم يفرزا تدهورا كبيرا بالشكل الذي نصادفه في مناطق اخرى، فالتناقض الصارخ هنا يوجد اساسا بين الامكانيات المهمة للمنطقة (سياحة بانواعها المختلفة، صيد بحري، قنص، غابات، ...) والمستوى الضعيف للتنمية الاقتصادية والبشرية بشكل عام.

2.7.2-الاستغلال المفرط

يتم استغلال الموارد الطبيعية المتاحة بشكل مكثف وغير معقلن خاصة البحرية منها. فالى جانب تزايد الضغط على الثروات السمكية بفعل الاستغلال المفرط، بدائية التقنيات، استعمال الديناميت والشباك المحظورة (نشير هنا الى الدراسة القيمة للأثر المدمر للشباك العائمة المحظورة على التنوع البيولوجي في الساحل المتوسطي للمغرب والتي أنجزها خبراء من الصندوق العالمي للبيئة-روما- ومعهد العلوم البحرية-برشلونة- بالتعاون مع جمعية أزير-الحسيمة- : TUDELA et al., 2003)، يعاني قطاع الصيد البحري من النهب الممنهج الذي تمارسه الاساطيل الاجنبية (خاصة الاسبانية) بفعل التقنيات المتطورة المستعملة وتجاوز الكميات المصطادة الحدود المتفق عليها، علاوة على عدم احترام اوقات الراحة البيولوجية. 18

هذا الضغط الكبير على الثروات البحرية (الذي خف نسبيا منذ انتهاء الاتفاقية المبرمة مع الجانب الاسباني) زيادة على قلة تجهيز الموانئ الموجودة والطابع التقليدي للصيد، كلها عوامل من بين اخرى تفسر تراجع نسبة المنطقة المتوسطية ضمن مجموع الكميات المصطادة على الصعيد الوطني وكذلك الاختفاء الجزئي لبعض الانواع السمكية كالانشوا الذي كان في الماضي وراء ازدهار صناعة تصبير السمك في مدينة الحسيمة.

3.7.2-الضغط السياحي

يضم ساحل الاقليم عدة شواطئ يرتادها عدد مهم من السواح أغلبيتهم مغاربة، سواء من افراد الجالية المهاجرة المنتمية للاقليم او من السكان المحليين او القادمين من داخل البلاد.

واذا كان النشاط السياحي قد عرف أوجه في المنطقة في الستينات والسبعينات من القرن الماضي، فانه حاليا _ خصوصا منذ 1990 _ اصبح يعرف حالة ركود تام ساهم فيها اساسا عدم تأقلم الفاعلين السياحيين مع تحولات السياحة الدولية، اضافة الى تحول جغرافيا السياحة الوطنية نحو جنوب البلاد (خاصة محور مراكش/اكادير) الذي اضحى محج السواح والاستثمارات السياحية.

ولكون الساحل يعد قاعدة السياحة في المنطقة، فان استغلاله المفرط (زحف الاسمنت، استنزاف الرمال، تلوث، تخييم عشوائي) وعدم اخراج التصميم المديري للساحل الى حيز الوجود، 19من شانهما زيادة حدة التدهور وفتح شهية المضاربين العقاريين لانشاء وحدات 'سياحية' لا تلبث ان تصبح مساكن ثانوية، تتحول معها الشواطئ من مجالات عمومية الى ملك خصوصي كما وقع للساحل التطواني بين مرتيل والفنيدق. 20 هذا يطرح، بالطبع، مسؤوليات جسيمة على السلطات العمومية المختصة وعلى الجماعات المحلية الساحلية من اجل تفادي أي انزلاق للطابع العمومي للساحل ولوظيفته الاساسية المتمثلة في السياحة والترفيه.

4.7.2- النفايات الصلبة والسائلة

لا تتوفر مدن الاقليم على مزابل عمومية تحترم المعايير البيئية، كما سبقت الاشارة الى ذلك. فنفايات بلدية الحسيمة تقذف مباشرة من الشاحنات نحو سفح جرف سيدي عابد الذي لا تفصله عن مياه البحر سوى 50م، وذلك دون مراعاة خصوصيات هذا الموضع البيئية، الجمالية والدينية ودون اعتبار للتلوث الخطير الذي ينتج عن رمي النفايات الصلبة بمختلف انواعها (منزلية، طبية، صناعية، ...) وانعكاساته الصحية الخطيرة على رواد الشواطئ القريبة (كيمادو، كلابونيتا، اصفيحة، السواني، اسلي وثلايوسف) وعلى الكائنات البحرية والانسان بصفة عامة.

لايختلف الامر كثيرا بالنسبة لامزورن وبني بوعياش حيث ترمى النفايات في موضعي 'صارو أخزان' و'ازكيرن' الموجودين بالقرب من اودية تحمل جزءا منها مباشرة نحو خليج الحسيمة.

لحل هذه المعضلة التي تنذر بعواقب بيئية وصحية خطيرة، تم الاتفاق مبدئيا سنة 1999 _ بعد اشتداد الضغوط من المجتمع المدني _ على تشييد مزبلة عمومية مشتركة بين المراكز الحضرية الثلاثة السابق ذكرها، الا انه يبدو ان المشروع بعيد المنال. وقد استعيض عنه اخيرا بمشروع بديل 21ستموله الحكومة المحلية للاندلس في اطار علاقات التعاون مع قطاع البيئة المغربي، ويتمثل في اعادة هيكلة موضع مزبلة سيدي عابد و انشاء مزبلة مراقبة في موضع احد المقالع على تراب جماعة ازمورن، بعد توصل هذه الاخيرة وبلدية الحسيمة الى اتفاق مبدئي في هذا الشأن مع مالك المقلع.

فيما يخص تطهير السائل، تقدر بعض الدراسات 22 حجم النفايات السائلة التي تصب في شواطئ الاقليم ب 29523 طن/سنة، فالاودية والبحرتشكل في الغالب مصب المياه العادمة القادمة من مختلف المراكز الحضرية للاقليم. وكما سلف القول، ففقط مدينة الحسيمة تتوفر على محطة للمعالجة يتطلب تشغيلها على أكمل وجه امكانيات تعتبرها البلدية باهظة. كما ان عدة نقط لصب المياه العادمة مباشرة نحو البحر ما زالت قائمة (شواطئ كيمادو، مطاديرو وكلابونيطا اضافة الى الميناء)، مما يستدعي تدخلا مستمرا للحد من التلوث الناتج عنها.

اضافة الى هذه العوامل، يشكل تكاثر عدد السفن المحملة بالمواد الخطرة (بترول، معادن، ...) والعابرة لسواحل البحر المتوسط خطرا بيئيا كبيرا ينبغي أخذه بعين الاعتبار، وما كارثة سفينة شSea Spiritص في بداية التسعينات والتي مست بشكل كبير شواطئ الاقليم، الا دليل على ذلك.

كما ان بعض المواضع الهشة كالكثبان الرملية، الخلجان، السبخات، المصبات النهرية والشواطئ تتعرض لعوامل التعرية المختلفة التي يزيدها حدة الاستخراج المكثف للرمال. ويعتبر خليج الحسيمة في الطرف الشرقي للاقليم وشاطئ كلايريس (قزح) في الغرب اهم مناطق الاستخراج وخير شاهد على مدى النهب الممنهج الذي تتعرض له الرمال والبيئة الساحلية، حيث تحولت عدة كيلومترات من شاطئ السواني الى حفر عميقة واحجار نتيجة عمليات الاستخراج التي تتم دون حسيب او رقيب، حتى انها شملت اجزاء من الغابة الساحلية المغروسة اصلا لحماية سهل النكور من زحف الرمال ومن الرياح البحرية المشبعة بالاملاح، كما ان هذه العمليات تتم عادة اثناء الليل لتنقل الرمال على متن الجرارات الى مخازن سرية قبل نقلها الى وجهتها

الاخيرة ؛ 23وهذا ما يبين التشويه الفظيع الذي يتعرض له خليج الحسيمة الذي يشكل أحسن وأنسب المواقع الكفيلة بجلب الاستثمارات السياحية، الى حد ان الاراضي الفلاحية المجاورة أضحت مهددة كما هو الحال بالنسبة للغابة الساحلية وللمياه الجوفية التي اصبحت نسبة ملوحتها مرتفعة بفعل نهب الرمال التي تشكل حاجزا طبيعيا بين البحروالبابسة.

لايقف الامر عند هذا الحد، بل اصبحت تستعمل سفن مختصة في استخراج الرمال من قاع البحر، مما شكل مبررا لتحرك فعاليات جمعوية صيف العام 1999لجمع التوقيعات قصد حمل السلطات المختصة على منع احدى هذه السفن من الاستغلال المفرط للرمال في عرض شاطئي اسلي (اسبالماديرو) 24وثلا يوسف.

أما بالنسبة للتلوث الصناعي، فنظرا لقلة الوحدات الصناعية بالاقليم (31وحدة سنة 2001) فان مؤشراته (DBO 5, DCO, MES)لا تسجل نسبا مهمة، كما هو الحال في ولايتي طنجة وتطوان مثلا.25

خاتمة

اذا كانت هذه هي حالة البيئة في اقليم الحسيمة واذا كنا قد اكتفينا بتشخيص المشاكل المطروحة، فهذا لا يعني عدم وجود مشاريع ومخططات لحماية البيئة والموارد الطبيعية في المنطقة. اذ فضلا عن المخططات العامة سواء الوطنية او الجهوية (الاستراتيجية الوطنية للتهيئة السياحية، التصميم المديري للتهيئة الحضرية للحسيمة، مخطط العمل المندمج لتنمية وتهيئة المنطقة المتوسطية المغربية ...) التي تعطي للجانب البيئي مكانة مهمة تجسد اهميته البالغة لمختلف اوجه النشاط البشري، هناك مخططات جهوية خاصة بالمحافظة على البيئة لعل من ابرزها المونوغرافيا الجهوية للبيئة للجهة الشمالية الوسطى ومشروع المنتزه الوطني للحسيمة.

× بالنسبة للمونوغرافيا، فهي دراسة أعدت تحت اشراف وزارة البيئة على صعيد الجهة السالفة الذكر التي كان اقليم الحسيمة يشكل واجهتها البحرية. وقد تضمنت هذه الدراسة 3 مراحل اساسية :

- **التدقيق :** وقع فيها تشخيص وتحديد مدى تدهور البيئة وانعكاساته على الموارد الطبيعية والانشطة الاقتصادية والاجتماعية؛
- **الاستراتيجية :** خلال هذه المرحلة حددت الاولويات والاتجاهات العامة للسياسة البيئية في افق تحقيق اهداف نوعية محددة ؛
- اما مرحلة مخطط العمل فتنص على تحويل الاستراتيجية الى أعمال ملموسة ودقيقة.

وقد خرجت هذه الدراسة القيمة بتوصيات وخلاصات مهمة وقع فيها التركيز على المجال الساحلي وضرورة الحد من تدهوره، بجعله منطلقا لتنمية منطقة الحسيمة عبر الاستغلال الامثل والعقلاني لامكانياته السياحية والانتاجية (الصيد البحري).

× أما مشروع المنتزه الوطني للحسيمة فهو عبارة عن أداة اساسية لتسيير، اعداد وتهيئة الموارد الطبيعية والثقافية للمنطقة التي يغطيها المنتزه والواقعة وسط الواجهة المتوسطية للمغرب شاملة الكتلة الجبلية لبقوية وهضبة بني بوفراح.

تبلغ المساحة الاجمالية لهذا المنتزه 310 كلم2 منها 23 كلم2 في النطاق البحري الذي يحتضن ثاني اهم مجموعة من طيور عقاب البحرفي البحر المتوسط، فضلا عن عدة أصناف حيوانية ونباتية نادرة ومحمية بموجب اتفاقيات دولية او على الصعيد المتوسطي. كما ان هذا المنتزه يعتبر فريدا من نوعه في المغرب لكونه يضم الى جانب الجزء القاري نطاقا بحريا يحتضن عدة اصناف من الكائنات البحرية النادرة (دلافين، سلاحف، ...)، لكن هذه الميزة قد تتحول الى عائق قانوني او مؤسساتي نظرا لكون حماية البيئة البحرية في مثل هذه الاوساط تهم عدة قطاعات وزارية متداخلة المصالح.

تنحصر الاهداف من وراء هذا المشروع في ما يأتي :

- المحافظة على العشائر الاحيائية البحرية Biocénosesوالمحيا Biotopes؛
- الحفاظ على انتاجية عالية للصيد البحري؛
- الحفاظ على رقعة بحرية غير ملوثة ؛
- خلق ظروف مواتية للابقاء على تواجد الانواع المهددة بالانقراض ؛
- الحفاظ على الانشطة المرتبطة بالصيد البحري التقليدي.

كما ان من أهم المميزات الطبيعية والثقافية لهذا المنتزه، توفره على :

- مشاهد خلابة في اعماق البحر تتشكل اساسا من اجراف بحرية عمودية ومغارات تحتضن عدة انواع من الطحالب والكائنات اللافقرية ؛
- مناظر ساحلية تتكون خصوصا من اجراف تتخللها اخاديد متجهة نحو البحر ؛
- مشاهد قارية ذات تضاريس وعرة ؛
- تجمعات سكنية ذات كثافة ضعيفة في الغالب ومراكز قروية قليلة وصغيرة، مما يحد نسبيا من تدهور البيئة.

أهمية هذا المشروع تكمن أيضا في كونه متكامل بحيث يتضمن 8 برامج للتهيئة تتمثل في : برنامج للحراسة والمراقبة، برنامج للتهيئة السياحية، برنامج للتنمية المستديمة، برنامج للتربية والتحسيس والتواصل إضافة إلى برنامج لتدبير وتنفيذ ما هو مقرر ؛ إلا أن ما يسترعي الاستغراب هو أن هذا المنتزه لا يأتي الا في الدرجة السابعة من أولويات ادارة المياه والغابات ! وكأن لوبيات ما تقف حجر عثرة أمام الانجاز الفعلي للمشروع الذي أصبح يضرب به المثل في المنطقة بخصوص عدم جدية الدولة في تنفيذ المشاريع المبرمجة26، خاصة وأن اللافتة المشيرة إلى مشروع المنتزه توجد منذ مدة طويلة على الطريق الرئيسية قرب بلدة أيت قمرا، كما أن إحدى سيارات المشروع التي تحمل شعار المنتزه (طائر العقاب) ما فتئت تجوب شوارع مدينة الحسيمة وكأنه أنجز حقا !

خلاصة القول إن وجود مثل هذه المشاريع المهمة 27التي لم تخرج بعد- للأسف- عن إطار الدراسات والتوصيات، من شأنه المساهمة في الحفاظ على الموارد الطبيعية لمنطقة الحسيمة التي شهدت _كما سلف القول- تدهورا كبيرا خاصة في العقود الأخيرة، مع ارتفاع وتيرة التحضر والاستغلال المفرط للمجال، وكذا خلق دينامية تنموية مبنية على الاستغلال الأمثل للإمكانيات المتاحة في إطار المفهوم الشائع للتنمية المستديمة.

بيبليوغرافيا:

- بالعربية :

- تقرير حول البيئة باقليم الحسيمة، جمعية أزير للمحافظة على البيئة بالحسيمة، 2000، 7 ص.
- الناوي (أ) : "ساحل تطوان، الاعداد السياحي وآفاق التنمية"، حوليات الريف، عدد 1، 1998، ص ص. 128-147.
- الصابري (س) : "الاقاليم الشمالية بين واقع التهميش وخطاب التنمية"، مداخلة في الندوة الدولية "محمد بن عبد الكريم الخطابي شخصية القرن"، جامعة ليدن (هولندا)، 11-9 نوفمبر 2001 (انظر نص المقال منشورا في جريدة تيفراز، أعداد 5، 6 و 7، الحسيمة، 2003).
- جريدة بادس، عدد مزدوج 3-4 ، الحسيمة، اكتوبر 1999.
- ملف "الريف بين كارثة الزلزال وكارثة الحكرة المخزنية"، جريدة العالم الأمازيغي ، عدد 43، مارس 2004.
- ملف مشروع المنتزه الوطني للحسيمة : وهم أم حقيقة ؟ جريدة تيفراز، عدد 9، الحسيمة، يناير 2004.

بالفرنسية:

- L'aménagement et le développement du littoral au Maroc , Ministère de l'Environnement, Projet MOR/88/P09, FNUAP-UNESCO, sans date, 154 p.
- BERRIANE M. : « Le tourisme sur la côte méditerranéenne, aménagement touristique et promotion immobilière », in Le Maroc Méditerranéen, la troisième dimension, col. GERM, Ed. Le Fennec, 1992, pp. 121-126.
- BERRIANE M. : « Tourisme et environnement sur le littoral marocain », in l'Afrique du Nord face aux menaces écologiques, Pub. de la F.L.S.H. de Rabat, série colloques et séminaires n°50, 1995, pp. 259-276.
- CHERKAOUI T.E., HATZFELD D., JEBLI H., MEDINA F. et CAILLOT V. : Etude microsismique de la région d'Al Hoceima, Bulletin Institut Scientifique n 14, 1990, pp. 25-34.
- Développement du Tourisme Rural dans les Provinces du Nord, mission d'appui sectoriel : Potentialités de développement de l'écotourisme au Maroc et termes de références d'un projet pilote d'écotourisme dans les régions du Nord, Rapport préparé pour le Gouvernement du Royaume du Maroc par l'O.M.T., 2001, 31 p. + annexe.
- DIPCN (Décennie Internationale de la Prévention des Catastrophes Naturelles), Rapport National présenté à la conférence mondiale sur la prévention des catastrophes naturelles de Yokohama, 1994.
- EL MRABET T. : La sismicité historique au Maroc (846-1960), DES, Univ. Med V, FLSH, Rabat, 340 p. (en arabe).
- EL MRABET T. , CHEDDADI A., TALHAOUI A., SEO K. et VIDAL F. : Microzonage sismique en zones urbaines, méthodologie et applications (cas des villes de Grenade en Espagne et d'Al Hoceima au Maroc), in : Reconstitution de la ville d'Agadir (1960-2000), bilans et perspectives, colloque scientifique, Agadir, 2000.
- EL SABRI S. : Mutations sociospatiales dans une commune rifaine : cas de Bni Bouayach (P. d'Al Hoceima, Maroc), Mémoire de D.E.A. es Géographie et Aménagement de l'Espace, Université de Nancy 2 (France), 1990, 128 p.
- EL SABRI S. : Approche du phénomène de la croissance urbaine dans le Rif Central (P. d'Al Hoceima, Nord du Maroc) : cas du doublet Imzouren-Bni Bouayach, Thèse de Doctorat d'Etat es Sciences de l'Environnement, Université d'Amsterdam (Pays-Bas), 1995, 304 p.
- EL SABRI S. : « Dynamique de l'immigration dans le Rif Central »,in Akher Khabar, n°21, Tétouan, 1998.
- EL SABRI S. : « Le fait urbain dans la Province d'Al Hoceima : passé, présent et devenir », in Annales du Rif, n°2, 1999, pp. 21-53.
- EL SABRI S. : « Foncier, immobilier et spéculation dans deux centres urbains de la Province d'Al Hoceima : Imzouren et Bni Bouayach », in Urbanisation et urbanisme dans les montagnes rifaines (Maroc), Publications du Groupe de Recherches Géographiques sur le Rif (G.R.G.Rif), Séries : Etudes spatiales n°1, 2002, pp. 83-108.
- IMESON A. C. et KWAAD F.J.P.M. : Field measurements of infiltration in the Rif mountains of northern Morocco, Studia Geomorphologica Carpatico-Balcanica 15, 1982, pp. 19-30.
- IMESON A. C. , KWAAD F.J.P.M. et VERSTRATEN J.M. : The relationship of soil physical and chemichal properties to the development of badlands in Morocco, in : BRIAN R.B. & YAIR A. (eds), Badlands geomorphology and pipe erosion, Geobooks Norwich, ch 3, 1982.
- Littoral du Maroc : réalités et perspectives, document de travail présenté par le Ministère de l'Environnement lors des journées d'étude sur le développement des zones côtières en Méditerranée, Athènes, 1996, 29 p.
- MARGAA K. : Essai de cartographie des risques naturels : application à l'aménagement de la région d'Al Hoceima, Thèse de Doctorat es Sciences de la Terre, Université de Franche-Comté, 1994, 196 p.
- MEDPOL : Rapport sur les points chauds et zones sensibles de pollution de la Méditerranée marocaine, MATUHE, 2001, 46 p.
- MIKESELL M. W. : Deforestation in northern Morocco, Science 132, 1960, pp. 441-448.
- Monographie Régionale de l'Environnement du Centre-Nord, Ministère de l'Environnement, 1997.
- P.A.I.D.A.R.- Med. (Programme d'Action Intégré pour le Développement et l'Aménagement de la Région Méditerranéenne Marocaine, rapport de synthèse, phase prospective, INYPSA, 1998, 220 p.
- P.A.C.A. (Plan d'Aménagement Côtier d'Al Hoceima), Ministère de l'Environnement, 1997.
- PASBIO : Plan d'Action Stratégique pour la Conservation de la Biodiversité Marine et Côtière dans la Méditerranée (rapport national), MATEE (SEE), PNUE, PAM et CAR/ASP, 2003, 104 p.
- PASCON P. et VAN DER WUSTEN H. : Les Beni Boufrah : Essai d'écologie sociale d'une vallée rifaine (Maroc), pub. avec le concours de l'IURS (Rabat), l'UVA (Pays-Bas) et l'INAV (Rabat), Rabat, 1983, 297 p.
- Projet de Développement du Tourisme Rural dans le Rif, étude préliminaire, (élaborée par 'Grande Traversée des Alpes', Grenoble), Rabat, 1995, p. 64. + annexe.
- S.D.A.U.A. (Schéma Directeur de l'Aire Urbaine d'Al Hoceima) 1985-2005, Rapport final, Dar Al Handasah, 1989.
- SNOUSSI M. et BEN SARI D. : « Villes méditerranéennes et risques naturels, cas du Maroc », in Villes et urbanisation en Méditerranée : le cas du Maroc méditerranéen, col. GERM, 1996, pp. 157-170.
- TALHAOUI A ., EL MOURAOUAH A., IBEN BRAHIM A., JABOUR N. et ABERKAN M. : Synthèse des données géosciences pour une zone exposée au risque sismique, cas de la région d'Al Hoceima, Séminaire maghrébin sur le risque sismique, Oran (Algérie), 1997.
- TALHAOUI A., IBEN BRAHIM A., ABERKAN M. et EL MOURAOUAH A. : Evaluation de l'effet de site et proposition de microzonation sismique de la ville d'Al Hoceima, Workshop sur la sismicité et la gestion du risque sismique dans la région euro-méditerranéenne, Agadir (Maroc), 18-19 juin 2001, pp. 225-235.
- TALHAOUI A. : Le séisme d'Al Hoceima du 24 février 2004, répliques et étude macrosismique, in : colloque international sur les technologies nouvelles et l'amélioration de la gestion des risques majeurs, coorganisé par CEPRIS, CNRST, Univ. Ibn Tofail et la Direction de la Protection Civile, Kénitra-Faculté des Sciences, 15-17 mars 2004.
- « La terre a tremblé à Al Hoceima », in L'Opinion, n°13398 du 13/01/02.
- TUDELA S., GUGLIELMI P., EL ANDALOSSI M., KAI KAI A. and MAYNOU F. : Biodiversity impact of the moroccan driftnet fleet operating in the Alboran Sea (SW Mediterranean) . A case study of the harmful effects inflicted by current IUU large-scale driftnet fleets in the Mediterranean on protected and vulnerable species. WWF Mediterranean Programme. Rome. Vi + 78 pp.
- ZAIM F. : « Le Maroc méditerranéen, les promesses d'une 'marge' marocaine », in Etat, Espace et Pouvoir Local : Réflexions sur le Maroc et les P.V.D., Ed. Guessous, Rabat, 1991, pp. 189-209

*نص منقح ومحين للمداخلة التي القيناها في ندوة "الماء والبيئة : أزمة تدبير ام تدبير أزمة" المنظمة من طرف مجموعة الأبحاث والدراسات الجغرافية والبيئية، كلية الاداب والعلوم الانسانية بنمسيك-الدار البيضاء، 27 فبراير 2003

الحرب الكيماوية في الريف (1921-1927)

5/5

■ ماريا روسا دي ماداریاغا – كارلوس لاثارو آفيلا ■ ترجمة: محمد الداودي

كانت قنابل الغاز تستعمل مثل باقي العتاد الحربي الذي كان يتم نقله عادة في الطائرات البرية للطيران العسكري. لكن استعمال الطائرات المائية لهذه الغازات تم بشكل استثنائي. لقد تدخل الطيران البحري في المغرب بوحدة مكونة من حاملة الطائرات ديدالو Dédalo مجهزة بمنطاد موجه وعدة طائرات مائية، والتي رغم احتوائها منذ فترة مبكرة على قنابل كيماوية مخزنة في قبائها إلا أنه ليس ثمة معلومات تفيد استعمالها أثناء القتال من طرف الطائرات المائية. ومنذ اللحظة التي بدأ فيها معمل مليلية بإنتاج قنابل كيماوية بمختلف الأحجام، بدأت طائرات بريغيت Breguet XIV DH-4وبوتيز Potez 15 وفوكر Fokker C IV و DH 9التابعة للسرب الجوي بالمغرب بدأت بالحرب الكيماوية التي طالت حتى شهر يوليوز 1927، إلا أنها لم تكن مكثفة في أية فترة من الفترات للأسباب التي تم ذكرها سابقا. إننا نعرف من خلال سجل تحليق أحد الطيارين الذين عملوا في المغرب بأنه من مجموع 167 مهمة قصف تمت بين يونيو من سنة 1924 ويوليوز من سنة 1925، مهمتان فقط تمتا بالإيبريت. كما أن سجلات الخدمة للملاحظ في الطيران خوصي لوبيث خيمينيث الذي شارك في حملة الريف بين غشت 1925 وأبريل 1927 تشير إلى أنه قام فقط بسبع هجومات بالإيبريت من أصل 130 هجوما. وفي الملف الشخصي لألفونسو دي أورليانس الذي كان على رأس سرب من طائرات فوكر C4خلال عمليات الحسيمة، يتضح أنه قام بهجومين فقط بالإيبريت ضد قرية بني زاليا وواد لاو (منطقة غمارة). وفي الأخير هناك أيضا شهادة بيدرو طوندا بوينو، ملاحظ طائرة بوتز 15 والتي شاركت وحدة منها في المغرب منذ يونيو 1924. ويشير طوندا في عمله المذكور سابقا إلى الحياة اليومية لفرقته وكذلك إلى حملات القصف بالإيبريت، لكنه يشير إليها بطريقة استثنائية ضمن الحملات المتعددة التي قام بها الطيارون الإسبان في الحملة ضد عبد الكريم. إن هذه الأمثلة بطبيعة الحال لا تعكس كل عمليات القوات الجوية والتي وصل تعدادها إلى 150 طائرة، وبالتالي فمن الضروري الاطلاع على الوثائق بشكل أكثر تعمقا. لكنها (أي الشهادات السابقة) في جميع الأحوال تحتوي على معلومات تفيد بأن استعمال الغازات السامة لم يكن مكثفا.

وأثناء إنزال الحسيمة في الثامن من سبتمبر 1925، تم استعمال الغاز السام في المناطق الداخلية بينما استعملت المواد القوية الانفجار في الخط الأمامي للجبهة. إن تحليل الوثائق يشير إلى أن الأسراب التي شاركت في الدعم الجوي لإنزال الحسيمة استعملت فقط قنابل إيبريت من طراز C5 (20 كيلو) في حين تم الاستغناء عن قنابل الكلوروبكرين أو C4 (10 كيلو)والتي كانت تشكل خطرا على الطيارين الإسبان، حتى عندما كانت تحترم مسافات العلو الكافي في التحليق. لقد كانت مادة الإيبريت هي الغاز المناسب لإيقاع ضحايا في صفوف العدو في مناطق لا تقوم القوات الإسبانية باحتلالها أو اجتيازها خلال مدة زمنية تفوق مدة استمرار الغاز وديمومته، وهي مدة تتفاوت حسب درجة الحرارة وعوامل أخرى. ولذلك فإنه خلال إنزال الحسيمة، تم استعمال الغازات في مناطق داخلية (بعيدة عن الساحل) من أجل إلحاق خسائر في الجبهة الريفية من دون أن تعاني القوات الإسبانية في الخط الأمامي للجبهة من آثارها السامة.

لقد أدى الهجوم الريفي في أبريل من سنة 1925 على المواقع العسكرية الفرنسية في قبيلة بني زروال المتواجدة على الضفة الأخرى لنهر ورغة، أدى هذا الهجوم بفرنسا وإسبانيا إلى الشروع في مباحثات ترجمت إلى اتفاقية مدريد في يوليوز من سنة 1925 التي صيغت من أجل تنسيق الجهود العسكرية للقضاء نهائيا على عبد الكريم في عملية مشتركة للطيران والقوات البرية والبحرية والتي ستتوج بإنزال في خليج الحسيمة. وقد كانت هذه العملية التي تمت بوسائل حربية هائلة إيذانا بنهاية عبد الكريم. لقد كانت الحسيمة مفتاحا للريف لكونها مركز قبيلة بني وریاغل، القلب النابض لكل حركات المقاومة للتغلغل الخارجي. لقد كانت هناك عدة مخططات سابقة للقيام بإنزال في الحسيمة غير أن شيئا منها لم يتحقق إلى أن تم إحياء خطة الجنرال غوميث خورذانا والتي تم تحيينها بتعاون مع الحليف الفرنسي الذي تقرر بأنه سيقوم بهجومه البري في نفس الوقت وذلك انطلاقا من المنطقة الجنوبية للحماية. ومثلما حدث في أول استعمال للطائرات في القصف في سنة 1913، فإن الإسبان سيكونون -بخطة الإنزال هذه- هم الأوائل في تقنية حربية جديدة ستكون نتائجها على قدر كبير من الأهمية بالنسبة للأجيال العسكرية المقبلة.

في الثاني من أكتوبر من سنة 1925، استولت طوابير الجنرال سانخورخو على العاصمة الريفية أجدير مما أرغم عبد الكريم على الفرار ومواصلة المقاومة انطلاقا من نقاط لم يتم إخضاعها بعد وذلك إلى حدود 27ماي سنة 1926 عندما استسلم للفرنسيين وذلك مخافة انتقام الإسبان. بعد استسلام عبد الكريم، واصل مؤيدوه المقاومة في قبائل الريف الأوسط غمارة وجبالة واللتين استمرتا في تمردهما حتى العاشر من يونيو لسنة 1927 عندما أعلن الجنرال سانخورخو رسميا في باب تازة نهاية الحرب. في هذه الفترة ومن أجل إخضاع المناطق الثائرة وخاصة في السلاسل الجبلية لجبل لعلم وجبل حسانا، واصل الطيران الدعم المهم الذي كان يقوم به لفائدة القوات البرية وذلك باستعمال طائرات البريغيت الحديثة Breguet XIX .وقد أتت فيما بعد مناسبات استعملت فيها الغازات ضد المناطق الثائرة، ففي الثالث من يونيو سنة 1927 ألقيت 42قنبلة من طراز C-5في بني كزيت، وقد كانت مخازن تطوان تتوفر على 200 قنبلة من الإيبريت من نفس النوع في حين كانت مخازن العرائش تتوفر على 497 قنبلة وهي من نفس النوع كذلك.

آثار الغازات السامة على القوات الإسبانية وعلى سكان الريف:

يروي إيذالغو ذي ثيسنيروس بأسف في مذكراته المعنونة ب"تغيير الاتجاه" عن حملات القصف التي قام بها على متن طائرة إف60 (فارمان) محملة حسب قوله بقنابل الإيبريت. ويروي هذا الطيار بأنه بعد مرور ذلك بسنوات أخبره عجوز ريفي بأن تلك القنابل لم تحدث أي تأثير في صفوف المقاتلين لأن درجات الحرارة المرتفعة في افريقيا شتتت آثار الغاز، بل إن الكاتب إيدالغو يصل إلى حد القول بأنه كان من الأجدى إلقاء قارورات الغاسيوسا التي تنتج في مليلية، والتي كانت مشهورة بأنها تصعب الهضم. إن هذا التأكيد الذي لا يعكس الواقع تماما يخفي وراءه محاولة واضحة لدفع الذنب والمسؤولية، حيث إنه كتب مذكراته هذه ونشرها في الستينيات في بلد موجود داخل دائرة التأثير السوفياتية، وهي دولة كان نظامها يؤيد حركات التحرر في العالم. لكن إيذالغو رغم ذلك لم يشأ أن يمر دون أن يشير إلى الآثار الرهيبة التي أحدثها انفجار أحد هذه القنابل في مطار تاويما، والذي تسبب في موت عدة جنود. لقد تأكدنا من وقوع هذا الحادث والذي لم يتسبب فقط في جرح القبطان خوصي بلانيل زعيم الحرب الكيماوية، بل أيضا في جرح القائد ومهندس الطيران "أرتورو غونثاليث خيل" الذي تعرض لحروقات خطيرة في رجليه. وقد كانت هناك حوادث أخرى وقعت فيها تسربات للغاز من إطارات القنابل، فكان من اللازم أخذ تلك القنابل بحذر شديد ودفنها تحت الأرض فيما بعد. وحسب تقرير للكولونيل مدير الحقل المدفعي لمليلية حول الأعطاب التي سجلت في مفاعلات إنتاج الإيبريت في يناير من سنة 1925، فإن المعالجة التي أنجزتها خمس فرق مكلفة بالإنتاج تسببت في جروح بعضها خطيرة لقبطانين وأربعة ملازمين Lieutenants .وقد تعرض كاتب التقرير نفسه لالتهاب الملتحمة (باطن الجفن) Conjonctivite لمجرد معاينة الأشغال، كما أنه سجلت 82 إصابة في القوات التي شاركت في هذه الأشغال.

ولم يكن الطيارون والطاقم المكلف بإنتاج الغازات السامة الوحيدين الذين تعرضوا لآثار هذه الحوادث بسبب هذا النوع من القنابل، إذ كانت هناك أيضا حالات الجنود الإسبان الذين تأثروا بالغاز كالحالة التي يتحدث عنها رامون سيندر في روايته "إمام"، أو الحالة التي يشير إليها خوان باندو عن عدد من الجنود الذين تم إنزالهم بحرا بالحسيمة فعانوا من آثار غيمة من الغاز عندما تحول اتجاه الرياح أثناء الهجوم. وأثناء القصف بالإيبريت الذي تم ضد قبيلة أنجره بعد انتفاضتها في ديسمبر من سنة 1924، سقط الغاز المنبعث من القنابل والذي حملته الرياح على القوات الإسبانية محدثا فيها عددا كبيرا من الجرحى.

أما فيما يتعلق بآثار الغازات السامة على الريفيين فقد كانت كبيرة بدون شك وقد أوقعت ضحايا كثيرين ليس فقط في المقاتلين بل أيضا ضمن المدنيين. فبجانب تجمعات الحركيين (المقاومين) الذين كان الطيارون يرمونهم بالقنابل، كانت ترمى القنابل أيضا على القرى والأسواق سواء أثناء يوم السوق أو عشيته بحيث تبقى المنطقة ملوثة خلال أسبوعين أو ثلاثة أسابيع بسبب ديمومة الإيبريت. كما سبق القول فإن آثار هذا الغاز تتمثل أساسا في حروق وأورام على مستوى الجلد، وفي التهاب على مستوى العينين قد يصل حد العمى العرضي، وكذلك في حالات تقيؤ. أما في حالات استنشاقه بكميات كبيرة فإنه يحدث طبعا آفات في الجهاز التنفسي وقد يكون قاتلا. ومن بين خصائص هذا الغاز أيضا التصاقه بالألبسة مما يحدث تأثيرا في الأشخاص حتى بعد مرور زمن عند معاودة استعمال نفس اللباس.

وتعود أول شكاية حول استعمال الغاز السام في المنطقة الغربية للحماية إلى دجنبر 1924، وهو التاريخ الذي -حسب تقرير القنصل العام البريطاني في طنجة في 20 دجنبر- صرح فيه ممثل من أنجره بأنه مبعوث من طرف هذه القبيلة لإخباره بحملات قصف للقرى من طرف الطيارين الإسبان بقنابل الغاز والتي تسببت في فقدان البصر أو العمى وكذا الجروح في صفوف النساء والأطفال. وفي مراسلة أخرى مؤرخة بتاريخ 19 أبريل من سنة 1925، أشار القنصل البريطاني بأنه حسب المعلومات التي استطاع جمعها فإنه ليس ثمة شك بأن الغاز الذي استعمله الإسبان في القصف كان هو الإيبريت. وهذا ما تؤيده شهادة الدكتور فوراز رئيس المستشفى الفرنسي في طنجة، والذي سبق وأن كانت له تجربة في قضية الغازات السامة أثناء الحرب العالمية الأولى، وقد سبق وأن عالج حالات عديدة في مستشفى طنجة كانت كلها بسبب الإيبريت حسب قوله. ومن جانب آخر، فإن الأهالي الذين شهدوا عمليات القنبلة أكدوا بالإجماع على أن قنابل الغاز كانت تقذف انطلاقا من الطائرات، وكان وصفهم لآثار الإيبريت على الأشخاص مطابقا لأوصاف الدكتور فوراز.

أما فيما يتعلق برد فعل القيادة الريفية حيال القصف بالغازات السامة فيبدو أن تلك القيادة كانت تحاول إخفاء الآثار القاتلة التي كانت تسببها في صفوف الأهالي، وهذا ما يتضح من خلال تقرير مؤرخ بتاريخ 20 يونيو لسنة 1924 في مليلية:

"يبدو أن تلك القبيلة (أيث وریاغل) تخفي الآثار بعناية ، ولا تسمح بتسرب أي معلومة إلينا. فنحن لا نملك إلا معلومات غامضة ما دامت لا توجد لدينا معلومات دقيقة تصلنا من وجدة حيث يسهل هناك الحصول عليها. لكن من خلال هذه المعلومات، يبدو أن الآثار كانت معتبرة وقد أحدثت ذعرا وارتباكا كبيرين، إذ لم يعد مجديا الاحتماء بالكهوف العديدة التي أقاموها في كل مكان والتي كانوا يعتبرونها ملاذا من القصف اليومي الذي يقوم به الطيران."

وأمام الآثار البدنية وكذلك النفسية التي كان يحدثها القصف بالغاز في صفوف المدنيين فمن المحتمل جدا أن الزعماء الريفيين أبوا أن يتحدثوا عنها مخافة أن يزيد ذلك من هلع السكان. أما فيما يتعلق بالاتهامات على المستوى الدولي، تجدر الإشارة إلى أن شكاوى واحتجاجات عبد الكريم



طائرة فوكر CIV التي شاركت في الحرب الكيماوية تحط بشاطئ كيمادو



حاملة الطائرات "ديدالو" التي كانت تنطلق منها الطائرات المشاركة في القصف الكيماوي

ضد قصف الطيران الإسباني كانت عديدة إلا أن أيا منها لم تحتو على إشارات واضحة إلى استعمال الغاز. في رسالة مشهورة من عبد الكريم "إلى الأمم المتحضرة" موجهة إلى عصبة الأمم في السادس من سبتمبر سنة 1922 يشير الزعيم الريفي فقط إلى "استعمال أسلحة محظورة" من طرف الإسبان. أما حول استعمال الغازات السامة فقد كانت ثمة إدانات موجهة لعصبة الأمم في جنيف لكن ليس من طرف عبد الكريم نفسه بل من طرف آخرين، سواء بسبب التعاطف مع الزعيم الريفي أو لأسباب إنسانية.

لقد كان الريفيون يعلمون منذ 1921 بأن الإسبان كانوا يمتلكون غازات سامة، رغم أنه من المحتمل جدا أن تكون هذه الغازات من النوع المسيل للدموع فقط. وكما أشرنا سابقا فإن الريفيين فكروا في يونيو 1922 في شراء أقنعة واقية من الغاز. أما فيما يخص محاولاتهم اقتناء طائرات فقد باءت بالفشل كما هو معروف. لقد اقتنوا أربع طائرات في الجزائر سنة 1924، وكانت كلها طائرات فرنسية قديمة وصلت واحدة منها فقط إلى الريف وهي طائرة بوتز 15، والتي رغم أنها أخفيت إلا أن الطيران الإسباني اكتشف مكانها ودمرها. وقبل ذلك، في سنة 1923، كان عبد الكريم قد حاول الحصول على طائرات ومعدات حربية أخرى بما فيها الغازات السامة. وفي العقد الذي تم التوقيع عليه في 30 أبريل سنة 1923 بين أخيه امحمد والقائد السابق في الجيش البريطاني ألفريد بيرسي غاردينر كانت هناك لائحة بالمواد التي كان على هذا الأخير أن يزود بها الريفيين وتضمنت هذه اللائحة ثماني طائرات قاذفة للقنابل وأربع مقاتلات وكذا أنواع مختلفة من القنابل بما فيها 50 قنبلة غاز بجانب معدات حربية أخرى. لكن لم يصل إلى عبد الكريم أي شيء من هذه المعدات باستثناء بعض البنادق والخراطيش التي استطاع تهريبها القبطان غاردينر، هذا المغامر المحتال الذي كان خسيسا في خداعه للزعيم الريفي. لكن لم تكن هناك بالطبع أية طائرة أو أية قنابل كيماوية.

لقد مرت أكثر من سبعين سنة على حرب الريف وإنه لمن الوفاء للحقيقة التاريخية أن نعرف وأن نعترف بأن إسبانيا قد استعملت غازات سامة في هذه الحرب. لقد كان هناك بالتأكيد ضحايا كثيرون سقطوا في حرب الريف بسبب القصف بالغازات السامة، لكن من المؤكد أيضا أن عدد الضحايا الذين سقطوا بسبب القنابل التقليدية كان أكبر بكثير لأنها كانت القنابل الأكثر استعمالا. فيما يتعلق بالإيبريت بالتحديد فإن آثارها الفورية معروفة، غير أنه من الصعب تحديد الآثار المحتملة على المدى البعيد، لأنه تلزم من أجل ذلك متابعة للأشخاص المصابين. ويبدو في هذا الصدد بأنه من المجازفة التأكيد على أن العدد المرتفع لحالات الإصابة بالسرطان المسجلة حاليا بالريف مقارنة مع مناطق أخرى بالمغرب، وذلك حسب إحصائيات رسمية، هو راجع إلى آثار الإيبريت على المدى الطويل في السكان وفي أحفاد الأشخاص الذين أصيبوا وقتها بالقصف. إنه لمن الضروري في مسألة خطيرة كهذه تفادي التخمينات المثيرة و الإتيان ببراهين علمية.

من المؤكد، حسب الدراسات التي قام بها مختصون دوليون كالوكالة الدولية للبحث حول السرطان (ليون، فرنسا) ،أن الإيبريت مادة مسببة للسرطان لدى الإنسان، ويدل على ذلك العدد المرتفع للحالات السرطانية على مستوى الجهاز التنفسي عند عمال مصانع الإيبريت، أي في حالات التعرض المتواصل أو المزمن لمادة الإيبريت. غير أنه من الصعب تحديد علاقة ميكانيكية "سبب-نتيجة" عندما يتعلق الأمر بتعرض واحد فقط للمادة أو حالات تعرض متقطعة مثل تلك التي تحدث أثناء القتال. أما بخصوص الآثار الجينية (التشوهات الخلقية) والتسمم الوراثي للإيبريت عند الإنسان فإن المعهد الطبي في الولايات المتحدة وصل في تقرير لسنة 1993 إلى استخلاص أن المعلومات المتوفرة حول آثار الإيبريت وكذا حول آثارها السامة على النظام التوالدي أو الوراثي ناقصة وغير كافية لإقامة علاقة سبب-نتيجة. لهذه الأسباب، إذا كان من الصعب البرهنة على هذه العلاقة عندما يتعلق الأمر بأشخاص لم يتعرضوا للإيبريت بطريقة متواصلة بل متقطعة كما هو الحال بالنسبة للريفيين فإنه من الصعب أكثر أن نبرهن على أن الريفيين الذين تعرضوا للقصف بالإيبريت في العشرينات من القرن الماضي قد انتقل منهم نوع ما من المرض وراثيا إلى أولادهم وأحفادهم، وبالتحديد السرطان، لاسيما وأنه من غير الممكن البرهنة على أن الذين تعرضوا للإيبريت مباشرة وأصيبوا بالسرطان قد كان تعرضهم لهذه المادة السامة هو الذي تسبب لهم في الإصابة بهذا الداء.

في رسالة لماريا روسا دي مادارياغا موجهة إلى جريدة «تيفراز»:

لم أقل أبدا إن الريفيين قد استعملوا الغازات السامة

السيد المدير،

توصلت عبر بعض أصدقائي الريفيين بجريدة معالم الريف, العدد الخاص بشهر نوفمبر 2004.. وهو العدد الذي تضمن ترجمة لمقالي المعنون (الحرب الكيماوية بالريف) والمنجز بتعاون مع كارلوس افيلا. وتصدرت هذه الترجمة مقدمة للمترجم السيد محمد الداودي التي ضمنها اتهامات في حقي, وهي الاتهامات التي أود الرد عنها:

1- لم أقل أبدا إن الريفيين قد استعملوا الغازات السامة, غير انهم عثروا على (غاز) بالمراكز العسكرية التي أخلاها الإسبان خلال صيف 1921. الأمر الذي يقودنا إلى التساؤل عن نوع الغاز الذي يتعلق الأمر به وعما إذا كان هذا الغاز سامّا. كما نتساءل هل كان الإسبان يملكون فعلا هذا الغاز خلال هذا التاريخ. وان النصوص التي اعتمدت عليها في مقالتي هي وثائق أصلية مباشرة صادرة عن وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية (قسم المغرب) وتحمل عنوان (أوراق عبد الكريم) والتي أملك صورا شمسية منها في نصها الأصلي مع ترجمته إلى اللغة الفرنسية. وفي ما يتعلق بلفظة (غاز) فانه يبدو لي غريبا أن الإسبانيين كانوا يملكونه فعلا خلال سنة 1921. حتى ولو كثر الحديث في الفترة على ضرورة الحصول عليه حيث أنه ليست هناك أية وثائق تدل على أن الإسبان كانوا يملكون فعلا هذا الغاز وبالأحرى أن يكونوا قد استعملوه.

واستعملت لفظة (غاز) في النص الأصلي العربي (وهي غير مكتوبة بحرف الغين كما هو متداول اليوم بل بحرف الكاف أو القاف). وخلافا لما يدعيه السيد الداودي, فكلمة (غاز) لا تعني في هذه الحالة ذلك الغاز الذي نستعمله في الحياة اليومية, ذلك انه لم يكن موجودا أثناء هذه الفترة (ما عدا في المدن حيث كان يستعمل خصوصا في الإنارة العمومية) في المنازل حيث يتم الطبخ باستعمال الفحم الخشبي. ونفس الأمر كان عليه الحال في المراكز العسكرية حيث كان يتم الطبخ باستعمال الحطب كما تثبت ذلك جميع الوثائق المتعلقة بتلك الفترة. وعليه فقد افترضت أن تعبير (غاز) يعني (بنزين) (Gasolina) لكن وفي مراسلة أخرى (رسالة من السيد بوشوشة محمد إلى عبد الكريم الخطابي بتاريخ 10 نوفمبر 1921) ورد فيها تعبير (كازولين) للدلالة على (البنزين). وبناء على ذلكأ أعتقد بأن القائد حدو بن حمو يستعمل عبارة (غاز) في مناسبات أخرى. وفي هذه الحالة ليس هناك شك في أن المقصود منها الغازات السامة، كما ورد في الرسالة المؤرخة في 24 يونيو 1922 التي يشير فيها القائد المذكور إلى الغاز الذي كان قد وصل إلى ميناء مليلية والموجه إلى الإسبان، وترد كلمة "غاز" إما وحدها أو مقرونة بكلمة "الوهاج". ولم تستعمل قط كلمة " السامة" في أي نص من نصوص الفترة المعنية للإشارة إلى الغازات السامة حيث تعتبر هذه الكلمة معاصرة ولم يكن يستعملها الريفيون خلال تلك الفترة. وما يعتبر منطقيا في كل بحث تاريخي هو أن الباحث يطرح أسئلة ويحاول إيجاد أجوبة أو يصوغ فرضيات حينما تثير الوثائق المدروسة صعوبات في التأويل، وأختم بإيراد الفرضية التالية : يمكن للغازات المذكورة أن تكون فقط من النوع " المسيلة للدموع" نظرا لكون فرنسا، حسبما يراه الصحفيان الألمانيان رودبيرد كونز (Rüdibert Kunz) وروولف دييترمولر (Rolf Dieter Müller)، كانت قد سلمت هذا النوع من الغاز إلى أسبانيا التي كانت تمتلكه بمليلية خلال صيف 1921.

لكن ألح على أني لم أقل بتاتا إن الريفيين كانوا قد استعملوا الغاز المذكور. وكتابة فعل " يملك" (أي "يتوفر") لا تعني بأي حال من الأحوال "يستعمل".

2- في الواقع تعتبر جميع أنواع الاستعمار شنيعة ومنبوذة، ولا يخامرنا شك في ذلك. ويبدو لي بديهيا أن يمثل الاستعمار الإسباني بالنسبة للريفيين أبشع وأسوأ أنواع الاستعمار لأنهم قد عانوا من ويلاته. وربما يعتقد مغاربة منطقة الحماية الفرنسية والجزائريين أن الاستعمار الفرنسي أبشع أنواع الاستعمار. ونفس الأمر سيعتقده الهنود فيما يخص الاستعمار الإنجليزي والإندونيسي فيما يخص الاستعمار الهولندي. وكتب العالم الأنتروبولوجي الأمريكي الكبير دافيد مونتكوميري هارت، الذي يعتبر دارسا كبيرا للريف، أن الاستعمار الاسباني لم يكن أفضل أو أسوأ من أنواع الاستعمار الأخرى (لكنه بغيض أيضا). في حين أني لا أتفق معه في الحالة التالية : إن الجيش قد لعب دائما دورا رياديا فيما يخص الاستعمار الاسباني، ثم إن إسبانيا كانت تحكمها طيلة فترة الحماية الاسبانية بالمغرب دكتاتوريات. كانت أولها دكتاتورية بريمو دي ريفيرا ثم دكتاتورية فرانكو. ومما لا شك فيه أن ذلك سينعكس على نحو جسيم على الأساليب القمعية المستعملة التي كانت تفلت من أي عقاب، دون أن يكون في إسبانيا، على خلاف باقي الدول الأوروبية، برلمان ديموقراطي ورأي عام يحتج على الفظاعات التي ترتكبها الدولة المستعمرة (بكسر الراء).

3- إن تحليل الوقائع يتطلب دائما وضعها في سياقها التاريخي. لأجل ذلك فإن مراجعة الوقائع التاريخية التي قمنا بها في مقالنا حول استعمال الأسلحة الكيماوية من طرف دول أخرى في نزاعات أخرى، لا يطمح إلى التقليل من مسألة استعمالها في الريف من قبل إسبانيا، وإنما إلى وضع الوقائع في سياقها التاريخي. إن الغازات السامة قد استعملت أثناء الحرب العالمية الأولى ليس فقط من طرف ألمانيا وإنما من طرف الحلفاء كذلك (فرنسا وإنكلترا). ومنذ ذلك التاريخ قررت الدول المنتصرة عدم وجوب استعمالها ضد الأوروبيين، لكن استعمالها ضد الدول المستعمرة (بفتح الراء) كانت مسألة أخرى. وقد استعملتها بريطانيا في العراق خلال 1919-1920. بينما لا يبدو أن فرنسا قد قامت بذلك حتى ولو كانت متهمة باستعمالها بالمغرب. لكن إذا كانت فرنسا لم تستعملها، فإن ذلك من دون شك لا يرجع إلى الاعتبارات الإنسانية وإنما إلى اعتبارات أخرى، كما يفسر ذلك، الكاتب جاك لادريت دولاشاغينغ Jacques Ladreit de la Charrière في كتابة "حلم عبد الكريم" (باريس 1925، ص 218). وفي مواجهة الأطراف التي كانت تطالب دوما باستعمالها في حرب الريف وتنتقد الحكومة على عدم القيام بذلك، أورد الكاتب لادرييت دولاشاغينغ، لدحض هذه الحجة، حججا ذات طابع عسكري خالص. مثل "عدم الفعالية على العدو المشتت وصعوبة النقل".

وإذن لم تكن إسبانيا الدولة الأولى المبادرة إلى استعمال الأسلحة الكيماوية، كما هو وارد في مقالتي، المبادرة إلى إلقاء قنابل الغازات السامة مستعملة من أجل ذلك الطيران (الأنجليز في العراق استعملوا المدفعية). وشكل استعمال الأسلحة الكيماوية من دون شك، نظرا لآثاره الجسدية والنفسية على الساكنة، عاملا مهما في تفكيك المقاومة الريفية لكن ليس العامل الوحيد. ثم إن استعمال الطيران بصفة عامة مع قنابل عادية أو من أنواع أخرى (المحترقة) كان مهما. وكان للصحفيين الألمانيين رودبيرت كونز وروولف دييترمولر الفضل في أن يكونا أول من تناول في الوقت الراهن موضوع استعمال الغازات السامة من طرف إسبانيا أثناء حرب الريف، لكنهما لم يطلعا على المصادر المباشرة من الأرشيف العسكري الإسباني، مما مكنهما بصعوبة من تقديم معطيات موثوق بها تتعلق بحجم وأهمية القذف بالغازات السامة. ونعلم من خلال الوثائق التي اطلعنا عليها أن الجيش الإسباني كان يفضل أن تكون هذه الغازات شاملة، خاصة في بني ورياغل. لكن ذلك لم يكن إلا رغبة حيث أن الواقع شيئ آخر. ثم إن الخطط شيء وتطبيقها الفعلي شيء آخر.

فإذا لم تكن عمليات القذف غير شاملة، كما خططت السلطات العسكرية ورغبت في ذلك، فإن ذلك يعزى، كما ورد في مقالنا، إلى مجموعة من العوامل. البعض منها ذو طابع تقني : صعوبات في الحصول على المادة السامة، التأخر في شحن القذائف والقنابل، حوادث في المخازن أحيانا جسيمة، وأعطاب، والبعض الآخر ذو طابع سياسي، حيث أن استعمالها لم يكن ينصح دائما باستعماله. وانطلاقا من الوثائق المطلع عليها نخلص إلى أن عمليات القذف بالغازات السامة كانت انتقائية تهم أهدافا وقبائل معينة. لكن رغم الطابع القاتل لهذه العمليات، فإن الجيش الإسباني لم يكن لوحده قادرا على هزم الريفيين. ويكمن العامل الحاسم في هزم المقاومة الريفية أساسا في التعاون العسكري الفرنسي الذي انطلق في خريف 1925.

لم يستطع المقاتلون الريفيون المكونون من 60.000 رجل بالرغم من قيمتهم القتالية وشجاعتهم مواجهة، لمدة طويلة، الوسائل العسكرية الكبرى، البرية، البحرية والجوية التي استخدمتها إسبانيا وفرنسا. ثم إنه لا يمكن إغفال "ارتداد" كثير من القياد الذين خانوا عبد الكريم الخطابي وانضموا إلى صفوف العدو. وهذا الأمر ساهم كذلك في إضعاف المقاومة الريفية.

4- لا أعتقد أني أحاول في مقالتي تبرير الاستعمار الإسباني أو تشويه وتزوير "الحقائق التاريخية". فالمجازر المرتكبة في حق الإسبان (ليس بأنوال حيث لم تقع هنالك) بسلوان والناظور وخاصة بجبل العروي لم تكن من عمل المقاومة الريفية وإنما من عمل مجموعات غير مضبوطة لم تلتزم بأوامر رؤسائها. ويمكن لنا تفسير هذه المذابح بمشاعر الحقد المتراكم التي كان سكان القبائل "الخاضعة" بالريف تكنها للمحتل، وهي المشاعر التي تعزى إلى أعمال الإهانة والتعسف التي تعرضوا لها. لكن و مهما يكن الأمر، فإن من الثابت أن السلطات الإسبانية قد فكرت، قبل انهزامها في أنوال وقبل المذابح التي وقعت بجبل العروي، في إمكانية استعمال الغازات السامة في حرب الريف. من الأكيد أيضا أن العامل الأساسي الذي دفع إلى اتخاذ قرار استعمالها هو أحداث ما بعد أنوال ولا سيما ما وقع بجبل العروي.

5- لم أضع أبدا المستعمرين (بكسر الميم) والمستعمرين (بفتح الميم) على قدم المساواة. وفي كتابي المعنون "المغاربة الذين استقدمهم فرانكو"، حاولت تفسير الأسباب التي دفعت آلاف المغاربة إلى الانخراط في جيش فرانكو، وهي الأسباب التي كانت أساسا اقتصادية تعود إلى سنوات قلت فيها المحاصيل الزراعية، وإلى المجاعة والفقر اللذين سادا في الريف. كما وضحت أن تصرف الجنود المغاربة أثناء الحرب الأهلية الإسبانية لم يكن يختلف عما كانوا يتحلون به عادة من سلوك إزاء مواطنيهم حيث كانوا يستعملون أساليب الحرب الاستعمارية. وما كانوا يستطيعون القيام بذلك كما وضحت في كتابي المشار إليه آنفا، بدون تواطؤ وموافقة رؤسائهم الأسبان. فالتاريخ ليس بشريط سينمائي يصور تصارع الأخيار والأشرار، إنه شيء أكثر تعقيدا من ذلك.

وفي الختام إنه من الغرابة اتهامي بتبرير الاستعمار الإسباني وكذا الدفاع عنه، بينما أنا معروفة لدى الجميع من بين الذين ساهموا كثيرا بإسبانيا في إعطاء صورة مغايرة للمقاومة الريفية ولعبد الكريم الخطابي، وهي الرؤية التي تختلف كثيرا بالطبع عن الرؤية التي تعكسها النصوص الرسمية والكتابات التاريخية الاستعمارية الإسبانية.

ماريا روسا دي مادارياغا

ترجمة: ميمون أزيزا

ملحوظة: ترقبوا تعقيب الأستاذ محمد الداودي ضمن العدد القادم

من علماء المغرب العلماء

صالح بن طريف صاحب أقدم ترجمة للقرآن الكريم باللسان الأمازيغي

من الطبيعي في ظل الاجتثاث الذي تعرضت له فصول واسعة من تاريخ المغرب الأقصى، والطمس الذي شمل معظم مصادره الأصلية، أن يسود حلقاته غطاء سميك من الغموض والاضطراب. وغني عن البيان أن الجمهور الأعظم من المؤرخين المغاربة ما زالوا يراوحون مكانهم متخبطين منذ القرن الماضي في إعادة ترويج جملة القضايا المطروحة في حينها من لدن رواد المدرسة الفرنسية. وما زالت الهمم متكاسلة عن نفض مخلفات التقليد، للأخذ بزمام المبادرة والغوص في متون المصادر المتاحة، أملا في إعادة ترميم حلقات تاريخ البلد المخرومة.
وإلى جانب قيادات المغرب الأقصى السياسية من أمثال كسيلة بن لمزم البرنسي وطارق بن زياد النفزي وميسرة المطغري وسمكو بن واسول المكناسي وطريف بن شمعون المصمودي، ليس مصادفة أن تكون أسس الثقافة المغربية ودرره الفكرية من رجالات العلم والمعرفة، أوسع خرقا وعرضة للطمس والمصادرة. ولا يسعنا في سياق العمل المضني الذي باشرناه منذ عقود خلت أن نعمد إلى إلقاء بعض الأضواء على أحد أقدم علماء المغرب الأقصى، ممن جاب الشرق والغرب طالبا لفنون العلم والمعرفة، وأحكم لسان قومه الأمازيغ بمختلف تشعباتها المحلية، وأحسن اللغتين الإغريقية واللاتينية، وتبحر في لساني العبرانيين والسريانيين، فانفتحت أمامه عيون العلم وأصول المعرفة والشرائع الموروثة عن العصر القديم. كما حفظ القرآن الكريم وأحكم الخط العربي وتلقى الأحاديث وأصول الدين الإسلامي على رواد الرواة المغاربة ممن أخذ عن ابن عباس. فما كان إلا أن تبوأ المرتبة العليا باعتباره من أعلم علماء عصره في أمور الدين وشؤون الدنيا.

بقلم الدكتور أحمد الطاهري

ويتعلق الأمر بصالح بن طريف الذي تمكن منذ فترة مبكرة من صياغة تعاليم مذهب كلامي فريد من حيث الشكل والمضمون، كان له أبلغ الأثر في بلورة النسيج الثقافي بالمغرب والأندلس، على مدار ما ينيف عن أربعة قرون من الزمن. وهو المذهب الفكري المغربي النشأة المعروف لدى المؤرخين باسم المذهب البرغواطي، الذي ما زال إلى اليوم يثير الجدل بين الدارسين، ويحوم حوله الكثير من الغموض. حقيقة أن المذهب البرغواطي، يستمد أصوله الفكرية وقواعده النظرية من مشارب شتى تجمع بين فكر الخوارج الصفرية ومعتقدات الشيعة من الروافض الإمامية وتعاليم المعتزلة الواصلية ومسالك الزهاد والصوفية، حسبما تناولناه بتفصيل في كتاب سيصدر لنا قريبا بحول الله تحت عنوان: تاريخ المغرب خلال القرون الهجرية الأولى، حفريات تاريخية في أصول مجهولة. إلا أنه اعتمادا على الأصول الفكرية المذكورة، المتنوعة إلى حد التناقض، أمكن لصالح بن طريف وللإئمة البرغواطيين بعده من صياغة مذهب فكري متميز عن كافة المذاهب الإسلامية المعروفة.

ولعل في مخالفتها للمذاهب الفكرية والكلامية المشرقية المنشأ، وخصوصا لاعتمادها اللسان الأمازيغي، ما يفسر إقصاءها من طرف كافة مؤرخي الفرق الإسلامية فضربوا صفحا عن ذكرها مقتصرين على كيل التهم لها بالمروق والزندقة والخروج عن الملة. وباستثناء بعض الدراسات القليلة التي التمست الكشف عن حقيقة المسألة البرغواطية وفق قواعد البحث التاريخي المتعارفة، مال جمهور الدارسين إلى ترديد نفس الأحكام المتسرعة. نبراسهم في ذلك، السير في ركاب الثنائيات الفكرية المتحجرة التي تركن إلى المقابلة بين الكفر والإيمان، من موقف دفاع مفترض عن الإسلام ينتهي بالتأكيد أن برغواطة - أي الجزء الأوفر من أهل المغرب الأقصى قوم خارجون عن الإسلام. بينما ظل البعض الآخر ممن جبلوا على ترويج أفكار ونظريات غيرهم، يراوح مكانه مستجديا القواميس المتفرنسة من قبيل المثاقفة والنزعة الوطنية، لحل هذه المعضلة.

وهي القضايا التي تناولناها بما تستحق من تفصيل ضمن كتاب، ونقتصر في هذا المقام على تسليط بعض الأضواء الباهتة على جزء يسير من موضوع متشابك، لفائدة قراء أسبوعية /تفراز ن أريف/. ويتعلق الأمر بأقدم ترجمة للقرآن الكريم وضعت خلال منتصف القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) باللسان الأمازيغي، حسبما استقيناه من أوثق المتون العربية التي أرخت لذلك. ومن المتعارف عليه أن أبرز ما وجهه قدامى أهل القلم من مآخذ على صالح بن طريف مما يوجب تكفيره، كونه - في زعمهم - قد ادعى النبوة. وهو ما صرحوا به قولا أنه قد تنبأ فيهم وشرع الديانة التي ظل عليها أهل بلاد تامسنا، وغيرهم من قبائل المغرب الأقصى، إلى فترة متأخرة. والجدير بالذكر أن كتب الملل والنحل والأهواء الإسلامية تنسب هذا الانحراف العقائدي إلى غلاة الشيعة. وثمة إشارات مماثلة إلى انزلاق إحدى فرق الخوارج أيضا في نفس المنحى.

لا يستبعد أن يكون صالح بن طريف قد احتك ببعض الأفكار والتوجهات المغالية لدى الشيعة والخوارج. إلا أنه من المفيد الانتباه أيضا إلى مغالاة الفرق المخالفة في مهاجمة الخصوم عن طريق تحوير مقالاتهم بقصد تسهيل نسبهم إلى الكفر. لا تعوزنا في ذلك الدلائل، نذكر منها أن أهل الأندلس كانوا ينسبون إلى محمد بن عبد الله بن مسرة ولخلفه إسماعيل بن عبد الله الرعيني القول باكتساب النبوة. وفي هذا السياق لم يخف وحيد عصره الفقيه الفيلسوف ابن حزم أن من بلغ الغاية من الصلاح وطهارة النفس أدرك النبوة، بمعنى استشراف المستقبل. وهو ما ينطبق تماما على صالح بن طريف الذي اشتهر لدى الخصوم أيضا بكونه من أهل العلم والفضل. وقد تمكنا من ضبط القنوات الواصلة بين المذهب البرغواطي الذي ظهر ببلاد تامسنا على يد صالح بن طريف ابتداء من سنة ١٢٧ للهجرة (٧٤٤.م) ومدرسة حاميم المتنبئ ببلاد غمارة خلال نهايات القرن الثالث وبدايات القرن الرابع الهجري، والمدرسة المسرية التي تألقت بجبال قرطبة وعموم الأندلس على رأس المائة الرابعة للهجرة، والتي اتهمت أيضا بالمروق والزندقة. لقد تجلى بما لا يدع مجالا للشك أننا أمام حلقات متناسلة بين العدوتين المغربية الأندلسية من نفس المذهب البرغواطي الذي وضع أصوله صالح بن طريف ببلاد تامسنا.

وقد ظلت تداعيات المذهب البرغواطي فاعلة بعدئذ في الفكر المغربي الأندلسي، بعدما فصلت عنه أبعاده العقلانية الاعتزالية على يد إسماعيل بن عبد الله الرعيني. وهي التداعيات التي تجلت بعض معالمها لاحقا في فكر الموحدين وعقائدهم المذهبية، وبالخصوص لدى أقطاب التصوف من أمثال ابن عربي وابن سبعين وابن قسي. مما يجعلنا أمام أحد أهم المكونات الأصيلة في الفكر المغربي التي ظلت لحد الآن متناثرة الحلقات مخرومة المكونات وممزقة الأوصال. ولعل في النتف التي تمكنا مؤخرا من لمها في كتاب ما يفسح المجال أمام جمهور الدارسين لاقتحام هذه الدهاليز المظلمة من تاريخ الفكر بالمغرب بهدف انتشال حلقاته من طي النسيان.

والراجح أن المقصود بالنبوة في هذا السياق، الإرجاف - بقوة البصيرة أو بصفاء النفس - بحدوث أمور فإذا حصلت اعتبر ذلك من باب التنبؤ بالمستقبل. ولا غرو، فقد اشتهر إسماعيل بن عبد الله الرعيني المتهم لدى أهل الأندلس بالتنبؤ بأنه ينذر بأشياء قبل أن تكون فتكون. وبالمثل فقد كان صالح بن طريف متنبئا في قومه بهذا المعنى، إذ وعدهم غير كسوف فوجدوه، وأنذرهم غير شيء فأدركوه، حسب رواية الجغرافي المشرقي ابن حوقل. على غراره، اتهم رابع الأئمة البرغواطيين يونس بن إلياس بن صالح بن طريف بالتنبؤ، فقط لأنه كان يخبرهم بأشياء قبل كونها مما تدل عليه النجوم عندهم فتكون على ما يقول أو قريبا منه، حسب رواية البكري. ومن جهة أخرى، فمن المتعارف عليه لدى مؤرخي الفرق أن كثيرا من الشيعة لم يتورعوا عن التماس الشبه لأئمتهم بالنبي. نخص منهم بالذكر الشيعة الإمامية الذين نعتوا بذلك لجعلهم أمور الدين كلها للإمام معتبرين إياه كالنبي، حسبما ورد مفصلا في كتاب المنية والأمل للمرتضى. وثمة إشارة دالة إلى أن تنبؤ ملوك تامسنا لا يعدو أن يكون بهذا المفهوم، إذ ثبت في المصادر المعتمدة أنهم يقدمون مع الإقرار بالنبيين الإقرار بنبوة صالح بن طريف ونبوة من تولى الأمر بعده من ولده، باعتبارهم أئمة موكولة إليهم أمور الدين.


تفاصيل بموقع وليلي تخلد اتفاقية السلام بين البورغواطيين والرومان

إلا أن ثمة عاملا آخر لم يكن اقل تأثيرا في تأليب عموم أهل القلم من مختلف الفرق ضد مذهب صالح بن طريف. ويتعلق الأمر بما نسج من روايات حول /قرآن/ برغواطة المزعوم. فقد ذكر البكري أن صالح بن طريف ادعى أنه نزل عليه قرآنهم الذي يقرأونه إلى اليوم. وهو ما أشار إليه ابن حوقل أيضا بالقول: وعمل لهم كلاما رتله بلغتهم. وقد ورد في أكثر من مصدر أن عدد سور قرآنهم الذي وضع لهم صالح بن طريف ثمانون سورة أكثرها منسوبة إلى أسماء النبيين. ويتضح من خلال بعض الشذرات التي تناقلها الرواة أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد ترجمة للقرآن باللسان الأمازيغي. نذكر منها على سبيل المثال قوله: /مقر ياكش/ ومعناه: الله أكبر، و /إيجن ياكش/ ومعناه: الله أحد، و /وردام ياكش/ ومعناه الله الصمد. من الطبيعي أن يقر صالح بن طريف أن أصل الكلام الذي ألف لهم وحي من الله تعالى، باعتبار أن دوره اقتصر على ترجمته من العربية إلى لسان قومه الأمازيغي، لا سيما وأنه لم يكن منتظرا حينئذ أن يتحقق تعريب عامة قبائل أهل المغرب. من ثم قيمة الترجمة الجزئية لآيات من القرآن الكريم في تقريب كلام الله لأفهام كافة المغاربة.

وليس أدل على اعتقاد صالح بن طريف بضرورة الإقدام على ترجمة القرآن إلى لغة أهل بلده الأمازيغية في تعميق فهم الإسلام لديهم، من احتجاجه بقوله تعالى "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه". ومع إقراره بأن "محمدا صلى الله عليه وسلم نبي حق عربي اللسان مبعوث إلى قومه وإلى العرب خاصة"، فقد اعتقد - فيما يبدو أن من واجبه كعالم في قومه متمكن من اللسانين العربي والأمازيغي، تقريب آيات الله إلى أفهامهم بترجمتها إلى لسانهم. ومن الطبيعي أيضا أن تنتفض همم العرب ممن لا يفقه لسان أهل البلد ضد هذا المتن الأمازيغي المكتوب في أول ترجمة معروفة في التاريخ للقرآن باللغة المغربية، ويكفروا من ينسب هذا الكلام إلى الله تعالى.

مع ذلك، لم يكن أهل المغرب ليعتبروا الترجمة الأمازيغية الجزئية التي وضعها صالح بن طريف لثمانين سورة بديلا عن القرآن الكريم الأصل. وهو ما أمكننا الوقوف عليه من خلال رواية غاية في الأهمية تكشف عن تعايش الترجمة الأمازيغية الموضوعة مع القرآن الأصل المنزل. مصداق ذلك ما رواه ابن حوقل في سياق حديثه عمن عاصره من البرغواطيين، بقوله: وفيهم الآن من يقرأ القرآن بغاية الاحترام ويحفظ منه السور ويتأول آياته، على موافقته لكتابهم وقرآنهم. ولعل في هذا النص التاريخي ما يكشف بوضوح تام عن تبجيل علماء برغواطة للقرآن الكريم وحفظهم لآياته واعتمادهم عليه، مع الاستمرار في مقابلة المتنين العربي المنزل باعتباره أصلا والنسخة المترجمة باللسان الأمازيغي باعتبارها صورة.

إلا أن في دأب حفاظهم على تفسير وتأويل بعض الآيات باللغة الأمازيغية، ما يدل على تأصيل علوم الحديث وعلوم التفسير وعلم الكلام باللسان المغربي الأمازيغي. ويحتفظ البكري وغيره من الرواة ببعض الشذرات التي نميل إلى اعتبارها من ضمن هذه التفاسير، إذ لا تتطابق تمام الانطباق مع منطوق ومضمون الآيات القرآنية. ولا يسعنا إلا أن ننبه الدارسين إلى المزالق التي ترتبت عن خلط تلك التفاسير والتأويلات العلمية التي صيغت باللغة الأمازيغية، باعتبارها في مزاعمهم جزءا من الترجمة التي وضعها صالح بن طريف للقرآن. ولا يسعنا في هذا السياق إلا أن نذكر الدارسين بالتقليد الذي ظل متداولا في تدريس المتون العربية باللسان الأمازيغي من طرف علماء البادية في المغرب الأقصى، طوال قرون عز العطاء الحضاري إلى وقت متأخر من القرن الماضي. وما زال طلاب علوم الحديث والتفسير والتوحيد ممن تلقى الأصول بمدرسة جامع أحديد بتمسامان وبآخر مدرسة تقليدية بإمزورن يتذكرون تلقيهم هذه العلوم باللسان الأمازيغي على أحد مشاهير فقهاء الريف خلال القرن الماضي: الفقيه السي السيد.

والجدير بالذكر أن صالح بن طريف لم تكن تعوزه القدرات العلمية ولا الأدوات اللسانية والمنهجية لإنجاز مشروع ترجمة القرآن إلى اللسان الأمازيغي. وباعتباره سيدا في قومه، وسليل أب ملوك برغواطة وشيخ صفرية تامسنا، فقد أتيح له حفظ القرآن وضبط ما تداوله كبار مشايخ العصر بالمغرب الأقصى من روايات وأحاديث عن الفقيه الشهير ابن عباس. ناهيك عما تلقاه من تعاليم واحتك به من مقالات أهل الفرق من الخوارج الصفرية والشيعة الرافضة، مستفيدا من مناهجهم الكلامية وطرقهم الاحتجاجية. ولم يدخر صالح بن طريف وسعا في استيعاب مقالات المعتزلة والمتكلمين وغيرهم من أرباب الفرق، ونظر في الكلام والجدال وأخذ ذلك عن غيلان الدمشقي. ولعل في هذا ما يكشف عن المؤثرات الاعتزالية في فكر صالح بن طريف، خصوصا ما يتعلق منها بفهم القرآن وتفسير آياته وتأويل مقتضياته، ومن ثم التجرد لترجمته إلى لسان قومه. ومن المعلوم أن المدرسة الإعتزالية قد بلغت الغاية فيما يتعلق بقضايا الوجود والعدم ونواميس الحياة ومسائل الحكمة والخلق. كما تميز صالح بن طريف بقدرات فذة على المقارنة بين الأديان والمعتقدات، من خلال حفظه للتوراة وتتبعه لمقالات الكهان، إذ كان حسب المصادر المعتمدة يتكلم كلاما كثيرا نسبه إلى موسى الكليم وإلى سطيح الكاهن.

من الطبيعي أن يكون صالح بن طريف مضطلعا بالأصول اللغوية لدى الأمازيغ، يفهم غير لسان من ألسنتهم المتشعبة في جملة من الفروع. لم تقتصر معارفه على ضبط مناحي التشابك اللغوي لدى أهل بلده، بل تجاوزه إلى التحكم في ألسنة العلوم المتداولة في عصره: العربي والسرياني والأعجمي والعبراني، حسبما يتضح من رواية البكري. ولا يستبعد أن يكون صالح بن طريف قد أخذ اللسان العبراني بالمغرب عن أحبار وكتب اليهود الموروثة عن العهد السابق للإسلام. أما اللسان الأعجمي فالغالب على الظن أنه قد تمرس به أثناء ترعرعه بكورة شذونة من بلاد الأندلس. ولم يدخر صالح بن طريف وسعا في ضبط لسان العرب والتمرس على الكتابة بالرسم العربي، حتى ذاع صيته بإتقانه الكتابة بخط حسن وفهم بأطراف من العلم، على حد تعبير ابن حوقل.

ونميل إلى الاعتقاد أنه قد تعلم اللسان السرياني أثناء مقامه ببلاد الشام والعراق، حيث جلس لطلب علم النجوم والكهانة والجان وقراءة أمهات المصادر الموروثة عن حضارات الهلال الخصيب ووادي الرافدين القديمة. وقد أمكننا الوقوف في دراسة سابقة عن بصمات دالة عن انتقال علوم الكلدانيين في الفلاحة وقود المياه وتعديل الكواكب والتقويم والمواليد على يد صالح بن طريف إلى المغرب، ومنه إلى الأندلس. وهي البصمات التي تتبعنا بعض خيوطها لدى علماء الفلاحة وهندسة المياه في مدينة بادس ببلاد نكور، وكذا في ناحية وادي لو ببلاد غمارة. وقد كشفنا عن عيون تلك المعارف المبثوثة في كتاب الفلاحة النبطية الذي ترجمه ابن وحشية عن أصول سريانية قديمة. فما كان إلا أن وجهنا انتباه الباحثين في حينه إلى أهمية الحلقة المغربية المطموسة في انتقال المعارف الفلاحية والطبيعية والفلكية الكلدانية، فضلا عن عيون الحكمة والفلسفة من المشرق إلى المغرب الأقصى، ومنه نحو بلاد الأندلس. مصداق ذلك ما عايناه من نقول مبثوثة في جملة من كتب الفلاحة الأندلسية، وفي مصنف أبو مسلمة المجريطي في الحكمة والأرصاد الفلكية، موافقة بالرسم والمعنى لما تضمنته الأصول السريانية المعتمدة في كتاب الفلاحة النبطية. ولا غرو، فثمة إشارة مصدرية فائقة الأهمية تفصح عن رحلة صالح بن طريف منذ وقت مبكر لطلب العلم بالمشرق، فدخل العراق ودرس شيئا من النجوم وصلحت منزلته في علمها إلى أن قوم الكواكب وعمل التقاويم والمواليد وأصاب في أكثر أحكامه.

تجدنا إذا أمام أحد أقدم علماء المغرب الأقصى وحكمائها وأقطاب الفكر والثقافة، ممن استبحرت معارفه في علوم عصره، وتفتحت قريحته على ثقافات الأمم وحضاراتها والسنتها، وتعمق نهله من الأصول العلمية القديمة ومن الكتب والديانات السماوية، جامعا بين ثقافة الغرب والشرق، وعلوم الدين والدنيا. وهي العصارة الفكرية التي جسدها بجرأته - في سابقة تاريخية - على تناول كلام الله في أول ترجمة جزئية للقرآن الكريم إلى اللغة الأمازيغية، وفي وضع أصول إحدى أقدم المدارس الكلامية والفلسفية بالمغرب الأقصى، ممثلة في التيار المعروف بالمذهب البرغواطي الذي لم يحظ إلى اليوم بدفء الحبر في حضن ورق. ولم يكن غيره من رواد علماء المغرب وفقهائه الأوائل ممن آثروا السير على نهج أهل الرواية والحديث وتجنبوا سبل الغلو، لينفلت من إعصار الطمس والنسيان الذي لم يذر معلمة من معالم هذا البلد الأمين إلا أتلفها. ومن المفيد أن نعمد في مقاربة لاحقة للتعريف بعالم مغربي لا يقل أهمية عن صالح بن طريف البرغواطي. ويتعلق الأمر بصالح بن منصور النفزي النكوري الذي يرجع إليه الفضل في وضع أصول أقدم مدرسة لأهل السنة والجماعة بالمغرب الأقصى، قبل ظهور مدرسة إمام المدينة مالك بن أنس بحوالي قرن من الزمن. وهي المعروفة لدى القلة القليلة من قدامى الرواة الذين أمكننا الوقوف على شهادتهم، بمدرسة أهل الاستقامة والإقتداء. وليس مصادفة أن ينعت صالح بن طريف المصمودي بصالح المؤمنين وأن يوسم صالح بن منصور النفزي بالعبد الصالح. فكلاهما كان صالحا في عصره ولأهل بلده، ولا يصح للمتأخرين من أهل المغرب أن ينغمسوا في أتون الجهل بمصابيح بلدهم. الرجاء أن يتوفر لنا متسع من الوقت لمعاودة الاتصال بقراء /تفراز ن أريف/ الأعزاء لتقديم تعريف مقتضب عن العبد الصالح ومذهبه، يستبق صدور التفاصيل ضمن كتاب.

في كراهية العقل

ترجمة: عبد الوافي المسناوي

بدا منذ زمن طويل، أن العقل ليس في حاجة إلى من يدافع عن أهميته وقيمته ؛ وقد شعر الإنسان دائما بواجب مقاومة الأهواء من أجل تثبيت العقل ونظامه . لم تكن مقاومة الأهواء وقهرها من أجل عقلنتها موضوع نقد أومراجعة ؛ لقد كان الكل يرى أن قانون الحياة يقتضي الإنتصار لمبدأ العقل وإخضاع الحياة للعقل.

كيف يمكن تصور عكس ذلك، علما أن الميل إلى العقل أمر بديهي وأساس الحضارة؟ فالمتوحش وحده من يكره العقل، لذا كان يقذف به خارج جماعة الناس . لقد بلغ الدفاع عن العقل ذروته مع هيجل عندما جمع بين العقل والواقع . وأفلاطون لم يكن غافلا عن إمكانية النفور من العقل، فالسوفسطائيون وموت سقراط حدثان جعلا أفلاطون يهتم بظاهرة النفور من العقل. وقد خصص لها قسما من أبحاثه، غير أن النصوص التي عالج فيها أفلاطون الظاهرة إنما كانت تستهدف أساسا الكشف عن الأسباب التي تؤدي إلى النفور من العقل، ذلك النفور الذي اعتبره أفلاطون عيبا نفسيا.

الطريف والعجيب، أن أفلاطون لم يكن يتصور أن يأتي زمن يكون فيه الإنسان مناهضا للعقل باسم الفلسفة !! أجل مناهضة العقل، كراهيته واعتباره ليس أداة لتحرير الإنسان وإنما أداة لقمعه واستعباده . فهل هذا يعني أن العقل مصاب باضطراب ما وفقد بذلك أهميته أم يعني أن الفلسفة بلغت نضجا ويقظة – فلسفة للتشكيك – بحيث أصبحت قادرة على فضح سلطة اللوغوس ، أي قادرة على معرفة العنف الملازم للعقل نفسه، ذلك العقل الذي كان أساس الفلسفة بل أساس العلم والتقنية والحضارة؟

الظاهر أن قضية النفور من العقل تتمتع بكثير من الراهنية، وإذا كان حب العقل سببا في حدوث الثورة الفرنسية فإن النفور من العقل سبب في قيام الثورة الطلابية سنة 1968. ومع ذلك فإن الظاهرة متجذرة في الماضي البعيد ولن نعطي لأنفسنا فرصة إدراك ظاهرة النفور من العقل إذا لم نرجع إلى الفترة التي إزدهر فيها ذلك الإزدهار الذي وجد غذاءه الأول في فلسفة الحرية عند ديكارت. وربما، من المناسب أن نتساءل عما إذا كان النفور من العقل هي ظاهرة حبيسة العقل نفسه ! وعما إذا كان التمرد على العقل حنينا إلى «التعالي» أي حنينا إلى العقل نفسه ؟!

قلنا إن كراهية العقل، قديما، هي إعوجاج نفسي يتعين على الفلسفة الحقة أن تحفظنا منه، وعلى كل حال، ذلك ما ذهب إليه أفلاطون في محاورة الجمهورية ومحاورة فيدون. يرى أفلاطون أن الميزولوجية «النفور من العقل» يرجع إلى النقص في التعليم الفلسفي وتأثير السفسطائيين وأنصار هيراقليط . ثم إن تعلم الفلسفة قبل التهيئة، أي قبل قبول وجود الحقائق الثابتة هي مغامرة كبرى تفضي إلى الخلط بين الفلسفة والسفسطة فالإنتهاء إلى كراهية العقل. إن الإنسان الذي تلقى تربية تمجد الرياضة على حساب الموسيقى والفلسفة، يكره العقل ويتصف بالخشونة التي تجعله يعيش على هامش «المدينة» La cité بالمعنى الأرسطي لها . إنه شبيه بسكران فقد وعيه وهو لا يعرف من طرائق البرهان والإقناع سوى الإندفاع والعنف. يقول أفلاطون : «أعتقد أن مثل ذلك الإنسان يصير ميزيولوجيا، أي جاهلا لا يتكلم لغة البرهان والحجة ويتعامل مع الآخرين بالعنف والشراسة حيث تمر حياته كلها في جهل نائج عن قلة الرزانة » (1) . يكشف أفلاطون هنا عن ابتعاد الفلسفة عن العنف وتطابقها مع العقل والجد...

الظاهر أن الفلسفة لا تشك في العقل ذاته، وقد يحدث لها أن تفضح التشويهات التي تصيبه، ولم يتنكر أفلاطون أبدا لقيمة العقل ومكانته. إن غاية الإنسان هي التخلص من الحسي والسعي نحو العقلي، وتجدرالإشارة إلى أن السعي إلى العقلي لا يعني تقدما في المعرفة فقط، وإنما أيضا تقدما في تحقيق الذات وتحقيق الوجود، إذ لا فصل بين المعرفة والحكمة، بين الحكمة والحياة. وبهذا المعنى كانت الفلسفة اليونانية فلسفة عقلية.

نجد هاته الوحدة الصميمية بين العقل والحياة، مرة ثانية، عند كل من سبينوزا وهيجل، فالعقل مصدر التفكير الفلسفي وأساس التقدم التاريخي. وقد كان القرن الثامن عشرة بالنسبة للباحثين ومنهم ستاروبنسكي صاحب كتاب « 1789 أو شعارات العقل» قرنا للعقل. وبالرغم من أن روسو ينتقد العقل تمجيدا للعاطفة والإحساس، فإن فلسفته العميقة، لا سيم فلسفته السياسية كما يعبر عنها في «التعاقد الإجتماعي» هي دفاع عن العقل وشمولية العقل. تشكل الإرادة العامة أساس مجتمع التعاقد وشرط الحرية الحقيقية. وإذا ما حدث أن خرج الفرد عن الإرادة العامة طُرد منها. ثم عندما يؤكد روسو على أننا « بخضوعنا للكل لا نخضع لأحد»، فإنه بذلك يؤكد على قيمة الشمولية والكونية، وهي القيمة التي سيدافع عنها كانط على مستوى العقل العملي. نعثر في كتاب « أسس ميتاف يزيقا الأخلا ق » لكانط على قضية النفور من العقل، ويتعلق الأمر، مرة أخرى، بنفور يتعين على الفلسفة النقدية إجتنابه.



تأتي ظاهرة النفور من العقل، حسب كانط، من تقدير سيئ لدور العقل، فالذين غرقوا في النفور من العقل هم اليائسون بعدما ظنوا أن العقل قدرة تستعمل لبلوغ السعادة، لو كانت السعادة هي غاية وجود الإنسان لأعطت له الطبيعة الغريزة التي لا تخطئ!. إن النفور من العقل هو رد فعل عادي مادام الإنسان يجهل سببه. والحقيقة أن العقل لا يحقق السعادة وإنما يحقق الفضيلة، وإذا كانت الفضيلة هي« ما يجعلنا جديرين بالسعادة »، فإن العلاقة بين الفضيلة والسعادة ليست علاقة تحليلية كما ظن الرواقيون والأبيقوريون وإنما هي علاقة تركيبية. إن الإله الذي ينبغي التسليم بوجوده، وحده يسمح للإنسان الفاضل ببلوغ الخير العام أي توحيد الفضيلة بالسعادة (نقد العقل العملي 1) . يكشف النفور من العقل على المتاهات التي يقع فيها الإنسان الذي يجهل أهمية وأولوية العقل العملي، إن العقل موضوع الكراهية، هو العقل الأداتي وليس العقل العملي أي الكونية الحية التي تثلج الصدر وتغمره بالحب والجلال.

ليس النفور من العقل موقفا سلبيا مادام أنه يكشف عن المصير الحقيقي للإنسان ، آلا وهو المصير الأخلاقي، ومن هنا نفهم سبب دعوة كانط أحيانا إلى النفور من العقل دون أن تعبر دعوته تلك عن مجرد شعور كئيب أو نزوة حاقدة ، يقول كانط «نشاهد أن بقدرما يبحث العقل عن المتعة والسعادة بقدرما يبتعد عن الرضى، ها هنا السبب الذي جعل العديد من أنصار العقل يفرون منه ويكرهونه بكامل الصدق (...) وبهذا المعنى نعلم أن اليأس من العقل ومزاياه ليس تعبيرا عن شعور كئيب وعدم اكتراث بجلال نظام العالم وإنما يعبر ذلك اليأس عن فكرة مؤداها أن غاية الإنسان في الوجود هو شأن كبير ونبل عظيم » (2).

تسمح ظاهرة النفور من العقل بالفصل بين المتعة المبتذلة والرضى الحقيقي وبالتالي معرفة غاية الأنسان. إن الأمثلة التي أتينا بها من تاريخ الفلسفة مفيدة خصوصا وأن ظاهرة الهروب من العقل سوف تزداد و تتقوى في اتجاه نقد شمولية العقل، حيث بدأ يظهر أن شمولية العقل التي كانت رمزا للحرية صارت رمزا للقمع والسلطة. وقد حدث ذلك بسبب أن ظهور الذاتية مع ديكارت أدى إلى الصراع بين الشمولية والذاتية الذي تم إعادة إكتشافه من جديد.

حاول هيجل إزالة المفارقة بين الشمولية والذاتية وذلك عندما بين أن الذات والأهواء مكر للعقل وأن الشمولي يتجلى في الجزئي . ومع ذلك يظل هيجل، في هذه النقطة، قريبا من كانط ومن القرن الثامن عشر، بعيدا عن الحداثة التي تتميز أساسا بالنفور القوي من العقل والذي يتجسد عند كل من دوستوفسكي ونيتشه.

عندما يثور كيريلوف Kirilov ضد العقل والمنطق والحساب البارد فإنه يقوم بذلك دفاعا عن الحياة، ذلك لأن الحقيقة المنطقية لا ترضي سوي العقل العام وليس العقل الخاص، وربما ها هنا السبب الحقيقي في الثورة . إن التمرد على الكونية المميزة للعقل هو إثبات للوجود الخاص وللذاتية الفردية . كتب دوستويفسكي في مذكراته يقول : « نقبل أن العقل شيء عظيم ، غير أن العقل يبقى مجرد عقل أي أنه عقل يحقق رغبة الإنسان في المعرفة، لكن الإرادة أشمل من العقل فهي الحياة كلها، وأنا أطلب الحياة كلها بدلا من إختزالها في العقل فقط ». وسيظهر الصراع الحاد بين العقل والحياة في رواية «الجريمة والعقاب»، حيث يحاول ، راسكولينكوف Ras-kolinkov عبثا تبرير القتل باسم العقل .

نجد الثورة ضد العقل، في فكر نيتشه الذي يرى أن مهمة الفلسفة هي أن تضع حدا للدفاع عن العقل، ويبين في كتابه «هكذا تكلم زرادشت » أن المعركة ضد كونية الواجب الأخلاقى هي مرحلة ضرورية في تحقيق حرية الإنسان . وفي سياق نقده لكانط ، يثبت نيتشه أن أرقي درجة المثالية هي كونية الواجب، ويتعين على الفكر « الأسدي » الذي يطلق عليه زرادشت اسم «النفي المقدس » أن يتحرر منه . لكن من المعروف أن طريق التحرر طويل، حسب نيتشه .

إن الحرية التي ترفض القيم لا تزال حبيسة القيم التي ترفضها والفكر « الأسدي » عاجز على إثبات قيمه الخاصة، أي عاجز عن الإبداع . لم يصل النفور من العقل درجة حب الأرض، وكما قال أوجين فينك Eugen Fink : « إن التحرر من شيء ما ، ليس بعد، تحررا من أجل شيء ما ». ولكي يتجاوز « الأسد » مرحلة النفور من العقل، ينبغي أن يترك المكان للطفل، وبعبارة أخرى، ينبغي للمعركة ضد المثالية والعقلانية أن تفتح ا المجال لزرادشت لإبداع قيم جديدة . ولا شك أن أصالة الفكر النتشوى تكمن فى جعلنا في منآى من مرحلة الرفض والنفي والكراهية . لكن دوستوفسكي ، الدي أشرنا إليه سابقا، ربما شعر بضرورة « تجاوز» كراهية العقل . ألم يكن إنتحار كيريلوف تأدية لثمن كراهية العقل ؟.إن النتيجة المنطقية لنفي الإله والعقل هي نفي الحياة نفسها . وهكذا إن كراهية العقل التي نتجت عن الصراع العنيف بين الحياة والعقل ، بين الخالق والمخلوق إنتهت إلى نفي الحياة والقضاء على المخلوق نفسه .

ربما لم يفهم السورياليون وساد Sade درس دوستويفسكي وذلك حينما تمردوا على العقل والقيم . أم يجب القول إنهم إختاروا الإصرار على ضرورة الثورة ؟ إذا كنا نميل إلى أن نرى في موقف دوستوفسكي حكمة تفوق حكمة أبطاله، فإننا بالمثل، نرى في موقف ديكارت حكمة تفوق حكمة المدافعين المعاصرين عن النفور من العقل .

نستدعي ديكارت، لأنه، فيما يبدو، أول مفكر، وقف عند تأرجح الإنسان بين القدرة على رفض العقل و « المتعالي»، وبين ضرورة الكف عن ذلك الرفض .

من المعروف أن ديكارت الذي يثبت في التأمل الرابع أن حرية اللامبالاة تعكس أدنى درجة حرية الإنسان وتعبر عن عجز في المعرفة بدلا من إكتمال الإرادة، يثبت أيضا ، وذلك في نصوص أخرى لاحقة للتأملات وبالخصوص في رسالة موجهة إلى الأب ميسلان Mesland ، أن الإنسان يتمتع بالقدرة على نفي البداهة أمام حضور البداهة . إنها قدرة تميز الإنسان عن الحيوان والآلهة، غير أن الإله يتصرف بحرية كاملة من حيث هو خالق لقيم لا يمكن أن يرفضها.

يبدو أن إمكانية التمرد على الوجود ورفض القيم على النحو الذي وضحه ديكارت هو السبب الأساسي في ميلاد «النفور من العقل » المميز لحداثتنا ... غير أن ديكارت دعا إلى الحذر من خطر « النفور » من العقل . لا شك أن الإنسان يؤكد حريته برفض البداهة ، لكنه بذلك ينجر إلى العدم . وقد كان إختيار ديكارت واضحا حين إختار الوجود فعثر على الحرية النيرة التي تظهر في التأملات . يبدو أننا أهملنا «الموقف » الديكارتي واخترنا الفرار من العقل نشدانا للحرية والتي ليست سوى وهم يدل على الثورة ضد الأب أكثر مما يدل على حرية أصيلة.

نستطيع الآن، بعد هذه المعالجة، أن نقبل، دون عناء، أن العقل إرتكب جرائم كبرى، غير أن العقل كشف عن خبثها أيضا . وهنا ينبغي أن نميز بين العقل البرغماتي الذي يسعى إلى الهيمنة على الناس والعالم وبين العقل العملي، أي المعيار الأخلاقي الذي ينبغي للعقل البراغماتي الإمتثال له.

إن الحرية هي الأساس في الفرار من العقل، وليس الفرار منه مجرد إنحراف أصاب مسار العقل، وبهذا المعنى يوضح إريك فايل في كتابه « منطق الفلسفة» أن الإنسان يستطيع أن يرفض العقل أي أن يختار العنف : ذروة « اللاعقل » و « آخر » الفلسفة الذي لا يمكن لها أن تهمله، وهكذا يظهر أن النفور من العقل هو قمة رفض الفلسفة ، وهو رفض يتعين على الفلسفة أن تحتمله .

الهوامش :

1- الجمهورية ، الكتاب الرابع، ص 411 .

2- أسس ميتافيزيقا الأخاق ، موسوعة لابلاد، ص 253/254

* **عن كتاب:** La leçon de philosophie:
Equipe des rechercheurs, Ed Ellipses, Copy righ. 1993

الفخار صناعة نسائية:

بين رمزيته الأسطورية ووظيفته العملية

(2/1)

■ عبد الله هرهار

من خلال المسح الميداني لقرى مدينة ناهلة، تبين لي أن هذه القرى تتميز بنوع من التنوع والغنى فيما تنتجه، فكل دوار أو جماعة بشرية تختص في "صناعة" لا تزاولها بالضرورة الجماعة المجاورة.

فحال دوار زادرة يبرز تخصص نسائه في صناعة الفخار، أسعى من خلال جلساتي وملاحظاتي عرض صيرورة وسيرورة هذه الصناعة كاشفا عنها وعن ظروف أهلها، وما تبقى منها وآفاقها من خلال جدل الطبيعي-الاجتماعي- الثقافي وإكراهات اليومي. دون أن نحتاج من جديد للتأكيد على أن هذه الصناعة هي إبداع نسائي، وأن الخزف نتاج المدينة والفعل الإبداعي ابتكار إنساني.

1- زادرة دوار يحرسه اولياؤه:

عندما تدخل زادرة، فإن أول ما يستوقفك أولياؤه: سيدي إدريس، سيدي قشاش ثم سيدي أحمد المودن، الأول والثاني لم يحظيا ولو ببناء أو بقبة تميزهما وترفع من شأنهما لدى المارة، أما الثالث فمميز ومبني، ولكن ليس بدوار زادرة، بل بعيدا عنه بدوار "أغبال"، فوق جبل مطل على السد التلي لباب لوطا، غير أن بعده عن الدوار لا يعني غيابه عن أهل زادرة، فهم يستحضرونه باستمرار لأنه يشكل دعامتهم الفكرية والنفسية أو بكلمة واحدة إنه "جدهم".

يصنف أهل زادرة اجتماعيا ضمن شرفاء المغرب من خلال الانتساب للولي الصالح سيدي أحمد المودن، كما أن لهذا الولي في ذاكرة أهل زادرة والقبائل المجاورة، فضلا في وحدتهم والتحامهم، وفضلا في صناعة الفخار مصدر عيشهم، وباستثناء الذاكرة الجماعية الشفهية لا نجد ما يؤرخ لقداسة هؤلاء الأولياء ولكراماتهم وفضلهم وسلطانهم.

2-الأسطورة تؤسس لوحدة الجماعة ولصناعتها:

قبل أن نعرض للأسطورة وأهميتها في توحيد وتلحيم الجماعة، ينبغي أن نقف عند ما يميز دوار زادرة.

2-2- زادرة: الموقع والخصائص:

يبعد هذا الدوار بحوالي ثلاث كيلومترات عن المقر الإداري الحالي لجماعة الصميعة، وللوصول إليه يمكن أن تتخذ عدة مسالك: إحداها تقودك من الصميعة مرورا ب"حوط برغوت" فزادرة، أما المسلك الآخر فيمكن أن يتخذ طريق السد التلي "لباب لوطا" وتتوقف عند مدرسة "عين الغريب" وتتخذ اتجاه النهر، منحدرا، حتى تصل إلى الدوار.

قلت إن الوصول إلى الدوار يتم عبر مسالك وليس طرق معبدة، وهذه أولى المشاكل والعوائق التي يواجهك بها سكان زادرة، عندما تجالسهم.

عندما تكون الطريق وعرة، صعبة وغير معبدة، فهذا يتطلب من الناس هدر الكثير من الوقت والجهد والمال لقضاء أغراضهم داخل الدوار وخارجه، أما إذا كانت الطريق معبدة، وصالحة، فالعوائق السابقة تختفي أو تقل.

يتكون الدوار من حوالي أربعين عائلة، بنسبة سكانية تقدر بحوالي 294 فردا، وهم يشتغلون على فلاحة تقليدية بسيطة يحرثون قطعا صغيرة مجزأة، منحدرة، تغطيها أشجار الزيتون والخروب.

في سفح هذا الدوار يجري نهر زادرة الذي يظل الآن حيا بفضل ماء يتسرب من السد التلي لباب لوطا، والذي يزود مدينة تازة بالماء الصالح للشرب ولعل ما ربحه سكان زادرة من إنشاء هذا السد التلي هو كهربة دوارهم، وهم بذلك يعتبرون أنفسهم محظوظين مقارنة بدواوير أخرى قريبة من السد، ولم تستفد من الكهربة، كدوار باب لوطا، مازر، عين الغريب، عين الفوقي، أغبال، باب سوق الشجرة...

إن سكان زادرة ينعمون بمياه طالما يحسدون عليها، فهي تتوفر زادرة على عين بصبيب يبلغ حوالي 20 لتر في الثانية، إضافة إلى هذه العين الرئيسية تخترق الدوار عيون صغيرة وسواقي مائية ساهمت في انتشار نباتات وأشجار متنوعة كأشجار الليمون، والبرقوق والتفاح والعنب والإجاص وغيرها، وبجانب كل منزل يمكن أن تلاحظ أحواضا من الخضر المتنوعة غير أننا نلاحظ أن هذا التنوع النباتي لا يحظى باهتمام كبير ومعقلن من طرف السكان فهي أشجار ونباتات أقرب إلى التوحش والإهمال.

تحيط بدوار زادرة قبائل أمازيغية اللسان في معظمها باستثناء ما تبقى من قبيلة «بني مكود» التي كانت تستقر ب «وادي الجمعة»حيث هاجرت أغلب الأسر نظرا لإحداث السد الذي غطى معظم أراضيها.

سكان زادرة يتكلمون العربية الدارجة، ولكنهم يفهمون الأمازيغية ويتواصلون مع جيرانهم.

تعلن الجماعة المدروسة انحدارها وانتسابها الشريفي من والي جدها سيدي أحمد المودن، الذي يقام الإحتفال بموسمه بشكل غير منتظم، إن هذا الوالي يشكل سندا روحيا لأهل زادرة، فهم لكرامته حافظون، ولفضله ذاكرون، وللإساءة له رافضون.

تتأسس وحدة سكان زادرة حول الأسطورة، والأسطورة هنا تؤسس للجماعة ولوحدتها كما تؤسس لصناعة الفخار التي تزاولها النساء.

وعندما نستحضر الأسطورة هنا فلأنها وثائق تاريخية تبرر السلوك وتشرعن للسلطة وإسباغ الكمال المثالي على بعض الأجداد الذين أسسوا القبائل أو العشائر أو الدول "خلافا لما ظل البعض يزعمون لمدة طويلة من أن الأساطير والطقوس هي من نواتج " الوظيفة التخريفية " التي تدير ظهرها للواقع فإن القيمة الرئيسية لهذه الأساطير والطقوس تكمن في أنها تحفظ حتى أيامنا على شاكلة الرواسب والمخلفات أساليب من التفحص والنظر، (...) متكيفة تمام التكيف مع اكتشافات من نمط معين: وهي تلك الاكتشافات التي كانت تسمح بها الطبيعة انطلاقا من التنظيم والاستغلال النظريين للعالم المحسوس بصورة تعتمد على الحسي".(2)

2-2- الأسطورة الأولى: سيدي أحمد المودن الحارث بالسبع اجياد× بالحية(3)

يدعي أهل زادرة انتسابهم لجدهم سيدي أحمد المودن، الذي يتواجد ضريحه بدوار «أغبال»، المطل على وادي الجمعة حيث يوجد الآن سد باب لوطا، تحكي الروايات الشفوية أن للشيخ "كرامات" و "بركات"، وأشهر ما يعرف ويحكى عنه، أن أحد خدامه (مريديه) كان يتكلف بحرث أرضه، مستعملا في ذلك بهيمة وثورا، وذات يوم بعد انتهائه من عملية الحرث، توجه "بزوجته" (بهائم حرثه) إلى عين مائية، حيث كان يشرب الثور، فحضرت امرأة في أشهرها الأولى من الحمل فبدأت تنظر إلى الثور وهو مستغرق في شرب الماء، فقالت: يا ليتني أكلت أنف هذا الثور سمع المريد كلامه، وعند عودته إلى بيت شيخه أخبره بأمر المرأة الحامل، وطلب منه الشيخ سيدي أحمد المودن ذبح الثور بعد مناداة فلاحي الدوار، ثم أعطي للمرأة اللحم من كل أطراف الثور، فرد عليه المريد: إن فعلت هذا فبماذا سأحرث غدا؟ أجابه الشيخ: لا يهمك أمر الحرث، المهم أن تقوم بما أمرتك به، نادى الخديم فلاحي الدوار فذبحوا الثور، ليحضر اللحم للمرأة الحامل ، وعندما اقترب من بيتها بدأ ينادي: يا أهل البيت، فاستقبله زوجها وسلم له اللحم، فاستفسر الزوج في أمر ذلك اللحم، فبين له الخديم الواقعة بالتفصيل، وعند عودة المريد إلى بيت شيخه، ساله: هل نفذت ما أمرتك به؟ فقال له الخديم: نعم، فساله المريد: وما أمر الحرث غدا، ما دمنا قد ذبحنا الثور؟ فأجابه الشيخ قائلا: غدا صباحا، كما العادة، خذ بهيمتك، وتوجه إلى الحقل وهناك ستحرث بما جاءك، ظل المريد يفكر في لغز شيخه حتى الصباح، توجه ممتطيا دابته فإذا به يجد في الأرض التي قرر حرثها أسدا في "انتظاره"، انتابه الخوف فتذكر كلام شيخه، فقام فحرث بالأسد والدابة وحلت الأفعى محل «الجباد» ، فبدأ يحرث كما العادة، ثم عاد في المساء فأخبر شيخه بما حصل، فاستمرت العملية خلال الأيام الموالية، يحرث بالأسد ويستعمل الأفعى في الربط بينهما وبين المحراث والدابة الأخرى. ومنذ ذلك الوقت، تقول الأسطورة ،والناس يرددون لحد الآن كما يقول المستجوبون « **اسيدي احمد المودن، يا اجباد بالحية، اسيدي احمد المودن ابو برية، الحارث بالسبع، الجباد بالحية**»...

تكشف هذه الأسطورة كما تكرر عند قبائل أخرى (غياثة)، عن بركة الولي الصالح، وقدرته على صنع الخوارق، غير أن ما أريد أن أركز عليه من خلال الأسطورة هو «الفعل الثقافي» الذي تؤسس له الأسطورة، أن السلوك الذي يترتب عن هذا الفعل الثقافي هو احترام المرأة الحامل و «خدمتها»، في أشهر حملها، أنتروبولوجيا وأخلاقيا ينبغي تزويد المرأة الحامل بما تشتهيه وترغب فيه «ابتغاء للأجر» وتجنبا لتشوه الجنين من خلال الحرمان، فمن المعتقدات السائدة والمؤطرة للناس هنا، أن المرأة إن تمنت ورغبت في شيء (أكل) ما ولم تجده فإن هذا الشيء "المفقود" سيظهر على جسم طفلها عندما يولد على شكل «وشم» ويسبب له تشويها، لذلك نرى في الأسطورة أن الشيخ فضل ذبح الثور، استجابة لنداء المرأة الحامل، وكانت نتيجة تضحيته وإيمانه أن "أرسل" إليه أسد "مطاع" وقام مقام الثور المهدى للمرأة الحامل.

وإذا أردنا أن نسير أبعد من ذلك، فإن الأسطورة رمزيا تعيد الاعتبار للمرأة من خلال وضعها ودورها داخل المجتمع، فهي على الدوام مانحة (رمز الخصب والعطاء)، وعندما تصبح حاملا "يعاد" لها الاعتبار، إذ ثقافيا واجتماعيا نجد المجتمع يقدم خدمات للحامل، بل بل إنه «يعفيها» من القيام بالعديد من الأتعاب خاصة ما يتعلق منها بروتينية المطبخ. تزور النساء المرأة الحامل، مباركات ومرفوقات بأنواع من الأكل مهيأ لهذا الغرض، وبالمقابل فإن المرأة الحامل تنتظر فرصة حملها حتى تعيد الاعتبار لذاتها، فهي ترفض أن تأكل ما تصنعه يداها إنها تطلب وتشتهي، وتستقبل، رمزيا إنه نوع من إعادة الاعتبار للمرأة التي تمنح وتعطي دائما، وهذه مناسبة لتتلقى أيضا.(الأخذ/العطاء).

2-3-الأسطورة الثانية: "راني كنعطيكم فاش تتلهاو":

تحكي الأسطورة الثانية أنه كان لسيدي أحمد المودن، زوجتان شريكتان، وككل زواج متعدد، كان النزاع والصراع يحتد بين الزوجتين، وكان الزوج يفكر في أمرهما، يفكر فيما يشغلهما، وذات مرة كان عائدا إلى بيته فوجدهما حاميتي الوطيس، كان يتكئ على عصاه، فأشار بها إلى الأرض قائلا: "**راني كنعطيكوم فاش تتلهاو**"، مشيرا بعصاه إلى الأرض. بهذه "الدعوة" بدأت عملية الحفر، فجلب التراب، فصناعة أواني الفخار، بدأت النساء يشتغلن، فانتشر الخبر، وبدأت المنافسة، وتحول الصراع اليومين والمشادات بين النساء، إلى صراع حول لقمة العيش، والآن تقول إحدى المسنات "تلهاو عليك أقليل الجهد عمدا عليك اللي خانوه دراعو".

تستمد صناعة الفخار شرعيتها من الأسطورة التي تضع حدا للنزاع اليومي وتوجيه قوة العمل نحو الأرض والشغل.

يبدو من خلال هذه الأسطورة المشرعنة لهذا العمل، والمبررة له أن "صناعة الفخار" صناعة نسائية. فما المراحل التي تمر منها الحرفة؟ وما الأدوات والآلات المستعملة، ثم ما الأدوات المنتجة وما قيمة وأهمية هذا العمل بالنسبة لمنتجيه ومزاوله؟ وللمجال؟ ما آثاره؟ ما معاناته؟ ما تحولاته؟ ما رهانات ممارسيه؟

3- الفخار صناعة نسائية:

- بحثا في مراحل العمل وفي سيكولوجيته وعلاقته بالمجال:

"علمتني يداي، لم يعلمني أحد، لقد زاولت هذا العمل ما يزيد عن خمسين سنة، كنت أتابع أعمال النساء، ومنهن تعلمت، وتعلمت هذه الحرفة لأقتات منها أنا وإخوتي"

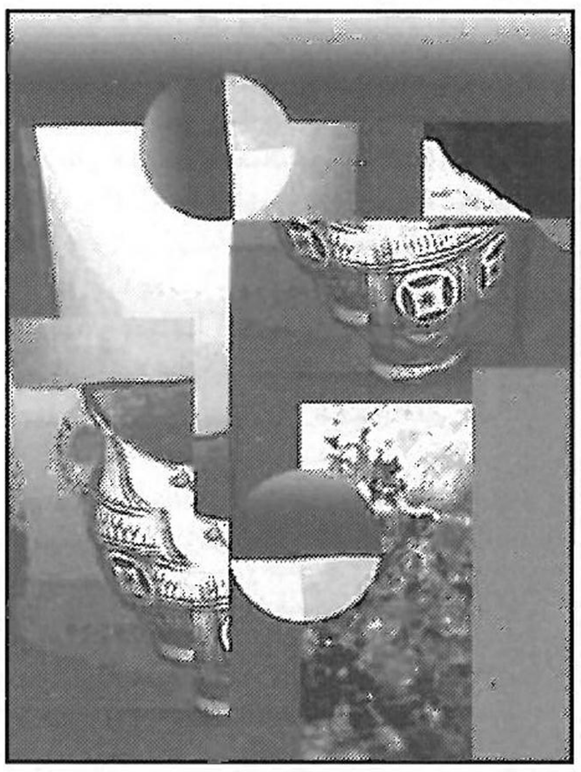
لعل هذه الشهادة من إحدى المسنات أقوى دليل للقول بأن المدرسة التي تتعلم فيها النساء مزاولة هذه الصناعة هي مدرسة الحياة فمن خلال المقابلات التي أجريتها، والشهادة السابقة، مثالها يتبين لي أن الحرفة تكتسب عبر الممارسة والاحتكاك، أي عبر العمل وإعادتهن حتى تصل الممارسة إلى الإتقان والجودة، كما أن الدافع ليس ترفا ولا لهوا، بل هو الحاجة، كما تؤكد الشهادة وكما سيتبين فيما بعد.

تضفي الأسطورة أيضا نوعا من "البركة" على هذه الصناعة، ويبدو لي من خلال الزيارات الميدانية التي قمت بها في منطقة تاهلة، أن دوار زادرة يختص فعلا في صناعة الفخار، أنه الدوار الذي كان يمنح ويوفر لقبائل آيت وريان الأدوات الطينية التي تحتاجها، ودوار زادرة جغرافيا واجتماعيا، غير منعزل عن الدواوير الأخرى بل يتماس معها، ويتفاعل بها، كدواوير عين الغريب مازر، عين الفوقي، وادي الجمعة، سيدي بوعيسى، آيت سغروشن...الخ، فلا واحدة من هذه الدواوير المذكورة تختص في هذه الصناعة اللهم إذا استثنينا قبائل غياثة وهي لا تعنينا في دراستنا هاته. وسبب الاختصاص هو "بركة الأجداد" كما تقول المتمهنات "جدنا هو الذي ترك لنا هذه البركة، أنه يكفينا هذا، إنها بركة نعيش بها، وعاش بها أجدادنا، عاش بها "قومان"...

هذا القول نجده يتكرر بصيغ متعددة، فكل جماعة تدعي انتسابها لجد مشترك "شريف"، وهو لدى جماعات بشرية أو قبلية وهو ما يشرعن معتقداتها وممارساتها، تبرير العمل هنا يتأسس على المقدس: (الانتساب إلى جد شريف)، أو الانتماء لجد مشترك هو سيدي أحمد المودن، وهو المانح لأبنائه بركة يعيشون بها، إن أهل زادرة يبررون عملهم بمنحة البركة من جدهم، وهم في الواقع لا يشكلون استثناء كما قلت سالفا، بل بإمكاننا أن نعرض لحالات كثيرة في نفس مجال الدراسة تنسب فيها الأفعال والسلوكات لجد شريف وهو المانح لبركة، (حالة العلاج التقليدي لبعض الأمراض بالمنطقة كما نلمس ذلك عند بعض العائلات) (كعلاج بعض الأمراض الجلدية، أو علاج السعر...) وبهذا التخصص في العلاج وفي الإنتاج، تغني التبادلات المادية والرمزية مجال الدراسة.

عندما نلاحق "التخصص" في الإنتاج، يتبين لنا أنه يؤدي وظيفة تكاملية-تبادلية وتوزيعية:

تعدد منتوجات المنطقة، وتتكامل عبر الانفتاح والتبادل والتوزيع بين القبائل والمجموعات فلا يمكن لجماعة بشرية أن تدعي الكمال فيما تنتجه أو تزرعه أو ترعاه إنها تحتاج لغيرها، رغم التمايزات الجغرافية والمسافات الفاصلة، وإذ أردنا أن نبرر هذا القول ميدانيا نقول إن زادرة تختص في صناعة الفخار، ولا تصنع لنفسها فقط، بل تصنع للسوق المحلي الذي تتوافد عليه القبائل والساكنة المجاورة، كقبائل آيت سغروشن، وقبائل الزراردة، فهذه الأخيرة مثلا تختص في صناعة الزرابي والمفروشات المنزلية الأخرى (الحصير، الحنبل الزربية...) وهي بدورها تزود السوق المحلي بمنتجاتها، وفي السوق المحلي يتم تبادل هذه الخيرات المادية، وإذا كان السوق الحالي يفرض التبادل بالقيمة المادية (مواد مقابل ثمن عيني)، فإن الممارسات/التبادلات السابقة عن السوق أو التي تتم بالدواوير إلى يومنا هذا تتم بالمقايضة



(الفخار مقابل الزرع أو الصوف...إلخ).

تقول إحدى المسنات: "نحن في الطين متخصصات، أما الزربية فليست صناعتنا، ولا حرفتنا، ولا توجد في الدوار امرأة تتقن صناعة الزربية، عندما نحتاج ذلك نتوجه للأسواق لشرائها".

من خلال ما سبق أكدنا على الطابع التوزيعي-التكاملي للخيرات المادية (المنتوجات) غير أنه لا ينبغي أن نغفل هنا أشكال أخرى من التبادل، فالتبادلات قد تشمل أيضا الخيرات البشرية (تبادل النساء مثلا)، فهل يوازي تبادل الخبرات المادية (أدوات، مصنوعات، حيوانات...) تبادل الخبرات البشرية (النساء)؟.

ما نلاحظه من خلال الدراسة، ومن خلال استنطاقنا للذاكرة الجماعية المحلية هو أن القبائل أو الجماعات أو العائلة التي تدعي انتسابها لجد مشترك/شريف كانت إلى حدود الثمانينات "تفضل" ألا تزوج بناتها لغيرها، بمعنى ترفض الزواج الخارجي ولكن ليس رفضا نهائيا ومطلقا، بل تتسامح في تزويج ذكورها من خارج الجماعة/العشيرة، في حين تفضل ألا تخرج فتياتها عن الدم/العشيرة، لكن ما حصل هو أن عدد النساء سيزداد، مما سيؤزم القيم المؤطرة لهذه السلوكات، وعندما تجد القيم نفسها في أزمة تضطر إلى التحول والانفتاح على الغير، إنها تحول ويعاد تشكيلها حتى تنسجم مع المعطيات الجديدة (أستحضر هنا حالة آيت لفرح-آيت يوسف وعلي...).

لنلخص في الأخير إلى القول بأن هناك فعلا توازي بين الخيرات المادية والبشرية والرمزية.

الهوامش:

(1) كينيت: أي سلفر: خزف..وسياسة...وفردوس. ترجمة محمد الأسعد، مراجعة زهرة أحمد حسين مجلة الثقافة العالمية. العدد-105 أبريل 2001،ص:189.

(2) كلود ليفي ستراوس: مقالات في الأناسة، اختارها ونقلها إلى العربية، حسن قبيسي، ط1، 1983، دار التنوير، ص33.

(3) نفس الأسطورة نجدها عند قبائل غياثة، ومع الاختلافات الطفيفة في الرواية، انظر: ميكاييل ماركوس: الشرفاء ضد الطلبة: القداسة والتغير الاجتماعي بمنطقة غياثة لشرق المغرب، ترجمة وتقديم أحمد الصوان اشعبان، نشر بجريدة الاتحاد الاشتراكي2000/04/16، غير أن الرواية التي يوردها ماركوس لا تعني سيدي أحمد المودن بل تعني وليا آخر هو سيدي أحمد بن أحمد (أومحامد) تقول الأسطورة:"حدث ذلك في فصل الربيع، فقد كان له خماس يقوم بالحرث كل يوم، وفي المساء يقوم بسقي المزرعة، ذات يوم جاءت امرأة حامل إلى مكان الحرث فشاهدت الخماس وهو يقوم بالحرث بثور مربوط إلى المحراث، وقالت مع نفسها: "ليتني أستطيع الحصول على بعض لحم ذلك الثور، ولما عاد الخماس في المساء، خاطبه الولي الصالح قائلا: يا خماس، اذبح ذلك الثور وقدم لحمه لتلك المرأة التي صادفتك، إنها بعافية وحينما تتناوله سوف تشفى، فاحتج الخماس قائلا: ولكن بماذا سنحرث إذن؟ أجابه الولي: اذهب فبين اليوم والغد يفرج الله. وهكذا ذبح الثور، وقدم لحمه لتلك المرأة، وفي اليوم الموالي ذهب الولي الصالح عند الخماس وقال له: قم واذهب للحرث وما تجده هناك تربطه إلى المحراث، وعندما ذهب الخماس وجد أسدا مستلقيا قرب المحراث، فخاف وهرب، لكنه سمع صوت الولي يناديه: إذهب يا ضعيف الإيمان، إذ هب واربط ما تجده بالمحراث، ففي المساء سيعود من حيث أتى. وهكذا ذهب الخماس وربط الأسد إلى المحراث بثعبان وجده هناك أيضا، واستأنف الحرث، وحينما بلغت الأخبار إلى أهل الوادي وبني إيجن أحضر هؤلاء ثورا للولي الصالح، فخاطبهم قائلا:" يا بن إيجن إن شاء الله لن تفقد ثيرانكم قوتها أبدا"، كما أحضر أهل الوادي بقرة فخاطبهم قائلا أيضا:« يا أبنائي لن تفتقدوا أبدا للبقر». وهكذا عاد الأسد إلى الغابة وأتم الخماس الحرث بالثور الذي أحضره بنو إيجن.

× الجباد: حبل يستعمله الفلاح أثناء الحرث، للجمع بين الدابتين. ففي الأسطورة عوض أن يستعمل الفلاح/المريد الحبل استعمل افعى وجدها مكان الحبل المعتاد.

قصيدة

شيء من بوح التسكع



تخلع المدينة
أزرار جلدها للوافدين
من مدن الظمأ والملح
تمهلهم مهلة ماء
تدلى من أيقونة العشق
فلا يتذكرون أزواجهم،
فنعمة من باب الخصيب
تطول الإقامة بلبق الاستعطاف
فيستوزرون على بيادر الكمثار
ليلة واحدة وتضجر البلاد
وتؤود طاحونة العباد
ومعاصر الزيت جسدنا المرمد،
فأي موج أزرق يبادرنا السلام
أو بوح يبادلنا الكلام
قلق يسكن رئة البحر
ونسكن التوغل في هشيم الجسد
هو النزوح إلى التسكع
منذ أن لم تحتملنا معاطفنا
التي لم تستسغ أجسامنا
المنهكة بحرقة الشمس،
ننزح، نهرب، وتصطحبنا المدينة
تاركة شغب التدلل على حافة الدلو،
هي الحسيمة بلا غنج مكترث
أو طقس مستظرف
هي الحسيمة بورطة مبصومة
بلعنة مقدسة
قد تجيء زلزالا...
تمردا...
وأسئلة...

محمد أسويق

رسالة

أكثر من حبك.. لا أريد

إهداء: " إلى كل الذين أحبهم "

■ غزلان

ها نحن نشهد ولادة تاريخ جديد لا ينتمي لأي زمن ولا تقيده أية تقاليد ولا تولد بعده عصور الفواجع.

نشهد معا انسجام المنطق والمشاعر توافق الرغبة والشعور تزاوج المستقبل والذكرى...

نشهد معا انبلاج فجر تاريخ عظيم، لا يصنع من اليوم أمسا ولا من العطاءات أخذا.. تاريخ ولد من رحم الأمل! تاريخ اسمه العشق الذي أكنه لك...

فارسي.. أخيرا حلت العاصفة صغيرة ناعمة بين شرايين الفؤاد فأدمنت التسكع في مدن العشاق أجوب بقربك كل شوارع الهوى وجل أحياء العشق..

أخيرا تنفلت مني مشاعري لتغوص معك في أعماق الجنون فنكرر قصص قيس وليلى عنترة وعبلة، روميو وجولييت، وكل من اشتعلت شعلتهم وتوهجت ولم تنطفئ!!

أخيرا بدأت أحيا لحظات وردية وعدتني بالكثير. أسافر معك إليك لأكتشف جغرافيا مشاعرك وكلاسيكية كلماتك ودفء عيونك العسلية...

أخيرا أرى بوضوح أنه في خضم فوضوية العالم وازدحامه، فلا رجلا لي هنا سواك، ولا امرأة لك هنا سواي...



قصة

الأم... الأرض والجنون

حينما ترجع بي الذاكرة إلى أيام طفولتي وأنا حبيسة حضن أمي التي لم تكن تسمح لنسمات الهواء بمداعبة وجهي حبا وخوفا علي؛ لأنني لا أمتلك القدرة على معرفة الأشياء كما يحسن..

وعندما نزلت إلى معترك الدنيا ومجاهل الحياة رأيت وجوها كثيرة، لكن وجه أمي ظل الأقرب إلي، كانت ترمقني بنظرات الحب الذي لا يعرف الحدود لمولودة تنتظر المستقبل المجهول وتدخله من أبوابه الواسعة...

...وخرجت إلى الحياة، وألفيت أمي تساعدني وتسهر على راحتي، وكانت لا تترك شيئا تستطيع تأمينه إلا ووفرته لي؛ لأنها تترجم دوما ألا تجعلني أحتاج إلى شيء ما... كانت تضمني إلى صدرها إذا رأتني متعبة أو مريضة، تبكي بحرقة...

وكان بكاؤها أحيانا يجعلني أستهزئ بالألم الذي يتملكني، وأحاول مقاومته لا لشيء سوى منعها من البكاء لأجلي.

أنظر إلى أمي وقطرات العرق تزين جبينها وتنساب منه منحدرة على وجنتيها اللتين تشعان نورا، فتمتزج فيهما ألوان التفاح الجميلة..

أيام...

كبرت.. وتجاوزت طفولتي وبراءتي

رأيت الدنيا وما فيها، ولم أعرف غير صدر أمي ملجأ لي في النائبات، فوجه أمي وحضنها لا يعرفان الروتين.

أحلام حميش

قصة

كأننا سعداء للغاية

■ أمينة بودرج

كانت سماؤها تطل كل صباح بنفس الخطوط المسلوكة ، بنفس الناس ونفس الأرزاق. كل شيء في محله ثابت، وسيظل كالجحيم ثابتا حتى لو عصفت به الرياح.أضافت لتختم قصتها هذه الكلمات: "عندما تنطفئ شمعتنا في العراء المظلم تخدعنا الهزيمة، فإما أن نَقْتُلَ أو نُقْتَلَ أو ننسحب!".

من البداية أعادت قراءة ما كتبته:

كانوا واقفين بمواجهة الجدار المنخفض قليلا، خالد يمسك الأعمدة الفولاذية بقبضتيه ، فيما يقفز فؤاد ليقف فوق الجدار ككل المرات، وقد يلوح بيده أحيانا دون أن يشعر بالمسافات، ثم ينتظر أن يبادره المسافرون الذين يتخيل أنهم يشاهدونه كما يشاهدهم. لا يتلقى سوى قهقهات أصدقائه المحيطين به، وبعد ذلك... تتحرك الباخرة لتغادر الميناء...

في هذه المدينة الصغيرة التي يملؤها الحب، ويقتلها الصمت كل يوم في غموض لا يفهمه إلا القليل منا، كان الناس يتوافدون على مختلف الأماكن المطلة على البحر، ينتظرون مشاهدة أول باخرة للمسافرين في تاريخ المدينة الصامتة الحديث. ولكن... سرعان ما اختفت ليعود الصمت والفراغ، فقد كان نفيرها القوي يملأ المدينة، وأحلام الناس والبحر، وكل شيء... كل شيء..

جلس الإثنان على عتبة:

ليس من العدل أن نُقْتَلَ هكذا كل يوم في صمت يضج بالغموض؛ إنها حياة إنسان... إنسان... ألا يفهمون المعنى؟ أم يتجاهلونه؟!! لقد حاولنا غسل هذه النفس من كل شيء، لكننا لم نستطع. قبل ذلك، في مغامرة سابقة، جرنا اليأس إلى أبعد الحدود.

خرجنا من المبنى خاليي الوفاض، نزلنا السلالم ساحبين وراءنا الخيبة والفراغ. كان بإصبعي جرح يتقطر كلمات كلما نزلت خطوة، بقليل من الخوف، نمسح بأعيننا لأبواب المغلقة التي تحرس وراءها الدفء والأمان...نحس بالغيرة وبمزيد من العنف. لم نجد ما يصلح للسلب رغم تخطيطنا للموضوع. قال لنا علي بأن المنزل الذي قصدناه يشبه القمامة، فانفجر فؤاد ضاحكا... كأننا سعداء للغاية.

كانت الثالثة بعد منتصف الليل.. صمت تام ،غامض وموحش.. أصوات أحذيتنا، بعد فشلنا، تكاد تأتينا بالهلاك. لقد فشلنا، ربما، لأننا لم نحسن اختيار المكان.

فؤاد هو من يخطط للموضوع. سألته ذات مرة ألا يخجل من نفسه، فكان له كل الحق في أن يجيبني بالقهقهة. بقوامه الطويل، وبنيته الممتلئة، وبشرته السمراء... يبدو لصا حقيقيا.

كلنا نبدو كذلك!

لا نتحرر من جحوظ العينين، ولا من لقب أبناء الشارع. هذه هي الحياة التي لا تنجب. نبيت في الشارع ونصحو فيه. نمضي اليوم كله نمر على الدروب، نتفحص الأبواب، والمنازل والممرات. تسقط في بالنا ألف فكرة شيطانية، ولا نتراجع حتى يسقط الليل البارد بالعراء المعتاد.

عندما تنطفئ شمعتنا في العراء المظلم تخدعنا الهزيمة، فإما أن نَقْتُلَ أو نُقْتَلَ أو ننسحب!

عادت تكتب من جديد، بعدما شطبت على السطر الأخير:

عندما أفكر في الوطن، في الواقع الفاشل، أنهار، أعرق، تضيق بداخلي الحقيقة، فأحاول أن أهرب إلى أية فكرة شيطانية أخرى.

دفعت ثمن أخطاء الآخرين، فكل واحد منا له قصة خاصة، أنا مثلا لم أعرف يوما أمي، ولا أحاول أن أتخيل ملامحها، فلم تعد تهمني.. الآن أصبحت معتادا على الفراغ الذي يطبطب على كتفي في كل ليلة باردة...

مؤسسة عبد الكريم الخطابي تنظم ندوة دولية حول:

لجوء محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى القاهرة: الأبعاد والدلالات الوطنية والدولية

الورقة التقديمية:

إن مقاومة ثقافة النسيان، وإضاءة زوايا من تاريخ المغرب المعاصر التي بقيت في الظل، والإشادة بصانعيها سيدعم، مما لاشك فيه، الذاكرة الوطنية المشتركة، ويعمق الثقافة الجماعية للمغاربة، ويعزز روح انتمائهم التاريخي والحضاري، ويعمل على ترسيخ قيم المواطنة، وتفعيل الممارسات الديمقراطية.

ومن تلك الزوايا التي لا تزال مغمورة في الربائذ(الأرشيف)، أو في ذاكرة بعض الرجال، ولا تذكر إلا عرضا، لحظة لجوء محمد عبد الكريم الخطابي، قائد الحرب الوطنية التحررية في الفترة الممتدة من 1921إلى 1926، إلى مصر يوم 30/05/1947، بعد 21سنة من المنفى في جزيرة لارينيون.

وغير خاف أن واقعة لجوء عبد الكريم الخطابي إلى مصر، حدثت في ظرفية تاريخية تميزت بالتحولات الكبرى في الظاهرة الاستعمارية: فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، فمن جهة كانت هناك محاولات فرنسية لاسترداد هيبتها التي فقدتها في انهيارها السريع أمام ألمانيا، ومن جهة أخرى كان لا بد لها من الحفاظ على مستعمراتها بأي ثمن. في الوقت الذي أخذ فيه الوعي الوطني التحرري والاستقلالي يتقوى وينتشر في جميع المستعمرات.

وتذكيرا بهذه الظرفية وتفاعلاتها، واستحضار للحظة استرجاع ابن عبد الكريم الخطابي حريته بقبول مصر استضافته، وتأثير ذلك على العمل الوطني، ليس في المغرب فقط، بل في مجموع الشمال الأفريقي ومنطقة المشرق وكل البلدان التواقة إلى الانعتاق من النير الاستعماري، كما تشهد على ذلك مذكرات زعماء وطنيين. واعتبارا لتاريخ 30مايو 1947 واحتفاء بذكرى أنوال الموافقة ليوم 21يوليوز 1921تعتزم مؤسسة عبد الكريم الخطابي بالتعاون مع مجموعة من المؤرخين والباحثين والإعلاميين والفاعلين من المجتمع المدني، تنظم ملتقى دولي تحت عنوان "لجوء محمد ابن عبد الكريم الخطابي إلى مصر: الأبعاد والدلالات الوطنية والدولية" في مدينة الحسيمة أيام 22- 23-24يوليوز 2004.

وإن اقتراح مدينة الحسيمة لاحتضان هذه التظاهرة العلمية والتاريخية يهدف إلى إبراز مكانة شهداء المغرب، في الذاكرة الوطنية، والإشادة بمدى التلاحم بين مراحل الكفاح الوطني الذي أدى إلى استرجاع المغرب لسيادته واستقلاله، والتعبير عن أواصر التضامن مع سكان منطقة الريف، وبخاصة إقليم الحسيمة على إثر الزلزال الأخير ليوم 24/02/2004.

وانطلاقا مما سبق، تقترح اللجنة العلمية أن يتمحور هذا الملتقى حول العناصر التالية:

1.الظروف الجيو-سياسية لنقل الخطابي من لارينيون إلى فرنسا ولجوئه إلى مصر.

2.موقف الاستعمار الفرنسي والإسباني من استرداد الخطابي لحريته، وانخراطه في العمل الوطني من جديد ضد الاستعمار.

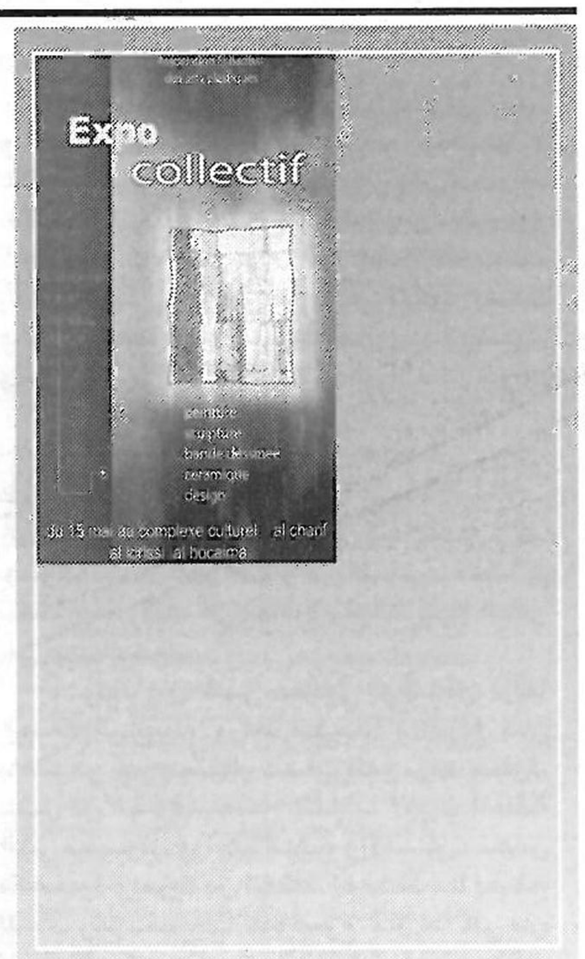
3.من "مكتب المغرب العربي" إلى "لجنة تحرير المغرب العربي" أو تجديد استراتيجية تحرير الشمال الأفريقي.

4.موقف عبد الكريم من مشاريع الاستقلال لبلدان المغرب الكبير.

5.شهادات لشخصيات عاصرت وعايشت الأحداث.

تتكون اللجنة العلمية من الأساتذة:

ذ/ زكي مبارك - ذ/ ميمون الشرقي- ذ/ علي الإدريسي- ذ/ عبد السلام الغازي-ذ/ أحمد الحمداوي- ذ/ رشيد الرخا



ملصق «جمعية الباحسني للفنون التشكيلية بالحسيمة» بمناسبة المعرض الذي تقيمه بالمركز الثقافي «الشريف الإدريسي» بالحسيمة بدءا من 15 ماي 2004 بمشاركة مجموعة من الفنانين المبدعين بالمدينة.

برنامج قافلة "شمس" السينمائية

تضامنا مع ضحايا ومنكوبي زلزال الحسيمة، تعتزم جمعية "نادي بادس للسينما" بالحسيمة والجامعة الوطنية للأندية السينمائية بتعاون مع المركز السينمائي المغربي تنظيم أسبوع السينما المغربية بالحسيمة والمناطق التي ضربها الزلزال تحت شعار: "قافلة شمس"، ودلك ابتداء من يوم الإثنين 24-05-2004 إلى غاية 30-05-2004، بحضور مخرجين وممثلين ونقاد وممثلي الأندية السينمائية من المدن النغربية الأخرى. فمن المخرجين سيحضر كل من سعد الشرايبي ومحمد إسماعيل، ومن الممثلين رشيد الولي وسعيد الناصري وفركوس وهشام موسون، أما الممثلات فسيكون حضورهن من خلال نعيمة المشرقي ومنى فتو وسمية أقريو وثريا العلوي. وستحضر الفكاهة في شخص الكوميدي المشهور جمال الدبوز...

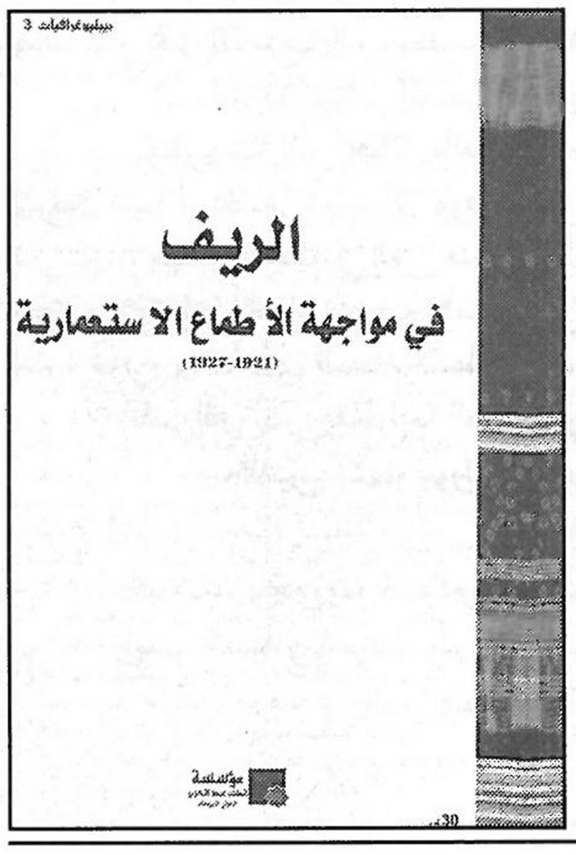
تقدم العروض بقاعة غرفة التجارة والصناعة والخدمات بالحسيمة كل يوم ابتداء من الساعة السادسة والنصف مساء. والأفلام هي على الشكل التالي:

- كيد النساء: فريدة بليزيد.
- نساء ونساء: سعد الشرايبي.
- فيها الملح والسكر: حكيم نوري.
- وبعد: محمد إسماعيل.
- علي زاوا: نبيل عيوش.
- البانديه: حسن بن جلون.
- مبروك: إدريس شويكة.

تعقبها في اليوم التالي على الساعة العاشرة صباحا مناقشة الأفلام وعروض وندوات سينمائية (السينما والتنمية)، (الصناعة السينمائية)، (النقد السينمائي)، (السينما والكوارث الطبيعية). كما سيستفيد منشطو الأندية السينمائية بالمؤسسات التعليمية من دورات تكوينية في التنشيط السينمائي وكتابة السيناريو والتوثيق والبرمجة بمقر الأكاديمية وقاعة علي بن حسون، وستقدم عروض خاصة بالأطفال (علي زاوا) بقرية الأطفال بإمزورن وقاعة الأفراح بالحسيمة، وقاعة المعهد الإسباني بنفس المدينة... أما البروادي فسيقتصر فيها العرض على الأماكن التي ضربها الزلزال بعرض أفلام كوميدية ترفيهية بكل من أجدير، إمزورن، آيث قمرة وإمزورن...

عبد السلام اللوزي

الريف في مواجهة الأطماع الإستعمارية (1921-1927)



ضمن سلسلة "بيبليوغرافيات/ع"3، صدر عن مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء كتاب قيم للأستاذ الباحث مصطفى اللوه يحمل عنوان: "الريف في مواجهة الأطماع الإستعمارية ("(1927-1921، وهو يتشكل من قسمين، أولهما باللغات الفرنسية والإسبانية والإنجليزية والألمانية والإيطالية والبرتغالية والروسية، ويغطي 181صفحة تتضمن ما مجموعه 1397مرجعا، أما القسم الثاني فقد خصصه للغة العربية ويغطي 56صفحة تتضمن 272مرجعا. وقد صدر المؤلف هذه البيبليوغرافيا الثمينة بكلمة تقديمية أبرز فيها، بتركيز، الإطار العام للمرحلة التاريخية التي يغطيها الكتاب (1921/ 1929)، كما بين فيها هدف هذا الفهرس البيبليوغرافي المتمثل في "الإحاطة بالكتابات التي صدرت حول محمد بن عبد الكريم"، وأشار إلى أنه " لا يغطي الفترة الممتدة بين 1921و 1926فقط، وهي الفترة التي تعاقبت فيها أحداث الحرب، بل يحتوي على مراجع ومقالات تتناول جذور حرب الريف وعلاقات عبد الكريم الأب مع الإسبانيين إلى غاية 1920، فضلا عن النشاط السياسي لمحمد بن عبد الكريم الخطابي أثناء الفترة التي قضاها بالمنفى من 1926إلى 1963، السنة التي توفي فيها بالقاهرة. كما يتضمن المؤلفات التي تناولت مضاعفات الحرب وانعكاساتها في كل من المغرب وإسبانيا وفرنسا، وكذلك في بلدان أخرى كتونس ومصر". ومن جهتنا نشد بحرارة على أيدي الباحث لما أسداه من خدمة جليلة للباحثين والطلبة المهتمين بتاريخ منطقة الريف خاصة وتاريخ المغرب عامة، علما أن هذا المجال لازال يشكو من قلة المراجع أو عدم تيسرها وصعوبة الوصول إليها. فتحية صادقة بانتظار إصدارات أخرى.

صوت الاختلاف

«كلنا أمريكيون» ...؟

إن الصور الفظيعة التي تناقلتها وسائل الإعالم في الأشهر الأخيرة: قتل أمركيين وتعليق جثثهم على أسلاك كهربائية، تصوير عملية نحر أمريكي التي تهافتت القنوات التلفزية على نقلها، تعذيب سجناء عراقيين بالأشكال الأكثر سارية ووحشية، إغتيال الزعماء الزعماء السياسيين الفلسطينيين (ياسين، الرنتيسي، وآخرين) باستعمال أحدث الوسائل التكنولوجية... إن هده الصور وغيرها كثير لم تصل إليها وسائل الإعلام أو لم ترد بثها يجعلنا نوافق إدوارد سعيد حينما يصف هذا النوع من الصراع بكونه صراع جهالات لا صراع حضارات كما يدعي البعض (هنتغتون) . وهذه المشاهد يجب أن تستوقف العقل - كما استوقفت القلب - للبحث عن الإجابة لهذا السوال المنتصب : لماذا يصر الغرب - الذي تقوده أمريكا - على إبادة شعوب العالم أو استعبادها وهو الذي يرفع شعار الحداثة والعقلانية والديموقراطية وحقوق الإنسان؟

تلمس عناصر الجواب تقتضي، في نظري، الحفر الأركيولوجي في فكرة الغرب كتاريخ وليس فقط كجغرافية، والذي يمتد من اليونان الإغريقية إلى أمريكا الإمبريالية. والثابت خلال كل هذه المرحلة هو عدم الإعتراف للآخر بالحق في المساواة. ففي أثينا ذلك العهد لم يكن كل السكان لهم الحق في تسيير شؤون المدينة، وخاصة الأجانب، وهذا الرفض للآخر سيتم التأسيس له نظريا في الأزمنة الحديثة، فهذا ديكارت يرى أن لا حاجة لوجور الآخر، أما هيغل فيرى أن الآخر ضروري لكي يكون عبدا (جدلية السير والعبد)، ويذهب نيتشه أبعد من ذلك حينما يرفض الأخلاق ويدعو إلى سيادة منطق القوة (إرادة القوة والسوبيرمان). لذلك فافلسفات الرسمية في الغرب هي الوضعية التي تعني أن الحقيقة توجد فقط في العلم لأنه يمكن من السيطرة على الطبيعة (العلم الطبيعي) وعلى الإنسان (العلم الإنساني)، ثم البرغماتية التي تعني أن الحقيقة هي بنت المصلحة وأن كل الوسائل مشروعة إذا كانت تحقق الهدف . ولا غرابة أن نجد أغلب مفكري عصر الأنوار يلتزمون الصمت ، إن لم تكن المساندة الصريحة تجاه ما اقترفته القوى الإستعمارية بالأمس (إقرؤوا تودوروف لتتأكدوا) ، ونفس الشيء يفعلونه الآن، أولم يرفعوا شعار «كلنا أمريكيون» ؟

فمن هي أمريكا التي تقود جوقة الغرب لتغني سمفونية الإمبريالية؟ إنها - والتعبير لمنير العكش - فكرة مبنية على إبادة الآخر. إبادة الهندي الأحمر بالأمس واقتلاعه من جدوره الضارب عمقها في التاريخ بدعوى توحشه وكونه لا يستحق أن يكون إنسانا، واليوم إبادة الفلسطيني والعداقي... وكل من يقف ضد مصلحة أمريكا فهو إرهابي لا يستحق معاملته بشكل إنساني سواء في «غوانتينامو» أو في «أبو غريب» أو غيرهما من سجون أمريكا . إن الأمريكي المتشبع بهذه العقيدة ينظر إلى نفسه كراعي البقر ويمثل محور الخير، أما كل الآخرين فهم هنود حمر، وإن إختلفت تسمياتهم، يمثلون محور الشر.

لكن هل يعني هذا أن الغرب هو وحده من يتحمل المسؤولية في هذا الإنحطاط الذي يشهده العالم ؟ الأكيد أن هناك أطراف أخرى لها لها قسط من المسوولية، لأنها تسعى إلى مقاومة الغرب وتقدم نموذجا لا يختلف في الجوهر عن النموذج الغربي (دونية الآخر، وحدة الحقيقة ...)، وما تقوم به هذه الحركات المناهضة للمشروع الغربي للسيطرة على العالم ينبغي تفسيره - لا تبريره - كرد فعل، وبالتالي لا يمكن المساواة بين الفاعل والمنفعل.

إن مقاومة المشروع الغربي هو فرض عين على كل إنسان في الشرق كما في الغرب، ولعل ظهور الحركات المناهضة للعولمة في كل مكان يحمل في طياته بارقة أمل لإعادة الإعتبار للإنسان بدل إبادته، وهذا يقتضي التخلص من شرنقة كل الإديولوجيات والهويات المنغلقة التي تزرع الحقد والكراهية بين الناس، ومعانقة أفكار الإختلاف والتسامح التي تؤسس لعالم تسوده قيم العشق والحرية والمسؤولية في علاقة الإنسان بذاته وبالآخرين وبالطبيعة.

رشيد المساوي

ملاحظات أولية ومقترحات حول

محاربة الأمية بالأمازيغية

تختلف وضعية محو الأمية بالعربية عن وضعية محو الأمية بالأمازيغية في المغرب ، ولهذا من الواجب أن تختلف أيضا مسالك محو الأمية بالأمازيغية ومقاربتها المنهجية عن مشروع محو الأمية بالعربية التي ابتدأت منذ سنوات على مستوى الجمعيات الثقافية، وعلى مستوى المؤسسات الرسمية التابعة للدولة، وتتحدد محاور الاختلاف بين المشروعين ضمن وضع اللغتين الأمازيغية والعربية في المغرب، مع أننا نعتبر أن توضيح عنوان المشروع هو المدخل الرئيس للخوض في تفاصيل التجربة ومسالكها المنهجية.

– **محو الأمية الأمازيغية:** نعتبر أن تحليل الموضوع المقترح أسبق من مناقشة المسالك والمستهدف في عملية محو الأمية ، ذلك أنه توجد في بلادنا وللأسف أمية أمازيغية ، ومعناها جهل قطاع عريض من المواطنين المغاربة من مختلف الأعمار ، ومن مختلف المستويات الجنسية والمهنية والجهوية باللغة والثقافة الأمازيغيتين، ولست في حاجة إلى التذكير بأسباب هذا الجهل ، لأن هذا المقام ليس مجاله، ولو أن عنوانه العام هو إبعاد الأمازيغية عن التداول المؤسساتي ، والنظرة التنكرية والدونية، التي جعلت بعض العالمين والعارفين بالأمازيغية يتنكرون لها ويتظاهرون بالأمية فيها مخافة النعت بالدونية، لكن ما يبقي فسحة الأمل مشروعة ، هو ذلك الإنتشار الكلي للدارجة المغربية في كل أنحاء الوطن وبدون استثناء ، وبما أن الدارجة المغربية هي مجال توارد بين اللغتين العربية والأمازيغية كما بين ذلك كثير من الباحثين من داخل المغرب وخارجه، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الدكتور محمد شفيق والدكتور محمد المدلاوي المنبهي، وذلك لما تحمله الدارجة المغربية من بنيات اصطلاحية ونحوية وصرفية أمازيغية، يمكنني القول بناء على ذلك إن الدارجة المغربية أمازيغية من الدرجة الثانية، وهنا تكمن أهمية الدارجة المغربية في محاربة الأمية بالأمازيغية ، وليس هذا القول استخلاصا نظريا ، بل هو نتيجة من نتائج التجربة التي خضتها في محو الأمية بالأمازيغية، حيث كانت الدارجة المغربية هي الرافد والشارح والمعين لي في محو الأمية بالأمازيغية، وهي التجربة التي خضتها مع مثقفين وستكون لنا وقفة معها في موضعها، وسنفصل القول في هذا العنصر ضمن محور المستهدفين في عملية محو الأمية.

– **محو الأمية بالأمازيغية:** وهي المرحلة الثانية في مشروع محو الأمية ، وفي هذه المرحلة تقف اللغة الأمازيغية باعتبارها جسرا وأداة لمحو أمية الناطقين بالأمازيغية، وهذه المرحلة تستهدف أساسا الناطقين بالأمازيغية الذين لا يجيدون القراءة ولا الكتابة، وسنكون في هذه المرحلة قد تجاوزنا أهم عائق وهو عائق النطق والفهم، لنصل إلى مستوى القراءة والكتابة، ومجال اشتغال هذا المشروع هو البوادي والمدن المغربية التي ما زالت محافظة على بنيتها اللغوية الأمازيغية ومدلولاتها ومتعلقاتها المعرفية العامة ولو لم تصل هذه المتعلقات المعرفية إلى مستوى الكتابة والقراءة ، وبقيت في مستوى الذهن والفهم فحسب.

أمام هذين المستويين تطرح علينا أسئلة المسالك المنهجية في كل منهما، وتطرح أسئلة المعيارية في اختيار المستهدفين الذين يمكنهم الاستفادة من مستويي المشروع الذي يعتزم مركز البحث الديداكتيكي والبرامج التربيوية لمحاربة الأمية والقيام به مع التنبيه أن عنوان الحملة التحسيسية الذي قدمه مركز البحث، لا يلامس إلا المستوى الثاني الذي أشرنا إليه هو " محاربة الأمية بالأمازيغية "، كما قرأناه في الرسالة المشكورة التي توصلنا بها في جمعية زيري بن عطية بوجدة.

فئات المستهدفين من مشروع محو الأمية ومستوياتها:

لا شك أن الفئة المستهدفة من مشروع محو الأمية هي التي تحدد وتفرض على صاحب المشروع المسلك الذي ينبغي اتباعه في محو الأمية ، وبناء عليه تتم الإجابة عن سؤال المسلك المنهجي من خلال سؤال الفئة المستهدفة في مشروع محو الأمية.

فئة المعلمين والمثقفين:

إن سياسة التعريب المتبعة في بلادنا منذ أزيد من أربعين سنة قد ولدت لنا أطرا متعلمين ومثقفين بمستويات ثقافية عليا في شتى التخصصات وبشتى اللغات الأجنبية ، لكنها في الآن نفسه تجهل بالأمازيغية جهلا تاما، نطقا وفهما وقراءة وكتابة، وقد تولد عن هذا الجهل والأمية بالأمازيغية تتعدد مظاهرها، إذ بغض النظر عن مظهرها السياسي الفادح ، تركزت المشكلة على المظاهر التواصلية داخل المؤسسات الرسمية وخارجها ، في كل أنصاف هذه المؤسسات من إدارات الداخلية إلى إدارات القضاء والعدل وصولا إلى إدارات الصحة والتعليم والفلاحة والأمن وغيرها، وهذا الخلل التواصلي بين الأطر المتعلمة وبين المواطنين، في البوادي والمدن التي ما زالت محافظة على لسانها الأمازيغي بشكل كلي والتي كثيرا ما نلاحظ باندهاش عزلة إدارتها اللغوية عن المواطنين إذ تجد أطر الإدارات معربة بالكامل، ولا تتوفر فيها حتى الازدواجية اللغوية، بينما تجد المواطنين متمزغي السان بشكل كامل، فكيف يتحقق التواصل؟ ولا يعد هذا المشكل حكرا على البوادي والمدن المغربية التي ما زالت محافظة على لسانها الأمازيغي فحسب بل تنطبق أيضا حتى على المدن والبوادي الناطقة بالعربية، وذلك بفعل الهجرات الاضطرارية ، لننا في وطن واحد وفي شعب واحد، ليس بيننا طوائف ولا قوميات ، وإذا كان هذا المشكل قد عولج في بعض الدول الأوروبية وعلى الخصوص منها ألمانيا وهولندا وفرنسا التي تلقت هجرات المواطنين من شمال إفريقيا وأحدث مترجمين من الأمازيغية وإليها في المؤسسات منذ زمن بعيد، فإنه في بلادنا لم يعالج المشكل بعد، وقد يكون من المخجل أن تقوم بإعداد مترجمين في المؤسسات بين أبناء البلد الواحد والانتماء الواحد.

كانت هذه بعض المسوغات الموضوعية التي تحتم علينا مناقشة مشروع محو أمية الأمازيغية لفئات الأطر والمتعلمين ، وعدم الاقتصار على محو الأمية بالأمازيغية فحسب، لأن التساوي في الأمية شيئ يقتضي التساوي في المعالجة من جهة المبدأ والمشروع، ويقتضي الاختلاف من جهة المسلك والمنهج ، مما يقتضيه المستهدف من المشروع ومستواه، ومما يشجع على مباشرة المشروع في هذا الاتجاه هو تزايد طلب هذه الفئات المتعلمة ورغبتها في تعلم الأمازيغية لمحو أميتها فيها ، وذلك لإحساسها بالغبن الثقافي واللغوي في ظل صحوة الضمير الثقافي الوطني تحت شعار العودة إلى الذات، إضافة إلى تزايد حاجيات الناشطين في المجتمع المدني للتزود باللغة الأمازيغية وثقافتها لتحقيق تواصل أكثر وأكبر مع فئات المجتمع وهذا ما يحتاج إلى مؤطرين أكفاء لمباشرة العملية عبر دورات تكوينية يمكن أن يشرف عليها المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بتعاون وشراكة مع المراكز التربوية الجهوية والمدارس العليا للأساتذة وتكوين المعلمين وكذا الأطر الجامعية ، حتى لا تبقى العملية رهينة التجريب والارتجال الذي لا يعطي إلا نتائج هزيلة ، هذا على المستوى العام، أما على المستوى المسلكي التطبيقي فيمكن أن يبدأ المشروع باللهجات المحلية والجهوية للغة الأمازيغية ، حسب ما تقتضيه دواعي الاستعمال اللغوي والتواصلي في كل مكان ، وفي ما يخص الجهات التي تعرف تعددية اللهجات الأمازيغية مثلما هو الحال مثلا في مدينة وجدة ومدينة الرباط ومدينة البيضاء، يمكن أن يبدأ مشروع محاربة الأمية بمؤطرين عن كل لهجة محلية، وذلك حسب طلب ورغبة للمتلقي، أما في الجهات التي تغطي فيها الأمازيغية جهة كاملة ، كما هو الحال مع الريف والأطلس وسوس وفكيك، فإن الواجب يقتضي محو الأمية في هذه المناطق بالأمازيغية الجهوية ، وإذا كان باستطاعة المؤطر تغذية متلقيه بالاصلاحات في باقي اللهجات الجهوية على سبيل المقارنة ، فذلك أمر محمود، وهو درجة من درجات الصعود إلى معيارية موحدة للغة الأمازيغية الوطنية.

أما على مستوى مضامين اللغة والثقافة الأمازيغية التي ينبغي للمؤطر تقديمها ، فيجب أن تتبع خطوات التعليم الأساسي الابتدائي ، أي الابتداء من البسيط إلى المركب، من قبيل مخارج الحروف وطريقة التعبير في الأمازيغية إلى تعليم ظروف الزمان والمكان وأسماء الإشارة، والضمائر المنفصلة والمتصلة، وأدوات الإستفهام، والتذكير والتأنيث في الأسماء والأفعال ، وصولا إلى تصريف الأفعال، من المفرد إلى الجمع وتعليم النحو الأمازيغي، وصولا إلى تركيب الجمل المفيدة، وطرق المترادفات، وتقديم اصطلاحات جديدة من القاموس الأمازيغي في كل حصة، وإجراء تمارين وأسئلة وإنشاء حوارات ونصوص إنشائية وإملائية أمازيغية لإغناء رصيد المتلقي من الثقافة اللغوية والاصطلاحية الأمازيغية . ولا يفوتنا القول بأننا استعنا في تجربتنا المتواضعة جدا بالكتاب التطبيقي المعنون ب nessawal tamaziyt (tarifit) للدكتور عبد الرحمان العيساتي، والكتاب من منشورات جمعية أدرار الأمازيغية بهولندا، ويحمل مقدمة للدكتور العيساتي بتاريخ: أكتوبر 1994 وقد كان بالنسبة لي تجربة مهمة ومرجعا أساسيا، رغم كل نواقصه، وذلك لتقدمه الزمني على كثير من المشاريع، وكذا خصوصيته المرتبطة بمجال اللغة الأمازيغية الريفية والموجهة للأمازيغيين في هولندا، ويحتوي على ثمانية عشر درسا إضافة إلى التمارين ، وقاموس مصغر في آخر الكتاب، يترجم مصطلحات الأمازيغية إلى اللغتين الإنجليزية و الهولندية.

المعيارية الخطية في محو الأمية الأمازيغية:

نجد في بلادنا أربعة معايير خطية لا تجهلها الفئات المثقفة في مجتمعنا المغربي .

١– **خط تيفيناغ:** وهو خط اللغة الأمازيغية التاريخي، والمعتمد رسميا من لدن المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية كما أنه خط الأمازيغيين في بلاد تامازغا.

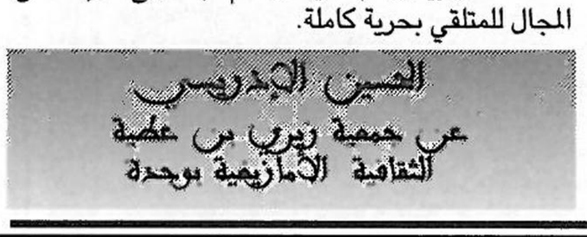
٢– **خط اللغة العربية:** وهو خط يكتب به المغاربة ويعرفونه ، وتعتمده الدولة خطا رسميا في الإدارات والمؤسسات العمومية والدينية .

٣– **الخط العبري:** وهو خط كتب به اليهود المغاربة الأشعار والموشحات والمؤلفات الدينية ، وما زال يكتب به اليهود المغاربة، فضلا عن غير اليهود من المسلمين المغاربة في الجامعات ومعاهد البحث.

٤–**الخط اللاتيني:** وقد عرفه المغاربة أيضا منذ زمن أبعد مما يرى أولائك الذي يربطونه بالإستعمار الحديث، إذ أن كتب التاريخ والأدب ما زالت تحفظ النصوص التي كتبها المغاربة من الموريسكيين بالحرف اللاتيني تهربا من محاكم التفتيش الإسبانية ، وهذا الخط اللاتيني لا يجهله المتعلمون والمثقفون في بلادنا بل يعرفونه حق المعرفة . كانت هذه مقدمة وصفية مبسطة جدا عن الحروف والأبجديات التي يمكن التعامل بها في محو أمية الأمازيغية لدى المثقفين، وإذا كانت تعددية الخط تشكل رهقا على الأطفال ، فإن هذا الشرط لا ينسحب عن المثقفين الكبار ، مع التركيز على أبجدية تيفيناغ والإستئناس بالأبجدية اللاتينية والعربية ، وعدم إهمال الأبجدية العبرية، وذلك لرمزيتها الوطنية، وإن كانت قليلة التداول كميا وعدديا، ووظيفيا.

محو الأمية بالأمازيغية:

وهي تستهدف عامة الناس من النساء والرجال والشباب الناطقين بالأمازيغية والجاهلين بأساليب الكتابة والقراءة ، وهنا قد لا تتعدى الأمازيغية دور المترجم من الأمازيغية وإليها، وهي عملية مهمة أيضا، تقتضي مخططا طويلا، وأدوات مركزة، وقد يكون من اللازم على المؤطر تعليم الأميين الكتابة والقراءة ، ويبقى تشخيص المصلحة في اختيار المعيارية الخطية للمؤطر حسب مستوى الأميين الذين يباشرون تكوينهم، ويمكنه بالأساس التأرجح بين الأبجدية الأمازيغية تيفيناغ والأبجدية العربية، وإن لاحظ المؤطر سرعة الاستيعاب عند المتلقي، وارتفاع المستوى يمكنه إدخال الأبجدية اللاتينية ، مع عدم شحن المتلقي بالمعلومات المعرفية ، والتركيز على الأساليب والاصطلاحات التواصلية والوظيفية في المؤسسات وبين أفراد المجتمع، مع اعتماد اللغة الحوارية والتبسيط وعدم الإسراع ، وإفساح المجال للمتلقي بحرية كاملة.



المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية:

بيان إخباري وإعلامي من الجمعيات الملتقية في اليومين الدراسيين حول محو الأمية

نحن الجمعيات المجتمعة في معهد التكوين المستمر بالرباط المجتمعون على هامش اليومين الدراسيين 23 - 22ابريل ، حول موضوع محو الأمية بالأمازيغية : مدخل أساسي للتنمية المستدامة، نعبر عن انشغالنا العميق بهذا الموضوع الذي ظل مسكوتا عنه ، خاصة وأن ورشات انطلقت في محاربة الأمية بلغات أخرى منذ مدة زمنية واستفادت من الخبرات الوطنية والمؤسسات الرسمية طيلة عقود من الزمن ، في الوقت الذي ظلت اللغة الأمازيغية خارج النسيج الثقافي والمدرسي والمؤسساتي عامة.

ونحن إذ نثمن مبادرة مركز البحث الديداكتيكي والبرامج التربوية في المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية نعلن للرأي العام الوطني ما يلي:

– المطالبة بدسترة الأمازيغية.

– ضرورة إيلاء هذا الموضوع أهميته الوطنية على مستوى التطبيق والممارسة وذلك ما يقتضي تزويد الجمعيات العاملة في هذا المجال بالإمكانيات الضرورية للقيام بهذه المهمة الوطنية الجسيمة، بما فيها مؤسسات التربية والتعليم، والمؤسسات الاعلامية التلفزية والإذاعية، خاصة وأن مشروع محو الأمية بالأمازيغية لا يقتصر على تعلم الأبجدية الأمازيغية قراءة وكتابة للذين يجهلونها، بل تتعدى ذلك إلى مشروع للتنمية المستدامة وما تقتضيه من توعية بالشروط الثقافية والاقتصادية للإنسان الأمازيغي برجاله ونسائه.

– تأكيدنا الصارم على أن هذا المشروع يجب ألا يقتصر على ترجمة مضامين الثقافات المستوردة إلى اللغة الأمازيغية ثم نشرها على الناس ، بل إن هذا المشروع ينبغي أن يقوم على الثقافة الأمازيغية بخصوصياتها الوطنية الكاملة، وبلغتها الأصيلة ، وهذا ما يشكل رافدا رئيسيا لمشروع تدريس الأمازيغية.

الجمعيات الموقعة:

جمعية نيسونت بولمان.
جمعية تويا للعمل النسائي بالحسيمة
جمعية زيري للثقافة الأمازيغية بوجدة
جمعية الخزامى بالحسيمة
جمعية أسنفلول بمكناس
جمعية أسيد بمكناس
جمعية إزفزافن لثويزا والتنمية بالحسيمة
جمعية أبريد للتنمية الثقافية والإجتماعية بفاس
نادي أنازور للثقافة والفنون بالرباط
رابطة ثويزا لمتابعة تداعيات 24فبراير إمزورن بالحسيمة
جمعية أكال
جمعية تقليت للتنمية القروية والبيئة
جمعية تماينوت بالرباط
جمعية عيون أم الربيع للتنمية القروية والبيئة جمعية أزغنغان للثقافة والتنمية
جمعية تيفزي أطلس للتنمية مريرت خنيفرة
جمعية أنوال للثقافة والرياضة بتفرسيت الناضور
جمعية ثويزا بطنجة
الجمعية الثقافية والاجتماعية والرياضية أناروز ن دمنات
تعاونية الأمل للتربية والتكوين مريرت بخنيفرة
جمعية ابن رشد
جمعية تلتفراوت
جمعية تضامن ميدلت
جمعية أمان إيموزار كندر
جمعية المركز الوطني للتنمية ومحاربة الأمية بأكادير
جمعية تكمات بتارودانت
الجمعية الثقافية تلتفراوت
جمعية إغبولا للثقافة والتربية بمريرت

أيام الثقافة الأمازيغية بثانوية الخوارزمي، آيت عميرة، إقليم أشتوكن آيت باها



في إطار انفتاح مؤسستهم على محيطها السوسيوثقافي ، نظم تلاميذ الحركة الثقافية الأمازيغية بثانوية الخوارزمي أسبوعا ثقافيا من 22 الى 28مارس عرف انشطة مختلفة و متنوعة:

– معرض للكتاب الأمازيغي دام أسبوعا كاملا، وقد عرضت خلاله أهم الإنتاجات والإصدارات الأمازيغية من كتب، جرائد، مجلات وأشرطة موسيقية، وتم فيه التعريف ببعض الإبداعات الأمازيغية من شعر وقصة قصيرة و رواية ومسرح، وبالمعاجم وكتب النحو. وقد تخللته مناقشات ساهمت في التعريف باللغة والأدب الأمازيغيين.

– معرض للتعريف بالثرات الأمازيغي الغني على مستوى اللباس و الحلي، ومختلف الأدوات المستعملة في الحياة اليومية.

– مجلة حائطية تضمنت بعض مساهمات التلاميذ و نماذج لإبداعات شعرية وقصصية وأمثال...

– يوم الجمعة 26 مارس: عرض حول اللغة والأدب الأمازيغيين ساهم به التلميذان السعدية الكبايش و جمال دريوش، وعرف نقاشا مستفيضا حول الأسئلة الساخنة المرتبطة بتدريس الأمازيغية وإدماجها في المنظومة التربوية.

– يوم السبت 27 مارس: عرض حول الحركة الثقافية الأمازيغية للتلميذة الصاليح مينة وعرض حول الترجمة الى الأمازيغية للتلميذة بوزمان مليكة، وخلالهما تم التعريف بمسار ح.ث.أ. وما ساهمت به في إعادة الاعتبار للأمازيغية، كما تم ابراز دور الترجمة في إغناء اللغة الأمازيغية وتطويرها.

– يوم الأحد 28 مارس: كان للتلاميذ موعد مع حفل فني متنوع، عرف مشاركة الفنان الكبير أسلال بلوحات ساخرة نالت إعجاب التلاميذ، كما ساهمت مجموعة "تافويت" ومجموعة "آيت الهوا" و محمد صوابي أماواس و العربي مجاوي بفقرات موسيقية رائعة صفق لها الجمهور كثيرا. وعرف الحفل كذلك لوحتين هزليتين لتلاميذ المؤسسة عبد الرحيم واحمان ، حفيظة دينار ، جمال دريوش ، سعيد البرهيشي و محمد آيت الفقير.

عبد الوهاب بوشتارت- عن اللجنة التنظيمية

⁘ºɛ‡ɛ⁘ºw

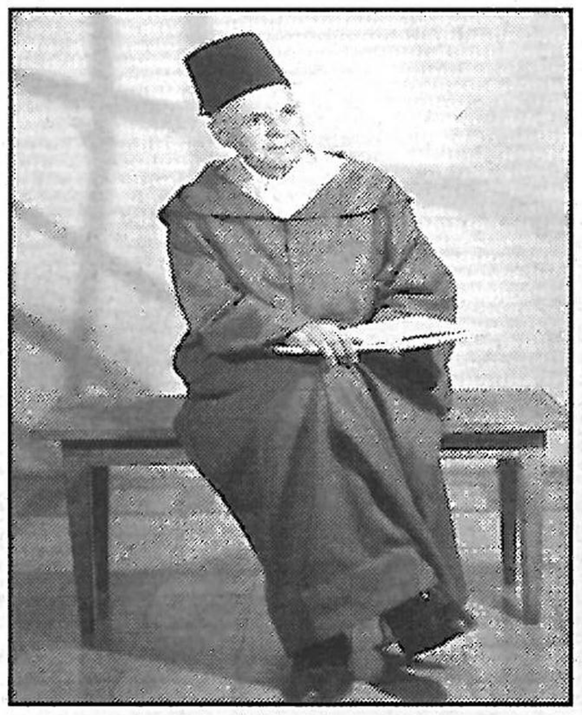
■ ⁘ºɛ‡ɛ⁘ºw

Udmawen

Lɛerbi n Lḥaj Lluh

Lɛerbi n Lḥaj Σli LLuh, n Σumar n Ziyyan n ḥemmu Lɛemmarti.

Iluld gi ddcaṛ n Tγanimin gi teqbilt Ibeqquyen (Arif amalas), ag usegwas n 1323 Hijriyya. Zi-g yeḥfeḍ Lquran, immuti γar Γmara, zi ssin γar teqbilt n Wadras gi Jbala mani iγa yelmed tusna n ddin d tjerrumt n Taɛrabt x ufus n Ccix Muḥemmed Buteffaḥ . Ssin immuti γar Wedrar Aḥbib ad-iγar x Ccix Muḥemmed Al Andalusi. Ihajar ag wussan n zziyyar usebbanyu x Σebdekrim d Irifiyyen, iwweḍ γar Tunes, x webrid n Wejda d Legzayar s tanufra, asegwas n 1923. Gi tunes netta ad-iγaṛ x waṭṭas n lecyux n Temzida n Zzituna: Muḥemmed Ttaheṛ Ben Σacur, Muḥemmed Ṣṣadeq Nnifer, Muḥemmed Mnacu, Σutman Benlxuja... Ag 1929 iksi tanfult n Lɛalimiyya zi Zzituna, uka idewled γar tmurt ins ag yemmas Lḥajja Σica n Lḥaj Muḥemmed Atsuli. Nettat ixes d-ikkin zi tḥij γa Mekka, tessarewḥitid



waxxa ila irezzu ɛad tiγuri, ten idas iteggen fad n tusna. Maca yemmas ḥennu teggas mukas !

Wami d-γa yemmars gi Arif issent ixeddem ilemmed ag lɛalem ameqran n «fiqh nnawazil» Σali lxemlici. Ass n 15 Yunyu 1931 itwaɛiyyen d-lqaḍi x teqbilt n Bni Badr gi Jbala , ssini ad yili d-amarir ameqran gi Lḥukuma Taxalifit (1953), zdat m-adidḥa d-lwazir n Al Aḥbas (1954).

Ag uγezdis n tazliwin n ddunit, Lḥaj Lɛerbi LLuh ila d-aselmad d-ameqran n Tusna n ddin d Yiles Aɛrab gi tendint n Tiṭawin. Maca netta ɛemmars ur yudif gi ci n lḥizb waxxa ma s uγaṛi d ẓẓiyyaṛ, mizi lebda ila yeqqar: « Leḥzabat beṭṭan ayduden, neqqenten s tγennant d ixaṛṛiqen, taranten d-tigemmumin d-tikukkuḥin ur zmirend i walu zdat i leɛdawat nsent ».

Zgi temẓi ins ila itarja ad yari agra ixemmimen d ixaṛisen ins, ur t ijji ḥedd zi leɛdawat ig yeqqimen lebda teggen-as tisensax d yeẓra g webrid. Ila yeqseḥ ad as tezdig twengint niγ ad as yazzel ṣṣmeγ d lemdad jar iḍewḍan ufus, maca ammen, ag wussan ins imeggura iṭṭef leqlem, innast x tira lxaḍar ins. Amya, ijjid aṭṭas idellisen: (Uṣulu lfiqh, Arrayid fi ɛilmi lɛaqayid, Al manṭiq ttaṭbiqiy, Al minhal fi kifaḥi abṭali ccamal)... Min yetγiman, mala yeqqim ci, ag wussan ad yeffeγ γa tfawt at γren yewdan.

Tineγmisin

Zi rkambu γar tendint tenneqleb tḥajit

S uswizi ag "Tmesmunt n imeḥdarn imezwura n tγelbust n Σli Crif", tesken **"Temnaḍt n Arif umzgun amaziγ"** ass n 22 Mayu 2004, gi taddart iḥudriyyen n Lḥusima, ij n tmezgunt qqarn-as: " Zi rkambu γa tendint, tenneqleb tḥajit". Yurit Ahmed Jwini d Muhemmed Benɛisa, u ɛyaren dages yina: Karima Ttuzani, Fikri Sshili, Rafiqa Benneeli, Muhsin Buzembu, Lubna Bucezzati, Ayyub Zziyyani, Najla Luḥudi, Racid Al Amγari, Muḥemmed Luḥudi Muhemmed Bisinu, Muḥemmed Benɛisa d Aḥmed Jwini. Tamezgunt-a tani tessawal x temγart n Arif d tuḍart ins, u dages aṭṭas n tḥuja d-tikkuḥin ig itelqafen marra timxubar n wussan d yewdan n yiḍa Nessitimasen iḥudriyyen-a ad afen g umezgun abrid nsen γar tusna n ddat nsen, tamurt d waydud nsen. Neqqar asen, s yisem n marra yen ifurjen akidsen: Tanemmirt, u leeqeb γa tmezgunt nne ḍden g wurar iγa teg LIRCAM dani gi Lḥusima ag unnebdu-ya n 2004.

Ɛ⵿ⵔⵔⵄⵀⵍ ⵉ ⵜⵡⵙⵉ | ⵜⵄⵍ⵿ⵙⵅ | ⵜⵉⵙⵉⵍ

Isklilen i tγuri n Tifraz n Arif

ⵜⵉⵔⵉⵖ	Asekkil Alatin	عاسكيل عالعراب	ⴰⵉⵎⴰⵣⵉⵖ ⵜⵉⵔⵉⵖ	Tiγuri s ilɣawen n Arif
ⵠ ⵠ	B b	ب	ⵉⵡⴰⵡⵏ	Ivawn
ⵎ ⵎ	M m	م	ⴰⵎⵚⵓⵎ	Amcum
ⵡ ⵡ	W w	و	ⵜⴰⵣⵉⵡⴰ	D/Tawiza
ⵀ ⵀ	F f	ف	ⵜⵉⵀⴰⴼ	D/Tif(r)az/s
ⵅ ⵅ	Ṯ ṯ	ث	ⵚⵉⵜ !	Siṯ !
ⵞ ⵞ	Ḏ ḍ	ذ	ⴰⵔ ⵟⴰⵎⵓⵔⵟ	Ad ddary da
ⵜ ⵜ	T t	ت	ⵜⴰⵙⵉⵜ	D/Taymiṯ
ⵟ ⵟ	D d	د	ⵜⴰⵟⴰ	D/Tanda
ⵄ ⵄ	Ḍ ḍ	ض	ⴰⵉⴷⵉⵔ	Aḍiṛ
ⵉ ⵉ	Ṭ ṭ	ط	ⵜⵉⵜⴰⵡⵉⵏ	D/Tiṭawin
ⵚ ⵚ	S s	س	ⵜⴰⵚⵓⵙⵉⵜ	D/Tasusiṯ
ⵣ ⵣ	Z z	ز	ⵉⵣⵔⵉ	Izri
ⵥ ⵥ	Ẓ ẓ	ز	ⴰⵣⵔⵓ	Aẓ(r)u
ⵚ ⵚ	Ṣ ṣ	ص	ⴰⵚⵎⵎⵉⴷ	Aṣmmiḍ
ⵏ ⵏ	N n	ن	ⴰⵎⵎⵓⵏ	Ammun
ⵍ ⵍ	L l	ل	ⴰⵉⵏ	Ain
ⵔ ⵔ	R r	ر	ⵜⴰⵔⵉⴼⵜ	D/Ta(r)ifiṯ(ct)
ⵕ ⵕ	Ṛ ṛ	ر	ⵜⴰⵕⵡⴰ	D/Ta(r)wa
ⵊ ⵊ	J j	ج	ⴰⵊⵊⴰⵊ	Ajjaj
ⵛ ⵛ	C c	ش	ⵜⴰⵛⴰⵍⵃⵉⵜ	D/Tacelḥit
ⵢ ⵢ	Y y	ي	ⴰⵢⵢⴰⵡ	Ayyaw
ⴽ ⴽ	K k	ك	ⴰⴽⵉⴷⵔ	Akiḍa(r)
ⴽⵯ ⴽⵯ	Kʷ kʷ	ك	ⵉⴽⵯⵜ	I(k)wṯa
ⵅ ⵅ	G g	گ	ⴰⴳⴰⴷⵉ	Agadi(r)
ⵅⵯ ⵅⵯ	Gʷ gʷ	گ	ⵜⵉⴳⵯⴷⵉ	D/Tigwḍi
ⵇ ⵇ	Q q	ق	ⵜⵉⵎⵇⵇⴰ	D/Timeqqa
ⵖ ⵖ	Γ γ	غ	ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ	Lmeγrib
ⵅ ⵅ	X x	خ	ⴰⵅⵅⴰⵎ	Axxam
ⵄ ⵄ	Σ ε	ع	ⴰⵄⴰⵔ	Aɛ(r)u(r)
ⵃ ⵃ	Ḥ ḥ	ح	ⵍⵃⵓⵙⵉⵎ	Lḥusima
ⵀ ⵀ	H h	ه	ⴰⵀⵉⴷⵓ	Aḥiḍu(r)
ⴰ ⴰ	A a	أ	ⴰⵙⵉⵡⴰⵏ	Asiwan
ⵓ ⵓ	U u	و	ⵓⵔ	Ur
ⵉ ⵉ	I i	ي	ⵉⵎ	Im
ⴻ ⴻ	E e		ⴰⵎⴻⵔⵉⵊ	Amevji(w)

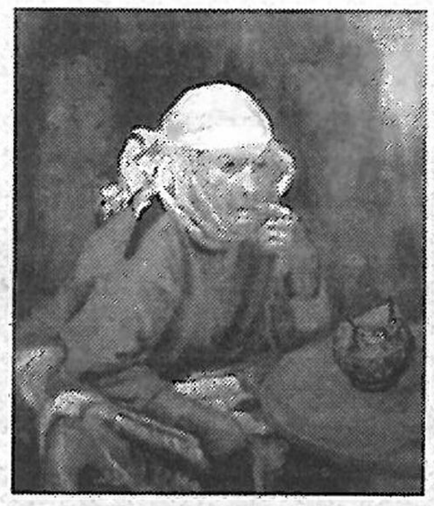
Awalen itmutuyen

«Alf n tḥuja d icten zi Arif -*

Tessufγed g wussan-a yeɛdan Suɛad Muḍyan ij urebbaḥ udellis qqarn-as: «Alf n tḥuja d icten zi Arif -. Adellis-a wani, amuk id yusa gi teswart ines, itwasettef x isekkilen imezgura n tḥuja, kul tḥajit akides asuγel ins γa Tefransist d cway wawal x min trezzu atini d melmi zges ssawalen.

Netqada tamarzuyt d tmarirt nneγ Suɛad Muḍyan x udellis-a id isfaqan aṭṭas iseqsiyyen idagneγ yeṭṭsen, wani d-ij n lɛunṣar d-amaynu i marra yen irezzun gi tusna n Arif, niγ gi qqaɛ timura Imaziγen... Aqa cway zi 2001 n Tḥuja-ya ikidneγ d-itefγen:

(24) Aḍ arebreγ s teγmas d waccaren wara ttreγ s iḥharmucen γar cmayt.
(30) Aḍar a qubiɛ! Aḍ kwteγ win swawwanak!
(41) Agenduz iteqqen zeg wqicc, argaz zeg iles.
(71) Ajartir ur itbeddi.
(102) Amjar, ibeddel-as ufus.
(131) Argaz, ur t id tijji illa temγart.
(146) Acareɛ d uwareɛ.
(152) Awal aṣebḥan iggur gi ddeyyet.
(173) Bḍa lebḥar d-tiṣeqqaṛ, aḍ iqqaṛ.
(240) Djwaru tmunend ag teslit.
(263) Aḍeqqi d-laṣel.
(270) Igg-iṭn uka yeqqim gsen.



(290) Ij iteẓẓeg, ij iteṭṭef iqaccwen.
(324) Imeṭṭawen tilin x uzellif umettin.
(329) Immut umucc, ggin iγarḍayen lɛucc.
(346) Inna-s: Mecḥal setta gi setta? Inna-s: Tenɛac uγṛum.
(353) Inna-s uγyur: B-sm-llah aṛeḥman aṛaḥim zgi leɛlef n ṣṣbeḥ.
(418) Iẓra aleqqim, iṣar iqqim.
(424) Jjhed n teslit gi zembu.
(430) Kul ḥed muk ineṭṭer yemmas.
(481) Lmektab ag uɛewwel.
(483) Llaḥ llaḥ ur itiṛu ddellaḥ.
(485) Llah ukbar ur tkessi γa tmezgida.
(554) May qwan iquba, iflet uqenni.
(625) Mmeṣlaḥen yiṭan x ufud imesɛi.
(630) Neγ acekkam, ejj amakar.
(652) Qqen agelmam, aḍ iccaṛ.
(674) Leqyum d yiḍes gw rum.
(676) Leɛqel babas n cwicwit.
(686) Lmut d-ssenduq n lejwad.
(707) Seksu x aṛṛwa, remrak x aṛṛḍa.
(727) Ssuq n temγarin ur iteemmir.
(740) Cwit i Σmar, cwit i leɛmaṛ.
(745) Ccenɛet tujar ṣṣenɛet.
(762) Tettar tsullet bla lbakur.
(775) Ttbeɛ tazra, atafed jij.
(877) Tγaṭ ubujir ig itett wuccen.
(887) Timenniwin kṭar zgi tmeggiwin.
(898) Tiṭawin, ur xsent bu yafrag.
(899) Tiṭawin ur twezziɛent.
(900) Tiṯi s ugurs ucal wara tawṛa.
(909) Ṯuri, ṯuri.
(933) Uka aḍ ijjawen zembu aγi.
(952) Ur igguren x uɛeddis ḥa fiγar.
(972) Ur itett, ur itekkes fus.
(991) Xdem, atafed.
(1001) Xmi γa teẓred taddart tqewwaṛ, tγird qa din seksu ifewwaṛ.

Souad MOUDIAN : Mille et un proverbes Rifains, Dar Al Aqlam, Rabat, 2004. Toile et couverture: Abdelkader Asklak.

الإتحاد الأوروبي يمول عدة مشاريع تنموية بالمغرب تقدرب 71 مليون أورو

سعيد العمراني- بروكسيل

بمصادقته على منح المغرب مبلغ 71.79 مليون أورو، في إطار برنامج "ميدا" يكون قد عزز دعمه المالي لهذا البلد الجار خاصة بعد تعبيره عن العديد من المبادرات الإيجابية لإعادة إعمار منطقة الحسيمة بعد الدمار الذي أصابها من جراء الزلزال العنيف الذي ضربها ليلة 24فبراير الماضي.

فالنصيب المالي المخصص للمغرب من البرنامج المذكور "ميدا" أتى أساسا للمساهمة في إنجاح المشاريع تنموية في أقاليم شمال المغرب، إلى جانب بناء بعض مشاريع في مجال حماية البيئة.

وأشار البلاغ الذي أصدرته المفوضية الأوروبية ليوم الأربعاء 17/04/2004بأن التدخلات المقررة في إطار التعاون بين الإتحاد الأوروبي والمغرب، تتمحور حول أولويتين تتمثلان في تدبير مشاكل الهجرة وحماية البيئة.

فحسب بعض المصادر الصحفية (www.Albawaba.com)فإن المفوضية الأوروبية بوصفها الجهاز التنفيذي للإتحاد الأوروبي وافقت على تمويل إضافي بقيمة 42 مليون أورو يرصد لتحسين نوعية الأشغال الطرقية الخاصة بالطريق المداري المتوسطي على مسافة 550كلم، وهذا المشروع يعتبره الإتحاد الأوروبي ذا أهمية كبرى سيساعد على تحقيق التنمية المتوخاة لأقاليم شمال المغرب وفك العزلة عن منطقة الريف. كما رصدت المفوضية الأوروبية ضمن هذا الغلاف المالي مبلغ 7ملايين أورو لإنجاز مشاريع متعلقة بالنظافة والتطهير، وتحسين نوعية الموارد المائية من خلال التقليص من مخاطر الفيضانات ومن مشاكل التلوث داخل المدار الحضري.

وفي نفس الإطار رصدت المفوضية مبلغ 4.7 مليون أورو لدعم البرنامج الإستثماري للمكتب الوطني للماء الصالح للشرب الرابع الخاص بالتقليل من المخاطر البيئية على سبعة مراكز لمعالجة الماء الصالح للشرب في شمال ووسط المغرب. كما وافق الجهاز التنفيذي للإتحاد الأوروبي أيضا على تخصيص مبلغ 9ملايين أورو لإنجاز مشروع تنقية المركز الكهربائي للمحمدية و 9ملايين أورو أخرى لما سمي بمشروع " تطهير المدن المغربية".

وعلى صعيد آخر، أشادت المفوضية الأوروبية بالإتفاقية المغربية التركية حول التبادل الحر التي وقعها البلدان يوم الأربعاء /4/04 2004في أنقرة واصفا إياها ب"ذات أهمية" في سياق مشروع إقامة منطقة للتبادل الأورو متوسطي الحر في سنة 2010ن وسيتم بمقتضى هذا الاتفاق إنشاء منطقة صناعية حرة بين المغرب وتركيا بشكل تدريجي على فترة انتقالية أقصاها 10سنوات ابتداء من دخول الاتفاقية حيز التنفيذ.

واعتبر المفوض الأوروبي المكلف بالتجارة السيد "باسكال لامي"، إبرام هذه الاتفاقية بين "شريكين تجاريين أساسيين للإتحاد الأوروبي في منطقة الأبيض المتوسط"، تعد مبادرة جيدة وتندرج في سياق مفهوم التكامل الإقليمي في البلدان الأورو متوسطية، واسترسل قائلا: "بعد استكمال مسار الاتفاقيات بين الإتحاد الأوروبي وشركائه المتوسطيين في مجال حرية التبادل، بات يتعين الآن تركيز الاهتمام على إنجاح التكامل الأفقي بين بلدان المتوسط".

وفي هذا الصدد يمكن الإشارة بأن الإتحاد الأوروبي وقع سنة 1995اتفاقية برشلونة مع 12دولة من جنوب بحر الأبيض المتوسط، تهدف بمقتضاها إلى توفير آليات لخلق مجال التبادل التجاري الحر وكذا تحقيق السلام-المفقود- في المنطقة.

ملتقى الثقافات: برشلونة 2004

أسماء أوطاح/برشلونة

أريد له أن يكون حدثا تاريخيا بامتياز، لذا رصدت له 78مليون أورو، وجند له الآلاف من التقنيين والفنيين والمهندسين والعمال لتحضير المباني والتجهيزات والبرامج.

إنه ملتقى برسلونة 2004للثقافات الذي تنظمه إسبانيا إنطلاقا من 8ماي 2004، لأغراض يتلاقى فيها الذاتي والموضوعي. يندرج ضمن الذاتي، تأكيد الدور الحضاري لإسبانيا في تحقيق التواصل بين الشعوب والثقافات من مختلف مناطق المعمور، وبالتالي تغريز مكانتها في الاتحاد الأوروبي وتحقيق المزيد من الاقبال السياسي على إسبانيا، وعلى برسلونة بالذات.

والموضوعي يتمثل في محاولة خلق ثقافة جديدة للحوار وتبادل التجارب بين الشعوب بعيدا عن منطق الهيمنة والوصاية والإقصاء، ذلك من خلال إعادة الاعتبار وتحيين الموروث الثقافي الشعبي المعبر عن هوايات لا تحصى ولا تعد: ألعاب شعبية للصغار والكبار مصنوعة من الموادالمحولة وفق اعتبارات بيئية، طقوس روحية ولوحات فنية ترمز لطموحات إنسانية (لنسكن العالم، أصوات، شجرة الذاكرة، عملاق البحورالسبعة،بحر2015، والجزيرة، مقاتلوشيان...)، نظم تربوية أصيلة وأصلية. وعبر هذه الأنشطة يمر نداء الملتقى ليصل إلى الزائرين: الإيمان بالتعدد شرط السلام. ولعل الصرح التدشيني للملتقى أول مظهر من مظاهر التعدد والدعوة للسلام، إذ يمثل كرة من حديد ترمز للأرض، تبدو وكأنها نبتت وسط مياه برسلونة(ميناء سان أندريا)، وفي أحشائها يتقاتل الناس وسيطلب من الجمهور مساعدتهم على ترك القتال والتآخي، وبمونتاج تقنو-أوتوماتيكي تتحول الكرة إلى وردة. لهذه اللقطة، إلى جانب خطابي العامل الإسباني ورئيس الحكومة الجديد، سيفتتح 141يوما من الأنشطة السابقة الذكر، والمعارض والحفلات الفنية التي سيغني فيها أشهر المغنيين الذين انتصروا للاختلاف والسلام واللوحات المسرحية والرقصات من مختلف أنحاء العالم، ضمنها على سبيل الذكر: شطحات أولاد سيدي أحمد أوموسى.يعد الأطفال أهم أبطال الملتقى، إذ تمت برمجة العديد من فرق الأطفال لتقديم عروض مسرحية، غنائية، سيرك، ألعاب، يدعى الأطفال الزائرون للمشاركة فيها، وهو درس آخر لهذا الجيل في التعايش ضمن التعدد.

باختصار، إنها أولمبياد بلا منتصرين، مدينة شمولية شيدت على ضفاف المتوسط لتأكيد الدور الحضاري لهذا البحر. لكن بقدر نبل وروعة الأهداف المرسومة للملتقى، وبقدر أهمية وغنى البرنامج الذي يقدمه للزائرين، فإن المجتمع المدني ببرسلونة، يرى أن هناك أهداف أخرى بنفس نبالة وروعة الأهداف السابقة، تستحق أكثر صرف تلك المبالغ الطائلة لتعكس برسلونة أنها تنتمي حقا لأسبانيا القرن الواحد والعشرين. وأهمها تقول "فدرالية جمعيات الجيران ببرسلونة" في بيان ضد الملتقى: (إصلاح أحياء مهترئة بذوق سكانها الأمرين وخاصة حي "لا مينا"، إصلاح الوضع المعيشي ل 12(c)من ساكنة برسلونة التي تعيش تحت عتبة الفقر وضمنهم المهاجرون غير القانونيين، تحسين أداء قطاع النقل العمومي والبث في وضعية العمال والعاملات المطرودين من طرف الشركات متعددة الجنسيات دون سابق إنذار، غير عابئة بمصيرهم...)

"الحركة من أجل معارضة الملتقى" التي نظمت احتجاجا في الأول لتنظيمه، تقول أن الشركات التي ساهمت في تمويله، هي شركات قامت على استغلال عمال ومعاملات العالم الثالث، وهو شيء يتنافى والأهداف التي رسمت للملتقى.كما رأت فيه بهرجة شكلية غرضها إخفاء التناقضات الطبقية التي ينوء تحت وطأتها الإسبان.

بيان الجمعيات النسائية بمناسبة 8مارس 2004احتج على أن المبالغ الطائلة التي رصدت للملتقى، كان أحدى أن يخصص جزء منها لتحسين وضع المرأة المعنفة والمتخلى عنها والفقيرة والمهاجرة والمسنة.

جمعية الفضاء الثقافي شمال/جنوب تنظم يوما ثقافيا ببروكسيل

في إطار أنشطتها الإشعاعية الهادفة إلى تحسيس الجالية المغربية حول المستجدات السياسية، الاقتصادية والثقافية، وإشراك المواطنين بخصوص القضايا التي تعنيهم هنا وهناك، نظمت جمعية "ف.ث.ش.ج" يوما ثقافيا تخللته ندوة فكرية حول موضوع " حقوق المرأة بين المدونة المغربية وسؤال الحجاب بأوروبا" شارك فيها فعاليات بلجيكية ومغربية من بينها:

-كارين لالو: برلمانية من البرلمان الفيديرالي البلجيكي.

-فتيحة السعيدي: برلمانية ببرلمان بروكسيل.

-محمد المباركي: مدير مركز الهجرة والصحة بباريس.

-نورا أزرقان: عن اتحاد النساء المغربيات بهولندا.

تميزت الندوة بالمداخلات القيمة للمشاركين الذين حاولوا تناول الموضوع من كل جوانبه القانونية الفقهية، السياسية، الإجتماعية والثقافية، كما تميزت بالحضور اللافت للبلجيكيين ومن بينهم ممثلين عن amnesty in-ternational

وبعض الأحزاب التقدمية، وكذا بحضور ممثلين عن جمعيات الهجرة بأوروبا، للمشاركة في هذا اليوم الثقافي والعمل على إنجاحه. وساهم حظورهم هذا في إغناء النقاش وتخصيبه باعتبار أن موضوع المرأة لا يمكن عزله عن مجمل المشاكل التي تعاني منها الهجرة المغربية كالتهميش، التمييز، والاحتقار. وأن المشكلة الحقيقية للمرأة لا تتجسد لا في الحجاب ولا في...بقدر ما تتجلى في عدم الإعتراف بحقوقها، قدراتها وإمكانياتها وحضورها اللافت في جميع الميادين والمواقع بما فيها الحساسة، كمؤسسة الدولة مثلا...

واختتمت الندوة بأمسية غنائية شاركت فيها مجموعة "الهواريات"المراكشية، وكذا المناضل والمغني المغربي مصطفى لمريزق الذي أتى من باريس ليعطي نكهة خاصة للقاء إذ أمتع الجمهور بأغانيه الجديدة"فين الحقيقة" بالإضافة إلى العديد من الأغاني لمارسيل خليفة والشيخ إمام وناس الغيوان...

ويشار إلى أن أغنية "فين الحقيقة" هي أغنية مستوحاة من معاناة العديد من المناضلين الذين عانوا من ويلات التعذيب والتقتيل إبان فترة الرصاص بالمغرب. ومصطفى أضاف لموضوع الحقيقة لونا موسيقيا رائعا استطاع من خلاله إضفاء قيمة فنية كثيرا ما همشت في المقاربات الكثيرة التي تناولت الموضوع.

أما أغنية "يا محمد" فهي أغنية مهداة إلى الشهيد "أيث الجيد محمد بنعيسى" الذي اغتالته أيادي الظلام بفاس مع بداية التسعينات. هذه الأغنية كانت مناسبة للعديد من الحاضرين لتذكر ما تعرض له الشهيد بنعيسى والعديد من رفاقه القاعديين في قلعة فاس خلال نهاية الثمانينات وبداية التسعينات. وقد فرضت هذه الأغنية صمتا رهيبا بقاعة الشباب التابعة لبلدية بروكسيل المدينة، حيث اضطر معها بعض الرفاق للخروج من القاعة والدموع تسيل من أعينهم كحبات الرمان... فشكرا للمصطفى على تلك الكلمات المعبرة والموسيقى الرقيقة والنغمات الممتعة... مرددين معه: "كل شيء من أجلك يهون يا وطني".

ويشار بأنه قبيل انطلاق النشاط انعقد اجتماع تنسيقي للشبكة المغربية الأوروبية، حضره العديد من منظمات الهجرة المغربية بأوروبا. وكان ضمن الحاضرين المركز الأورومتوسطي للهجرة والتنمية بهولاندا -EM LEMO، جمعية المغاربة للدفاع عن حقوق الإنسان بهولاندا، جمعية الفضاء الثقافي شمال-جنوب ببلجيكا، مركز العمل لتطوير العلاقات الأورومتوسطية CADRE، جمعية العمال المغاربيين بفرنسا ATMF، جمعية الهجرة والصحة بفرنسا، جمعية هجرة-تنمية-ديموقراطية بفرنسا .IDDحيث تمحور الإجتماع حول سبل تعزيز التعاون والتآزر بين هذه التنظيمات بما يخدم مصلحة المهاجرين وقضايا الوطن.

قانون الأجانب المعدل والمرأة المهاجرة بإسبانيا

تمثل الصيغة الجديدة المعدلة لقانون الأجانب الأسباني الصادر في شهر نوفمبر2003، تراجعات كبيرة بالنسبة للصيغ السابقة على قلة الحقوق التي كانت تمنحها للمهاجرين. وتصر كل الصيغ على أن الجانب المقيمين بإسبانيا يتمتعون بالحقوق والحريات المعترف بها في النص الأول من الدستور الإسباني وطبقا لمقتضيات الاتفاقيات الدولية بينما يأتي التفصيل لاحقا ليميز بين الأجانب المنتمين للاتحاد الأوروبي وغيرهم، وليحدد أن غيرهم من الأجانب يشتركون مع الباقي في بعض الحقوق، بينما يختلفون عنهم في البعض الآخر وهو الغالب.

وما تضييق الخناق على المهاجرين غير القانونيين تعقيد شروط تجديد رخصة الإقامة وطلب التجمع العائلي لأفراد الأسرة، حرمان القانونيين من العمل السياسي، حرمانهم من التمتع بنفس فرص الوصول والاعتراف بكفاءاتهم المحصل عليها في البلد الأصلي... إلا بعض الأدلة البارزة على التمييز العنصري الذي يمارسه قانون ينص على "محاربة العنصرية والكسينوفوبيا ضد الأجانب". ويأتي التمييز الممارى ضد المرأة في نفس السياق رغم أن المستهدف هو بصفة عامة المهاجر الحاصل على رخصة الإقامة بأسبانيا من خلال التجمع العائلي.

فالفقرات 16/17/18/19من القانون، تنص على ما يلي:

.1الحاصل على التجمع العائلي لا يتمتع برخصة إقامة مستقلة قانونيا عن الشريك الذي قام بطلب ضمه إليه، ن طريق التجمع العائلي، وبينما كان قانون 2000ينص على التجمع يمكنه عام من الإقامة بأسبانيا تقديم طلب الحصول على رخصة إقامة مستقلة، فإن القانون الحالي لا ينص على شيء من ذلك.

.2الحاصل على رخصة إقامة تابعة للشريك أو الزوج لا يتمتع برخصة تسمح له بالحصول على عمل قانوني.

.3يمكن للحاصل على التجمع العائلي أن يتمتع برخصة إقامة مستقلة عن الزوج إذا ما حصل على عقد يخول له العمل بشكل قانوني، لكنه لن يحصل على عقد عمل طالما ليست له رخصة عمل.

.4في حالة انفصاله عن شريكه لسبب من الأسباب، باستثناء سبب واحد، يظل الحاصل على التجمع العائلي مقيما بأسبانيا برخصة إقامة تابعة قانونيا لشريكه السابق ودون رخصة عمل.

.5السبب الوحيد الذي قد يجعل الحاصل على التجمع العائلي يتمتع برخصة إقامة مستقلة هو تعرضه للعنف من طرف الشريك، وحين يصدر القاضي إذنا بحمايته من عدوان الشريك. وهو الجديد "الإيجابي" الذي أتى به القانون المعدل لسنة .2003

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن اغلب الحالات الوافدة إلى أسبانيا عن طريق التجمع العائلي هن من النساء، فيمكن أن تقدر حجم الضرر الذي يلحقه هذا القانون بهن. ولعل أوخم النتائج عليهن هي التالية:

- تعيش المرأة في تبعية دائمة للزوج قانونيا واقتصاديا، لأنها لا تتمتع لا برخصة إقامة مستقلة ولا برخصة عمل، فإذا ما تعذر على الزوج تجديد أوراقه لسبب من السباب مثلا، أصبح مصيرها تابعا لمصيره، وقس على ذلك باقي الأمثلة.

- تجد المرأة نفسها عاجزة لا عن الاستجابة لحاجياتها الشخصية ولا عن تحسين وضع عائلتها، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار عدم كفاية عمل زوجها في ظل صعوبة العيش التي يعانيها المهاجرون بإسبانيا.

- للتخفيف من حدة هذه المعاناة، تلجأ المرأة للعمل بشكل غير قانوني، حيث لا تتمتع بحقوقها كعاملة تتعرض لمختلف أشكال العنف التمييز من المشغل باقل أجر.

- تتحمل المرأة العديد من أشكال العنف وعدم التفاهم التي يصعب إثباتها لا قضائيا ولا ثقافيا(وطأة التقاليد)، خوفا من الطلاق الذي يعني نفس الوضع قانونيا (رخصة إقامة غير مستقلة) مع غياب سقف يأويها هذه المرة.

هكذا يصبح الحق في العمل والكرامة في المجتمع الإسباني الذي مات ويموت العديد من أجل الوصول إليه، امتيازا بالنسبة للمرأة المهاجرة، من الصعب كثيرا الحصول عليه، وتعاني في ظله المرأة حرمانا كبيرا من حقوقها، كامرأة وكعاملة.

ويتضح كذلك أن على المهاجرين بأسبانيا فعل الكثير لتحسين وضعهم اجتماعيا، قانونيا وسياسيا.

بلاسيذو روبيو ألفارو

تـقديـم تاريخ : كرة القدم في مدينة الحسيمة

في البداية قدم الكاتب نفسه إلى الذين يعرفونه والذين لا يعرفونه بأنه: بلاسيذو روبيو الفارو يسكن بمالقة بإسبانيا . ولد هنا بهذه المدينة ، وهوينحدر من إحدى الأسر التي ساهمت في تأسيس هذه البلدة ، حيث وصل أجداده إلى هذه الأرض عام 1925، و خرج منها هو عام 1968. تعايش مع معظم الحاضرين كما قال حوالي 24سنة ... لذا يعتبر نفسه ريفيا إسبانيا.

ثم ذكر بعد ذلك ، بأنه يهتم بجمع المعطيات التاريخية المرتبطة ببيا سانخورخو- الحسيمة ، والمرتبطة بمدينته وأصدقائه ، هذه الذكريات التي يحملها ، كما قال ، منقوشة في قلبي حتى آخر نفس.

وقال إن كل ما كتب حول الحسيمة تقريبا مرتبط بالإنزال العسكري ، وعبد الكريم والحملات العسكرية في الريف ، لكنه رأى بأن لهذه البلدة شيء أكثر من هذا ، إن لها حياة اجتماعية إن كان قد عرف عنها القليل فإن أغلبه لم يعرف إلى حد الآن.

ولهذا السبب يقول بإن نيته ورغبته في تجنب ضياع جزء من تاريخنا، هو الذي حمله على تعميم هذا التاريخ وإشاعته ، الأمر الذي جعل الكاتب ، من حيث لا يدري ، مؤرخا هاويا ، وقد عقد العزم على أن يخرج هذا العمل، حسب معرفته ومعلوماته وإمكانياته، على أحسن مايرام.

وبعد ذلك قدم شكره لكل الأصدقاء الذين فهموا منذ البداية هدفه النبيل ، وساروا ينسقون معه بشكل تلقائي. وشكرهم على كل ما قدموه لتحقق وأنجاز هذا العمل الذي ما كان ليتحقق دون الدعم والتنسيق ، ولو تحقق لما كان الأمر كما هو الآن ، كما يقول الكاتب.

وقد شكرالسيد عبد المطلب ؛ أستاذ بهذا المعهد ، الذي كان من أوائل من شجعوه على إنارة وإخراج التاريخ الضائع أو المنسي لبيا سانخورخو الحسيمة .

وكذلك السيد محمد أزيرار؛ أستاذ بالمعهد الإسباني أيضا ، االذي ترجم أعماله الأخيرة ، والنصوص التي استعملت لافتات في المعرض ...

كما شكر السيد التهامي محمد ؛ ممرض ، الغائب لأسباب عائلية ، مع الأسف ، اليوم .والذي قال عنه بأنه شخصية منظمة ودقيقة ، وهو الشخص الذي تقاسم معه أمسيات عديدة في ممارسة كرة قدم رائعة . وقد قدم له ، كما قال ، معطيات كثيرة من أرشيفه الخاص خاصة ما يتعلق بالفترة المغربية الخالصة . وبالخصوص ما يتعلق بالثلاثين سنة الأخيرة ، الذي يقدم هذا الكتاب جزءاً من تاريخه.

كما شكر السيد الجرموني حسن ؛ الصديق الحميم ، الذي تربطه به صداقة قديمة تعود إلى جيل الأباء. وهو الذي يوزع هذا الكتاب، والذي يسمح له باستعمال مكتبته مكانا للالتقاء مع الأصدقاء والمهتمين . بالإضافة إلى نشره لأنشطته الثقافية في ثيفراز ناريف.

السيد سليم محمد " روبيو بوشلاغم" ظلي، كما يقول ، ويعتبره أخاه وصديقه الوفي بدون منازع، فحيث تنتهي الصداقة تبتدئ الأخوة.

بعد ذلك اعتبر الكاتب أن هناك أنشطة تحدد زمنا معينا ولذلك حينما سطر هذه البيوغرافيا حول كرة القدم في مدينته – الحسيمة، يعتقد أنه بذلك ينقذ فترة حديثة من تاريخنا الماضي القريب.

ثم بعد ذلك ، قدم الكاتب وصفا وعرضا لكتابه، فقال :

إن الموضوع الجديد للكتاب ، هو الأول الذي ينجز حول موضوع كرة القدم في مدينتنا، وهو يقدم نظرة ، وقراءة جديدة فيما يخص الموضوع الذي يتناوله : تاريخ كرة القدم ببيا سانخورخو – الحسيمة منذ 1928 إلى غاية الموسم الرياضي الحالي 2004/ 03



إن شكل هذا الكتاب ، مثل كتبي السابقة ، 17في 24، 182صفحة ؛ أربعون منها بالعربية ؛ مترجمة من طرف محمد أزيرار. الكتاب يتضمن 46 صورة موضحة ، وإعلانات ، و شعارات لمختلف مراحل رياضة كرة القدم بمدينتنا.

تشمل هذه الكرونولوجيا المراحل الثلاثة الأكثر.أهمية لرياضة كرة القدم بالحسيمة .

1 الفترة الأولى أسبانية محضة ، التي تبتدئ 1928؛ تاريخ تأسيس أول فريق محلي لكرة القدم حتى تاريخ استقلال المغرب عام 1956.

يتضمن هذا الفصل أخبار مباريات نادي الصيادين لكرة القدم خلال مسيرته الرياضية ضمن المجموعة 13في القسم الثالث الإسباني التابع لمجموعة بطولة الحماية الإسبانية بالمغرب بجانب فرق مثل العرائش و القصر الكبير وتطوان والناظور والدم الرياضي لبيا سانخورخو مع باقي منافسي الشمالية الشرقية.

قراءة هذا الكتاب سفر إلى الماضي، وعودة إلى الحنين والتشوق ، وإحياء لتلك الأوقات الجميلة ، حيث أتذكر أسماء عدد كبير من الأصدقاء والمعارف الذين كانوا في تشكيلات الفرق .

وقد برز خلال هذه الفترة لاعبان مغربيان تألقا بشكل ملحوظ خاصة المحجوب ومحمد موريلس.

2 وفترة ثانية انتقالية تبتدئ من 1956إلى غاية 1968تقريبا . وخلالها يلاحظ الاختفاء المستمر والمتوالي للفرق الإسبانية المحضة وذلك بسبب الهجرة الكثيفة للساكنة الإسبانية والذي صاحبه ظهور فرق محلية جديدة مختلطة من المغاربة الذين بدأوا ينضمون إلى الفرق للممارسة هذه الرياضة ، من بينهم بعض المغاربة الذين كانوا في فرق المرحلة الإسبانية مثل حالة الإخوة شيبولا و المانشا وآخرين.

3وتمتد هذه المرحلة من 1968إلى غاية اليوم ؛ وخلالها تذكر مواسم شباب الريف والنادي الرياضي، وهما الفرقتان الأكثر تمثيلا للمدينة واللتان يبينان ما كان عليه قبلهما إلبيا ، ولاس لاشاس.

يضم الكتاب صورا مختارة وتشكيلات فرق و وثائق و لافتات وشعارات الفرق والمقابلات الأكثر شهرة التي جرت في ، هذه المدينة ، مدينتي خلال خمس وسبعين سنة .

وبما أن موضوع هذا المعرض وهذا الكتاب هو كرة القدم فقد ارتاينا ، يومه ، وبرضى مدير هذا المعهد وقبول عدد من الحاضرين هنا ، على أن يكون هذا الحدث حفلة تكريم لصديقنا العرصي ميمون - شيبولا 2الذي لا ننساه.

وكما رأيتم في المعرض أنه كان تحت عنوان :

الذكرى الأولى للترحم على شيبولا 2

في ذكرى العرصي ميمون

لإثبات إخلاصنا ووفائنا ، ساقدم بهذه المناسبة هدية رمزية للسيدة ميمونة أرملة السيد شيبولا التي شرفتنا بحضورها

وكذلك سنقدم هدية تذكارية لنادي شباب الريف في شخص السيد الكاتب العام الذي يشرفنا بحضوره في غياب الرئيس خارج الحسيمة لأسباب مرتبطة بعمله

أتمنى أن يكون المعرض والكتاب قد نالا إعجابكم ، أقدم تشكراتي لحسن حفاوتكم واستقبالكم لي كلما حللتم بينكم . وشكرا جزيلا.

محمد ازيرار

نجم الريف الحسيمي لكرة القدم داخل القاعة

إجماع فعالياته على لعب الأدوار الأولى هذا الموسم

أنهى فريق نجم الريف الحسيمي لكرة القدم داخل القاعة مرحلة الإعداد لمنافسات الموسم الجديد وسط إجماع كلي على نجاح مرحلة الاستعداد التي تخللتها مجموعة من المباريات الودية. ولعل طول المدة المخصصة للتهييء كان لها الأثر الإيجابي حيث لوحظ ارتفاع اللياقة البدنية للاعبين وخلق مزيد من الانسجام بين اللاعبين واستيعاب الخطط والأساليب التقنية المعتمدة من طرف المدرب.

وكان فريق نجم الريف الحسيمي بدأ في الأستعدادات مبكرا بتطوان ولعب ثلاث مباريات أمام كل من نادي سكوربيون التطواني وشباب الفنيدق وأجاكس طنجة، كما فاز في أول مباراة له ضمن فعاليات البطولة لجهوية لعصبة الشرق ببركان أمام أمل كرسيف ب0-8

.وعن سؤال حول تقييم مرحلة الاستعداد قال رئيس الفريق السيد منصف أزماني:"مرحلة الاستعداد مرت في ظروف جيدة، والحقيقة أن المكتب المسير لفريق نجم الريف الحسيمي وفر جميع اللوازم الضرورية، واللاعبون انسجموا بما فيه الكفاية ودخلوا في الإيقاع مستوعبين أسلوب اللعب. وهذا مفرح ونتمنى أن نكون عند حسن ظن الجميع".

وعن طموح فريقه والمستوى المتوقع لبطولة هذه السنة يقول أيضا:"هذا الموسم سنلعب من أجل التأهل إلى نهائيات البطولة الوطنية المقرر تنظيمها بمدينة مكناس خلال الشهر القادم. لدينا فريق جيد تم تعزيزه ببعض اللاعبين كهشام مشوار. والفريق أصبح الآن متكاملا من جميع الجوانب، والاستعدادات المبكرة ستعطي مردوديتها خلال الاقصائيات الجهوية. نحن مستعدون جيدا لكي يكون هذا الموسم أفضل من سابقيه، ويتضح ذلك من خلال العزم والإرادة والمقابلات الإعدادية، ناهيك عن حظوظ لعب الأدوار الطلائعية، ولما لا الفوز ببطولة المغرب وذلك هو الهدف المنشود". من جهته أكد اسماعيل أسباع الحارس الرسمي للفريق أن هذا الأخير يتطلع إلى لعب الأدوار الأولى في المنافسات الكروية المقبلة، وأنه يتوفر على المؤهلات البشرية التي تخوله ذلك، كما يعول على الإضافات والعناصر الجديدة التي التحقت به. وأضاف اللاعب في سياق تصريحه أن استعدادات فريقه للموسم الجديد مرت في أجواء جيدة وملائمة رغم ما يمكن أن تحدثه حركة مغادرة بعض اللاعبين كطارق طليح ومحمد بوخيار، معتبرا المباريات الإعدادية التي خاضها الفريق كانت في صالحه لما يمكنها أن تكشفه للمدرب من ثغرات داخل المجموعة، ومساهمتها في خلق الانسجام بين اللاعبين. وعن المواجهات التي تنتظر الفريق الحسيمي اعتبرها مثيرة وصعبة ولابد أن يحقق خلالها الفريق نتائج إيجابية، مضيفا أن التركيبة البشرية التي يتوفر عليها نجم الريف قادرة على تحقيق تطلعاته. وأشار اسماعيل أسباع إلى القيمة المميزة للمدرب علي حجاج، واعتبر أنه يوجه اللاعبين إلى تقديم أحسن الأداءات، كما أضاف أنه يعتقد أن التكامل بين مجهودات المدرب وحماس اللاعبين واستمرار المكتب المسير في تقديم ظروف العمل المناسبة، سيكون بمقدور الفريق المراهنة على المنافسة على اللقب الوطني.

ويشار إلى أن فريق نجم الريف الحسيمي كان قد شارك الموسم الماضي في نهائيات البطولة الوطنية التي أقيمت أطوارها بقاعة الانبعاث بمدينة أكادير وانهزم في مباراته النهائية أمام أجاكس طنجة بالضربات الترجيحية. يذكر كذلك أن الفريق أحرز بطولة عصبة الشرق ثلاث مرات متتالية. وسيدخل غمار البطولة ذاتها ابتداء من الأسبوع المقبل بخوضه دور ربع النهاية.

Presentación del libro

" ALHUCEMAS EL FOTBOL EN SU HISTORIA"

Plácido Rubio Alfaro

Para los que no me conocéis, me voy a presentar , soy Plácido Rubio ALFARO, resido en Málaga, España. Soy nacido aquí, vengo de una de aquellas familias fundadoras de este pueblo , mis abuelos llegaron aquí en 1925 y yo me marche en 1968, conviví con la mayoría de vosotros durante 24 años.. por tanto soy un rifeño español

Para los que ya me conocéis, os recordaré que soy un recopilador de documentos históricos relacionados con mi ciudad Villa Sanjurjo-Alhucemas, con mi tierra y con mi gente , recuerdos que llevaré grabados en mi corazón hasta el ultimo aliento

Casi todo lo que se ha escrito sobre ALHUCEMAS esta relacionado con el desembarco, con Abd El Krim y sobre las campañas del rif: pero este pueblo tiene algo más que eso , tiene una vida social que poco o nada se ha divulgado.

Mi animo e interés por evitar que se pierda esta parte de nuestra historia, es lo que me han llevado a divulgarla, convirtiéndome sin pretenderlo en un historiador vocacional. Para lo cual , dentro de mis posibilidades y limitaciones, he puesto todo mi empeño en que todo salga bien

Debo expresar mi reconocimiento a una serie de amigos que desde un principio entendieron mi idea y vienen colaborando conmigo de una manera totalmente desinteresada, con la aportación de ellos, este trabajo se ha hecho realizado, sin ellos tengo la seguridad de que lo hubiese podido hacer, tal vez, no hubiese salido tan bien.

Mi agradecimiento a

Sr. Butale, profesor de este instituto , de los pioneros en animarme a sacar a la luz y recuperar esta historia de Villa Sanjurjo-Alhucemas, perdida o dejada al olvido.

Sr, M.A., profesor de árabe en este instituto español, sobradamente conocido, traductor de mis últimos trabajos, incluida la traducción de los textos de la exposición fotográfica. Me consta lo cual ha tenido que emplear muchas horas de su tiempo libre

Sr. Tuhami Mohamed, sanitario. Hoy lamentablemente ausente por viajes familiares, persona meticulosa, con quien compartí muchas tardes de buen fútbol, ha aportado los datos de su archivo personal, la época eminentemente marroquí, para entendernos, la de los últimos 30años, con lo cual este libro histórico forma parte de su propia historia

Sr. Hassan El Jamouni, magnifico amigo, cuya amistad viene desde nuestros padres y es el que me distribuye el libro y me permite usar su establecimiento como punto de encuentro. Además de publicar en el periódico Tifraz-Rasgos, mis actividades culturales.

Sr. Salim Mohamed, ?El Rubio-Buchlagham?, mi pegatina, como dijo un buen amigo . Mi fiel e incondicional amigo, donde termina la amistad y comienza la hermandad.

Hay actividades que definen un tiempo. Al trazar esta biografía sobre el fútbol en nuestra ciudad, rescato una época reciente de nuestro pasado cercano.

Este nuevo trabajo de investigación, el primero que se realiza sobre este tema del balompié en nuestra ciudad, ofrece una visión y una lectura novedosa en cuanto al tema que lleva: el fútbol en Villa de Sanjurjo-Alhucemas desde sus inicios en 1928 hasta actualidad, temporada 2003-04.

El formato, igual que mis anteriores trabajos,17x 24, 182 páginas, de las cuales 40 están escritas en árabe; traducidas por M. Azirar. Esta ilustrado por 64 fotografías, carteles y emblemas de las distintas etapas del fútbol en nuestra ciudad.

Esta cronología histórica contempla con las tres épocas más significadas

1? un época eminentemente española, que abarca desde 1928, fecha de la fundación del primer equipo local, hasta la independencia de Marruecos 1956.

Este capitulo recoge las crónicas originales de los partidos disputados por el pescadores C.F. durante su andadura por el grupo XIII la tercera división española correspondiente al grupo del protectorado español en Marruecos, en el que figuraban los equipos más representativos de Larache, AlKasr Alkabir, Tetuan, Nador, Villa Sanjurjo, además de Melilla y Ceuta. Y los encuentros disputados por la Villa Sanjurjo S.D. con los rivales de la zona noreste.

Su lectura es un viaje al pasado, un retorno a la añoranza , un revivir aquellos tiempos, recordando un alubión de nombres de amigos y conocidos que figuraban en las alineaciones.

De esta época resaltar a dos marroquíes que destacaron sobre todos Mahjoub y Mohamed Moriles.

2. una segunda época de transición, que abarca desde 1956 hasta 1968- aproximadamente. En ella se contempla la escalonada desaparición de los equipos eminentemente españoles, provocado por la masiva marcha de la población española, al tiempo que van surgiendo nuevos equipos locales ? mixtos ?, formados por los marroquíes que se iban integrando. Entre ellos, algunos eran marroquíes que habían estado encuadrados en equipos de la etapa española, casos de los hermanos Chipula y el Mancha entre otros.

3. Esta etapa contempla desde 1968 hasta hoy, en ella se recopila las temporadas de Cahab Rif y del Nadi Riyadi, los equipos más representativos de la ciudad y que vienen significar lo que en la primera época lo fueron el Villa y las Lachas.

Una rigurosa selección de fotos, alineaciones, documentos, carteles e insignias de los equipos y encuentros más relevantes acaecidos en esta, Mi ciudad, durante 75 años.

Con motivo del tema futbolístico de esta exposición y de este libro, en su día, con el consentimientos del Sr. Director de este instituto y la aprobación de muchos de los aquí asistentes, acordamos que este evento fuese un homenaje a nuestro siempre recordado el ARSI MIMOUN-CHIPULA II.

Como han podido comprobar en la exposición, ha sido dedicada y contemplada como:

Para dejar constancia de este acto, voy a efectuar la entrega de un presente a las Sra, Mimouna, viuda de Chipula, quien nos honra con su presencia.

Igualmente vamos hacer entrega de unos presentes para el club, Al Sr. Secretario del Chabab Rif , quien en ausencia del presidente por motivos laborales fuera de la ciudad, nos honra con su presencia .

Con el deseo que tanto la exposición como el libro sean de vuestro agrado, quiero reiteraros mis agradecimiento por la buena acogida y pruebas de afecto que siempre me dispensáis en mis regresos. MUCHA GRACIAS.

TIFRAZ N ARIF

N°13 Mai 2004

في حضرة ولي تمسمان سيدي شعيب أو مفتاح

1-بعض كراماته

تقول حكاية متواترة لدى أهالي تمسمان إن شعيبا حل ببلادهم، قادما من آيت سعيد، في زمن لا يذكرونه بالتحديد. كان متزوجا قبل أن ينزل ببلادٍ "النار والماء"، صحبة كلبته السلوقية (ثوشايث). اشتغل، في البدء، راعيا لقطعان أبقارهم ومواشيهم لردح من الزمن، وحدث، بعد ذلك، أن غاب عنهم لغرض خاص به، ولما طال غيابه واستيأسوا من إيابه عزم أهل البلاد على ذبح عجل شعيب (الذي كان هدية منهم إليه!).

اعترض بعض الحكماء والمتريثين، لكن الكثيرين لم يجدوا ضيرا في ذبح العجل بذريعة "استحالة رجوعه إلى تمسمان". ولما أجمعوا على أمرهم، ذبحوا العجل وسلخوه، وبينما هم يقدون لحمه ويقسمونه حصصا بين بكافة أسر المشر، طلع عليهم شعيب.. وبوقاحة سافرة اقترح عليه أحد الجفاة العتاة أن يأخذ نصيبه من عجله الخاص! طلب شعيب من الحضور أن يلملموا قطع العجل، ولما أتموا تكويمها صاح بها: " ي الله أوليدي كار بد../ هيا يا ولدي انتصب واقفا"، وما كان من كتلة اللحم إلا أن دبت على قوائمها وقصدت مرعاها الأقرب إليها أمام دهشة الجميع.

وتقول حكاية أخرى: كانت السلوقية لا تفارقه، وقد حدث أن نزل الإسبان بشاطئ تمسمان فاختطفوا طفلة صغيرة، ثم ركبوا قاربهم ولاذوا بالفرار. جاءت أمها المفجوعة تشكو حالها للولي الذي شاعت كراماته بين الناس، ملتمسة منه إرجاع ابنتها إليها. قصد شعيب البحر بمعية سلوقيته، ولما أدركا الشاطئ أشار لها أن تشق عباب البحر: كانت في البدء توصوص مترددة، لكن البحر انشق أمامها مفسحا لها الطريق.. انطلقت تركض بسرعة قصوى، واستمرت على ذلك الحال حتى بلغت الضفة الأخرى، حيث انتزعت الطفلة من مختطفيها، وكانوا قد أدركوا البر بالكاد، ووضعتها على ظهرها، ثم عادت لتوها متبوعة بالأعداء الذين كانوا يطاردونها قبل أن تنطبق عليهم ألسنة المياه. وبمجرد بلوغها بر تمسمان وقعت على الأرض ولفظت آخر أنفاسها، لكن ليس قبل أن تضع الطفلة أمام أمها الشاكرة، ولا قبل أن تنال عين الرضى من سيدها. وتخليدا لهذه السلوقية فقد دفنت على مرمى حجر من ضريح سيدي شعيب، وهي تزار بدورها من لدن الوافدين على الضريح للتبرك والشفاء.

2- الولي الأعزب المأخوذ بالسماع

ارتبطت زيارة ضريح سيدي شعيب بعيد المولد النبوي الشريف، حيث يتوافد عليه الناس من كل قبائل الريف، وإذا كانت زيارته، في اعتقادهم، تمنح البركة للوافدين وتشفي عللهم وتحقق آمالهم، فإن شعيبا تميز عن غيره من الأولياء بكونه عاش راعيا، أعزبا، ومحبا للسماع الصوفي. وهذا ما كان يجعل البالغين يؤمونه "ليفتح عليهم بحب مشكور وزواج مبرور". كما أن هذا الولي يمنح أيضا بركته لكل سالك درب "تامديازت" ومعارج السماع والغناء، فكل من توسم في نفسه الرغبة والاستعداد للعزف على آلة من الآلات الموسيقية كان لا بد له من الإقامة والمجاورة بضريح "سيدي شعيب أومفتاح" لمدة من الوقت قبل أن ينال "إجازته" وتتفتق موهبته، وتسري شهرة صناعته بين الناس، فيستدعى بالتالي للأفراح والأعراس. هذه الصفة هي التي جعلت الولي سيدي شعيب ينال حصة الأسد من متن الإيزلي الريفي المخصص للتبرك بأولياء الله. وهو ما قاد أيضا خطى جل المغنين المعروفين ببلاد الريف إلى قبته البيضاء، ليشهدوا بعد ذلك، بكامل الفخر والامتلاء أنهم "قد مروا "من هناك"! يروي لنا شاب شاركنا في وجبة الكسكس المحلب بالضريح: " كلهم مروا من هنا، المرحوم سلام الريفي لن يكون آخرهم طبعا... إن ذلك الطقس للأسف لم يعد موجودا بنفس النغمة إن لم نقل بأنه سائر للزوال.. مضى كل شيء والبركة تكاد أن... ولكن الحمد لله دائما مادمنا أحياء ".

3-توضيح من مقدم الضريح

– "ثيرمشث نّي وا ثقيم شا روخا". (لم يعد لتلك الدفوف وجود هنا)

× ولماذا؟ ألينس سيدي شعيب هو الغناء نفسه؟

– بسبب الخمر طبعا! عدوة الله والإنسان! إن السكران لا ينقاد لنفسه ولا لغيره بل لها هي وحدها، وقبل ثلاث سنوات رأينا هنا مناكر عجزنا عن تغييرها، لذلك نحن نمنع الغناء احتراما لهذا المقام الطاهر.

× ولكن ما علاقة الخمر بالغناء؟

– إن "الزهو" يجلب عشاق الخمر من كل مكان، كما تجلب الزهرة النحلة، ونحن لا نريد لأسوار هذا الضريح المبارك أن تتلطخ بما لا يرضي الله ولا صاحب هذا المقام...

× كانت له أمجاده التي سارت بها الركبان، كان يجتمع هنا ما يزيد عن 400طالب، وتتوافد قوافل الزوار من كل أصقاع الريف؛ تأتي الفتاة من آيث وريا غل أو آيت سعيد، ترقص أمام بوابة الضريح على وقع دفوف الشباب المعدة بجلود الذئاب، هنا بهذه الساحة التي قد تبدو لكم ضيقة، أنتم أولاد اليوم، وحينما تعود الشابة رفقة أسرتها إلى منزلها يكون أربعة خطاب، على الأقل، قد ستقوا خطاها إلى دار والدها... تلك أيام خلت، أما الآن الآن فالحال غير الحال، تلطخت الأخلاق، وأصبح الشباب لا يحترمون الآباء ولا الأولياء...!!".

× إن المخزن موجود، ويمكن أن يتكفل برعاية الضريح خلال مواسم الزيارة على الأقل، بحيث سيصلي المصلون، ويعزف العازفون، و يغني المغنون، وترقص العازبات، ويتزوج الراغبون في إكمال نصف الدين.

× ألا سيدي شعيب عاد يكار زي ونضر عينس؟

وهل ينهض سيدي شعيب من قبره؟!

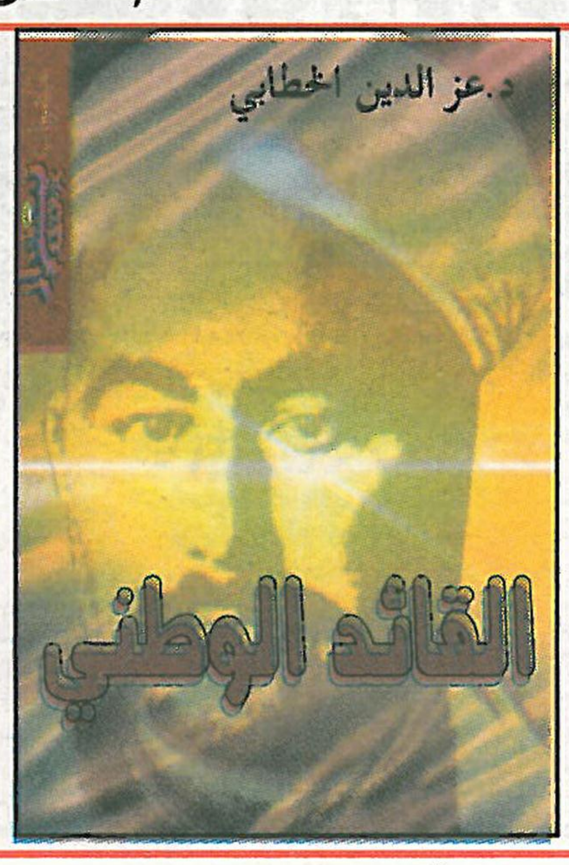
بدورنا نطرح نفس السؤال، ولا ننسى أن نذكر بأن الضريح نال من زلزال 24 فبراير أثرا غير يسير: تحطم غرفتين، تشقق في كثير من الجدران... صدوع قوية وظاهرة على السياج المحيط بقبة الضريح... فهل يصلح المال ما أفسد الزلزال؟!

■ منعم الأزرق



منشورات "تيفراز"

تعتزم جريدة "تيفراز" إصدار منشورات تساهم بها في التعريف بمعالم الريف التاريخية والعلمية والفكرية والإبداعية، ويسرها أن تخبر قراءها بأن باكورة هذا المشروع كتاب من تأليف الدكتور عز الدين الخطابي يحمل عنوان "عبد الكريم الخطابي: القائد الوطني"، نأمل أن يكون بين يدي القراء مع نهاية شهر يونيو 2004.وبهذه المناسبة نوجه صوتنا إلى كافة الباحثين كي يغنوا هذا المشروع ببنات أفكارهم و ووجيه اقتراحاتهم، ونذكرهم أننا نفتح أبوابنا في وجه كل المهتمين بمعالم الريف والمساهمين في إعادة بناء وترميم أوجاعه وآثاره ورموزه التاريخية والفكرية والإبداعية... نرجو أن تنال هذا البادرة اهتمام القراء وأن تكسب دعمهم ومساندتهم لكي تكبر وتنفتح آفاقها على ما يسعدهم ويغذي ذاكرتهم وحاضرهم وآتيهم... إنها الخطوة الأولى، تلك التي لا بد منها لاختراق "ما يبقى".



العين الثالثة



حتى لا يتحول حلم القرمود المفقود إلى قضيب حديد ممدود

في تلك اللحظات القاسية للزلزال الذي ضربنا منذ ثلاثة أشهر فقط، وأمام قوة المشاهد المرعبة والكئيبة التي ظلت تحاصر قلوبنا الواجفة وعقولنا الحائرة؛ تملكنا إحساس غريب غارق في النفور من مساحيق الحياة واحتقار رموزها المادية. وحينذاك فقط، بدا لنا التصوف قبسا يغري بالدنو من بهو قبته والاحتماء بانوار جبته، ومن ثم اتخاذه مسلكا قويما لبلوغ غاية المنى والوجود. هكذا صغرت أمامنا كل العمارات الزجاجية و"الفيلات" القرمودية والعطور الباريسية و...كل شيء تقريبا. إلى أن أتى حين من الوقت بدأنا فيه نشتم رائحة الحياة من جديد ونانس بعطور زائرينا الوافدين علينا لأجل تقديم العزاء والمواساة والدعم المادي والنفسي أيضا. فلا شك أننا كنا نبدو قبالتهم كالنعاج المذبوحة أو التائهة على الأقل، وربما بسبب ذلك كان هؤلاء لا يتورعون عن إسداء النصح لنا محاولين إفهامنا بأن ما حصل هو "فرصة الريف التاريخية التي لا تعوض". ولا يزال كلام بعض الإخوة، الذين تعرفنا عليهم وتعرفوا علينا بفضل الزلزال، يرن في آذاننا، فهذا كان يقول: "عليكم أن تعرفوا كيف تتعاملون بذكاء نادر مع هذه المرحلة...وينبغي أن تعرفوا كيف تحولون هذه المصيبة إلى مكسب تاريخي حقيقي للمنطقة". أما ذاك، فقد أسهب في الحديث عن الخيرات الوفيرة المجلوبة لمنطقة أكادير بعد الزلزال الذي عرفته مع مستهل عقد الستينات، وبالتالي مفروض علينا الاقتداء بإخواننا السوسيين...إلخ. ولعله بوسعنا الآن إدراك حجم وقيمة الدعم النفسي الذي قدموه لنا حتى ساورنا التفاؤل والإقبال على الحياة المشرقة؛ بل، ومن حيث لا ندري، غدا طمعنا أكبر وبدأنا نردد كلام الشاعر الثائر "أجمل الحياة تلك التي لم نعشها بعد"، و صار فهمنا أعمق للآية الكريمة: " عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم... نتيجة ذلك، بدأنا نتساءل: ما الفائدة من البكاء على الميت؟ المهم هو من تبقى من هؤلاء الأحياء ومدى ضمان حياة أفضل لهم. كذلك كان، وبشكل تدريجي عدنا لأوهامنا المقيمة بدواخلنا دوما، إن لم نقل إنها تعاظمت أكثر. وفي إغماضة واحدة لاحت أمامنا خارطة التنمية الشاملة والمستدامة لمنطقتنا الحبيبة، وبدأنا نشق الطرق ونسوي الجبال ونمد الجسور وننتقي الأشكال الهندسية المصممة بتناغم رائع مع الثقافة المعمارية والفنية المحلية، إلى درجة أمنا معها بأن حكومتنا - بفعل التصريحات الودودة والحالمة أحيانا لبعض وزرائنا الذين أدهشوا المواطنين بتواضعهم ومودتهم وتفانيهم في خدمة المنكوبين - عازمة هذه المرة على الإتيان بالقرمود المفقود من الصين حتى، ما دامت فاس غير قادرة لوحدها على إمدادنا بالمطلوب. والحال أننا أعجبنا كثيرا بهذا العمران الجديد الذي سيفرض على أبناء القرى الريفية ترك عاداتهم القديمة في الاختفاء وراء أشجار الصبار لقضاء حاجاتهم البيولوجية، ليلتحقوا بأبناء المدينة بولوجهم لبيوت النظافة المعطرة وأخذ حمام بارد أو دافئ بحسب الحاجة والطقس. وبالتالي، فإنهم سيقلصون من الهوة وسيوفرون على أنفسهم الكثير من الفروق والامتيازات المدينية التي ما فتئ أبناء المدينة يتبجحون ويفاخرون بها. وبفضل ذلك، فكت العزلة عن الريف وجاءنا السواح أفواجا أفواجا من مختلف بقاع الدنيا ليتعرفوا على جمال مدينة حباها الله بجمال فاتن وإرث تاريخي زاخر...وهاهم يندهشون أمام عظمة الإعمار ومتانة البنى التحتية ومظاهر الرفاه والبذخ البادية على وجوه الناس الناصعة والبشوشة، وكاد بعضهم يصدق أنه في رحلة بإحدى "الفيلاجات" الهولندية أو السويدية...

لقد كان حلما جميلا...؟!

ثم بدأنا نستفيق تدريجيا من وهم التنمية المحال الذي سيعقب الزلزال، وشرع الناس في طلب "السلة بلا باكور"، وعادوا لواقعهم المكرور، يشكون من قلة الإسمنت والياجور، ويستعينون ربهم بالباخور عسى أن يرفع عنهم الجور؛ ويبسط لهم من الرزق الوفير، وتواقين إلى أهل الجود من إخوانهم خارج الحدود، ليمسحوا عنهم الكروب وينزعوا عنهم القيود... حتى لا يتحول حلم القرمود المفقود إلى قضيب حديد ممدود.

■ سعيد الغزواني